جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الكافوريّات والعضديّات في شعر المتنبي

دراسة أدبية نقدية

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في الأدب والنقد

إعداد الطالب: **يوسف محمد أبكر أحمد**
إشراف البروفسير: **بابكر البدوي دشين**

١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أوزعني أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أنْعَمْتَ عَلَيَّ وعَلَى والدي وأنْ أعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وأدخلني بِرَحْمَتِكَ في عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

سورة النمل الآية ١٩

لَوْلا المَشَقَّةُ سَـــادَ النَّاسُ كُلُّهُم   الجُــودُ يُفْــقِرُ والإقْدَامُ قَــتَّالُ
وإنــَّمَا يَبــْلُغُ الإنْسَانُ طَاقَــتَهُ   مَا كُــلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلالُ
إنَّا لفي زَمَـــنٍ تَرْكُ القَبِيحِ بِـــهِ   مِنْ أكْثَرِ النَّاسِ إحْسَانٌ وإجْمَالُ
ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثاني وَحَاجَتُهُ   مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيْشِ أشْغَالُ

الإهـــــــــــــــــداء

إلى والدتي حباً وودا ً وعرفاناً.

إلى الذي انتظر هذا الجهد ولكن المنية أسرع: والدي عليه الرحمة.

إلى التي مهدتِ الطريقَ وقَصَّرَتِ المسافاتِ: زوجتي العزيزة.

إلى: ابنيّ محمد وعبد الرحمن.

إلى أسرتي الكريمة على امتداد المكان.

إليكم جميعاً أهدي هذا الجهد.

شكر وعرفان

أتقدم بأسمى آيات الشكر لإدارة جامعة الفاشر التي أتاحت لي هذه الفرصة للحصول على درجة الدكتوراة، كما أتقدم بالشكر لإدارة جامعة أم درمان الإسلامية وكلية اللغة العربية بعميدها وأساتذتها الذين وجدت عندهم أرحب صدور وأطيب معاملة، فلهم منى الشكر الجزيل.

والشكر أجزله لأستاذي الجليل التقي النقي الورع الأستاذ الدكتور:**بابكر البدوي دشين** الذي أشرف على هذه الرسالة وتابع مراحلها المختلفة منذ أن كانت فكرة حتى أصبحت واقعاً، فإني لا أستطيع أن أرد له مثقال ذرة مما غمرني به من جميل وما قدمه لي من علم ومعرفة.

ويمتد شكري للجنة التي تقوم بتقويم هذا البحث لما تقوم به من عمل جليل يرشد الباحثين إلى الطريق القويم لتطوير البحث العلمي.

وأشكر كل من أسهم في إخراج البحث بهذه الصورة وأخص منهم زوجتي التي سهرت الليالي من أجل أن يكتمل هذا العمل، والأستاذ إبراهيم آدم إسحق(عروة) والأستاذ عبد الرحمن جابر ومحمد عبد الله وعبد الله مسبل بمركز الحاسوب بجامعة الفاشر. والأستاذ مالك محمد على فضيل، والشكر لشقيقتي عائشة التي شاركت بجهدها الكبير وشقيقي هاشم الذي ما يزال يفاخر بي الناس، فلهم منى جميعاً الشكر الجزيل. والشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين.

مقدمة:-

الحمد لله حمد الشاكرين وأصلي وأسلم على نبينا محمد الأمين سيد الأولين والآخرين وهادي الناس إلى صراط الله المستقيم وبعد.

يصعب على الباحث أن يلم بكل مفاتيح كلام شاعر العربية الأول أبي الطيب المتنبي، وذلك بما للشاعر من عظمة وعزة وقوة عبارة ورأى نافذ خاطر شرود، فقد حاول القدامى الوقوف على شعره بالنقد والتحليل وإبداء الرأي، فجاءوا إلينا بذخيرة ضخمة من الإبداع والرأي السديد أو المجانب للصواب عند بعضهم، فألّف الناس فيه كتباً ومؤلفات تشق الأنفس بحملها ومطالعتها والوقوف على مراميها، وإزاء ذلك وقف الناس مواقف شتى من شعره، فمن ناعتٍ له بصدق العبارة وجزالة اللفظ وتخير المعنى ونصاعة البيان مع التألق في الأساليب، ومن واصفٍ له بالسرقة والكذب وإنكار ما يسدى إليه من معروف، وخلال هذه الآراء المختلفة حار طلاب العلم والمعرفة في متأخر السنين في الحكم الذي يناسبه، ولكنهم مسلمون بلا محالة له بالإجادة، فهو الذي استطاع أن يحول تراث الإنسانية في شتى معارفها إلى وأمثال ونادرة، ويكفيه فخراً أن ناقداً وأديباً حاذقاً بالأدب وفنونه مثل ابن رشيق القيرواني يقول فيه: إنه ملأ الدنيا وشغل الناس .

موضوع البحث :

الكافوريات والعضديات في شعر المتنبي

أهمية البحث:

١- تأتى أهمية البحث في أنه يشكل عملاً متكاملاً في دراسة شعر أبى الطيب المتنبي في مصر وفارس من حيث الألفاظ والأساليب والمعاني والموسيقى الشعرية.

٢- كما تتمثل أهمية هذا البحث في أن أبا الطيب قد تعرض في هذه الحقبة من عمره إلى موضوعات متفرقة اكتملت فيها شاعريته مثل وصفه لطبيعة فارس ووقوفه متأملاً على سنن الحياة في الناس، فجاء شعره في هذه المرحلة مليئاً بالحكمة والتأمل.

٣- تعود أهمية هذا البحث كذلك إلى أنه عالج جزءاً مهماً من شعر أبى الطيب المتنبي أهماه كثيرٌ من الباحثين، وذلك لأحكام سابقة على شعر هذه الفترة، لذلك فقد وقفت الدراسة على هذا الشعر بشئٍ من الدراسة والنقد والتحليل.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعتني أسباب كثيرة للبحث في هذا الموضوع ألخصها فيما يلي:

١- يرجع السبب الأول لاختيار هذا الموضوع إلى أستاذي الجليل الدكتور عمر السيد العباس بدر، أستاذ الأدب العربي بجامعة الجزيرة، فقد حبّب إليَّ دراسة شعر المتنبي بعبارة قالها فينا يوم أن أكمل تدريس مقرر الأدب العباسي بجامعة الفاشر:"عليكم بكتاب الله وديوان المتنبي" فهذه الجملة جعلتني كثير الاهتمام بشعر المتنبي وحريصاً على أن أبحث فيه.

٢- أهمية شعر هذه المرحلة خاصة وأنها تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل حياته، ومقدرة الشاعر على مواصلة العطاء وبصورة جيدة عند ملوك ما كان يعتقد في يوم من الأيام أنه سيمدحهم بمثل هذا الشعر الجيد.

٣- أهمية شعر هذه المرحلة لما اشتمل عليه من مظاهر التطلع والطموح، وبذلك فإنه يمثل مادة تربوية ترفع همم الناس لمعالي الأمور.

٤- الرغبة في إثراء المكتبة العربية بدراسة تضيف شيئاً إلى تراث الإنسانية في تاريخها الطويل.

الجهود السابقة:

لقد قام الباحثون والدارسون من قبلي بجهود كبيرة في دراسة شعر المتنبي، فقد درسوه من نواحٍ مختلفة أدبية ونقدية وتاريخية، هذه الجهود السابقة تمثلت في الرسائل العلمية والبحوث العامة والخاصة والكتب المختلفة والموازنات وغيرها، ولكن رغم كثرة هذه الدراسات فلم أجد من بينها دراسة تعرضت لشعره في كافور وعضد الدولة بصورة مجتمعة في بحث أو رسالة أو كتاب يتناوله بشئٍ من الدراسة النقدية العلمية الدقيقة،مع أهمية هذه المرحلة من شعره.

مكانة البحث:

تأتى مكانة هذا البحث في أنه يعد أحد البحوث التي تناولت شعر هذه المرحلة بشئٍ من التحليل والدراسة من ناحية الألفاظ والأساليب والصور الفنية والموسيقى الشعرية فضلاً عن دراسة أدبية لشعر هذه المرحلة، خاصة أن هذه المرحلة تعتبر مرحلة النضج الفكري والشعري عند المتنبي. فالبحث يقدم متكاملة في هذا الجانب.

منهج البحث:

تحتاج دراسة حياة أبى الطيب المتنبي للرجوع إلى تاريخ حياته لذلك فقد اتبعت المنهج التاريخي في هذا الجانب حتى أقف على مختلف مكونات حياته في ما يتعلق بمولده ونشأته والناحية الدينية والسياسية والاجتماعية.

أما في ما يتعلق بالدراسة الفنية فقد اتبعت فيها المنهج النقدي الفني الذي يقوم على التحليل والتفسير والموازنة التي يُربط بها البحث ربطاً يدخل القارئ والمتتبع في شئٍ من اللذة والمتعة ومتابعة الموضوع بشئٍ من الإهتمام.

أهم المصادر والمراجع:

لقد أعتمدت في هذا البحث على ديوان الشاعر، وعلى عدد من المصادر القديمة التي واكبت حياة الشاعر وتاريخه وتعرضت لشعره بالنقد والتحليل، وهى تمثل أمهات المصادر الأدبية، كما اعتمدت على بعض شروح الديوان

وآراء النقاد المحدثين في كتبهم، وقد أشرت إليها جميعاً في ثبت المصادر والمراجع في المكان المخصص لها من البحث.

خطة البحث:

لقد قسمت هذا البحث إلى أربعة أبواب تحت كل باب مجموعة من الفصول لها افتتاحية وإهداء وشكر ومقدمة وتمهيد وتعقبها خاتمة وفهارس.

المقدمة:

التمهيد:

تناولت فيه اسم الشاعر ومولده ونشأته وثقافته وكذلك تناولت فيه بعض القضايا التي شغلت الدارسين كثيراً مثل أمر نبوءته، ثم تناولت شعره وقسمته إلى مراحل.

وجاء تفصيل خطة البحث على النحو التالي:

الباب الأول: بين المتنبي وكافور

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **حقيقة كافور وعظمته**

الفصل الثاني: **طموح المتنبي قبل لقاء كافور**

الفصل الثالث: **شعراء في بلاط الإخشيديين**

الباب الثاني : الكافوريات

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **مدحه كافوراً الإخشيدي**

الفصل الثاني: **بداية الجفوة بين المتنبي وكافور**

الفصل الثالث: **هجاؤه كافور**

الباب الثالث: العضديات

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **مدحه عضد الدولة**

الفصل الثاني: **رثاء عمة عضد الدولة**

الفصل الثالث: **وداعه عضد الدولة**

الباب الرابع: دراسة فنية

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: **الألفاظ والمعاني**

الفصل الثاني: **الأساليب**

الفصل الثالث: **الصور الفنية**

الفصل الرابع: **بنية القصيدة**

الفصل الخامس:**الموسيقى الشعرية**

الخاتمة

الفهارس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

نشأته وحياته:

اسمه:" أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الكوفي الملقب (كذا) بأبي الطيب وكان والده الحسين يعرف بعبدان السقاء " [١]

ويقول ابن خلكان : "وقيل : أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي ، والله اعلم وهو أحد بطون سعد العشيرة من مذحج"[١] وعلى الشهرة التي بلغها الرجل لا يكاد المؤرخون يذكرون له شيئاً من نسبه أكثر مما ذُكر ولعل المتنبي نفسه لم يذكر في شعره نسبه لا من جهة أبيه ولا من جهة أمه إلا نادراً .

وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة ، وكان شاعراً عظيماً مشهوراً مذكوراً محظوظاً من الملوك والكبراء[٢] . ومولده في محلة تسمى كندة فنسب اليها فقيل الكندي وثمة آراء تشير الى أنَّ أصله من قبيلة كندة وهي من القبائل اليمنية الشهيرة بينما آراء أخرى تذكر أنه نسب إلى الحي الذي كان يعرف بهذا الاسم وأن أحياءً كثيرة في الكوفة كانت تسمى بأسماء القبائل التي تقطنها لذلك فإنه ليس بالضرورة أن يكون ساكن ذلك الحي هو من أبناء تلك القبيلة .

وكان له من الأعداء ما يكفي لتشويه تاريخه الناصع المليء بالمغامرات والإبداعات حيث زعم بعض أعدائه أنَّ والده كان يعمل سقاءً بالكوفة ، ذكر البستاني :" أن ابا الحسين بن لنكك كان يحسد أبا الطيب ويطعن عليه ، ويزعم أن أباه كان سقاءً بالكوفة. ورواية رجل مثله لا يصح التعويل عليها"[٣] ولعل سقاية الماء هي من المهن الموجودة في ذلك الزمان في الكوفة فليس هناك ثمة عيب على أي مهنة طالما تدر لصاحبها مالاً حلالاً غير أنهم يرونها ذليلة ،كذلك كان أعداء المتنبي ينالون منه

١- ابن خلكان ،وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافةبيروت،د.ت.ط ،٣٦/١

٢- البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبى،دار المعارف ، د.ط،١٩٦٣م، ص٢٠

٣ – بطرس البستاني ، ادباء العرب في الاعصر العباسية ،دار نظير عبود ، ص٣٠٩

بإلصاق هذه المهنة بوالده ، ولم يقف الطعن في مهنة والده فحسب بل امتد إلى نسبه ، فكان منهم من يرى أنه (دعيّ كندة) فقد ذكر البديعي: أن أبا الطيب عند ما أنشد سيف الدولة قائلا :

أُعيذُها نَظَراتٍ منكَ صادقةً   أنْ تَحْسَب الشّحمَ فيمن شَحْمُه وَرَمُ

فعلم أبو فراس أنّه يعينه ، فقال : "ومن أنت يا دعيّ كندة حتى تأخذ أعراض أهل الامير في مجلسه"(٤) .

ولم يذكر المتنبي من نسبه شيئاً في شعره غير الذي ذكرنا ولعله كان يرمي الى ذلك بشيء في نفسه أفصح عنه الرواة فقد ذكر البديعي: أنه سئل عن كتمانه نسبه! فقال:أني أنزل دائماً على قبائل العرب ،وأحب ألا يعرفوني ،خيفة أن يكون لهم في قومي ترة(٥) .

وهذا الخبر يدل على أنّ قبيلة المتنبي كانت من القبائل العريقة والقوية ،كذلك أنها استطاعت في زمان ما أن تلحق بالعرب انتصارات واسعة بالشام و العراق فهو يخشى أن يتعرف عليه الناس في رحلته هذه بالبوادي فيثأروا لتلك الهزائم القديمة،والخبر يدل من ناحية أخرى على مكانة المتنبي بين أبناء قبيلته حيث إن الثأرات الكبيرة لا تنال إلا من الشخصيات الكبيرة ولعل المتنبي كان كذلك، وهذا ينفي من ناحية أخرى الخبر الذي يقول أن مهنة والده كانت سقاية الماء.

ولكن أعداءه ذهبوا مذاهب شتى لإلصاق هذه التهم عليه من ذلك أنهم كانوا:يمسحون هذه التهم بأخلاق فاضلة حتى ترسخ عند الناس فقد ذكر البديعي :"أن ورّاقاً قال له :ما رأيت أحفظ من ابن عبدان – يقصد عبدان السقاء– قط ،فقلت له:كيف ذلك ؟ فقال كان اليوم عندي وقد أحضر الرجل كتاباً نحو ثلاثين ورقة ليبيعه،فاخذه ابن عبدان – المتنبي ـــ ينظر فيه طويلاً.فقال له الرجل :يا هذا أريد بيعه، وقد قطعتني عن ذلك ،فإنْ كنت تريد حفظه فإنّ هذا يكون –إن شاء الله – بعد

٤– الصبح المنبي ، ص٨٩

٥– المصدر السابق ص٢١

شهر قال : فقال له ابن عبدان فان كنت حفظته في هذه المدة فمالي عليك ؟.قال:أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ،فأقبل يتلوه حتى إنتهى إلى آخره"[٦] .

وهذه الرواية على الرغم من أنها تحمل للرجل ذكراً طيباً في قوة الحافظة والاستظهار إلا أنها تحمل شيئاً آخر ربما هو المراد من هذه القصة ،وهو أن المتنبي ابن لعبدان السقاء ،وأنّه كان ذكياً على عادة أبناء الفقراء في ذلك الزمان حيث إن هم يعملون على رفع مستوى حياتهم الأسرية على ما يضيفون لانفسهم من العلم والانتباه اليه . وهذا الورّاق الذي ذكرته الرواية قد يكون أحد خصوم المتنبي الذين كانوا يتخذون شتى السبل للنيل منه ومن أُسرته.

وروى الخطيب عن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال:" سألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به وقال: أنا رجل أحيط القبائل وأطوي البوادي وحدي ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي انتسبت إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني "[٧].

ويبدو من هذا أن الشاعر كان يكتم نسبه ، وفي شعره ما يدل على ذلك من مثل قصيدته التي مدح بها أبا العشائر بن حمدان يقول فيها :

أنا ابنُ مَنْ بعضُهُ يَفوقُ أَبا ... الباحثِ والنّجلُ بعضُ من نَجلَه
وإنما يذْكُرُ الجدودَ لَهُم ... مَنْ نَفَرُوه وأنفذوا حِيَلَه
فخْرَاً لعَضْبٍ أروحُ مُشْتَمِلَه ... وسَمْهَرِيٍّ أروحُ مُعْتَقِله
ولِيَفْخَرِ الفَخَرُ إذْ غَدَوْتُ به ... مُرْتَدِياً خيَره ومُنْتَعِلَه
أنا الذي بَيّنَ الإلهُ بهِ ال ... أقْدارَ والَمرْءُ حيثُما شَمَلَه
جَوهَرَةٌ تَفرَحُ الشّرافُ بها ... وغُصَّةٌ لا تُسيغُها السَفَلَة
إنّ الكذابَ الذي أُكادُ بهِ ... أهْوَنُ عندي من الذي نَقَله

---

[٦]- نفسه ، ص٢٠-٢١

[٧]- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الفكر ، د ت ، ١٠٣/٤

ولا مــُبالٍ ولا مـــــداجٍ ولا وانٍ ولا عاجِــــزٌ ولا تُكــَلهَ[٨]

وهذه الأبيات تؤيد ما ذهبنا إليه من أنَّ أسرته أو قبيلته كانت عظيمة ولكنه ليس فـــي حاجة لهذا الفخر بالآباء والأجداد ، وهذه الأبيات يظهر منها أن أُناساً شكُّوا في نســبه فأجابهم بها وله الكثير من هذه المعاني من ذلك قوله:

لا بقومي شَرفتُ بل شَرفُوا بي وبنفسي فَخَــرتُ لا بِجدودِي

وبِهمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطقَ الضادَ وعَوْذُ الجاني وغوثُ الطريدِ[٩]

ومن هذه المعاني أيضا ما ذكره في قصيدته التي قالها عند ما أصيب بـــالحمى وهــو يومئذٍ بمصر :

أَرى الأجدادَ تغلِبُها كثيراً على الأولادِ أخلاقُ اللئامِ

ولستُ بقانِعٍ مِنْ كُلِّ فْضلٍ بأنْ أُعْزَي الى جدٍّ هُمامِ[١٠]

فاللئام هم الذين يتشبثون بأجدادهم ويفتخرون بذلك لكن شاعرنا كان فضله بكفيه عــن أفضال أجداده الكرام .

وإذا كان المتنبي لم يذكر نسباً لنفسه من جهة أبيه فهو كذلك لم يذكر لإمه نســباً بل لم يذكر أمه في شعره ولا أباه ، وقد ذكرنا أسباب ذلك غير أنَّ هناك بيتاً واحــداً يذكر فيه والدته وهو قوله:

أمنسيَّ السُّكونَ وحَضرْمَوتا ووالدتي وكِندةَ والسَّبيعا[١١]

قال الواحدي: "هذه أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنون بهذه المجال"[١٢]. فهو قد ذكر في هذا البيت والدته وقال : أن ممدوحه عندما أغــدق عليــه بالهبــات والعطايا كاد ينسيه بلده الكوفة وأحياءها العريقة مثل حضرموت وكندة والسبيع كمــا أنه كاد أن ينسيه ما لا ينسى وهو والدته التي تربى على أحضانها غير أن ظــروف

٨- ديوان المتنبي ، دار الجيل ،د ت ، ص٢٤٨ -٢٤٩

٩- ديوانه ، ص٢١

١٠- ديوانه ، ، ص٤٨٣

١١- نفسه ص٩١

١٢- عبد الوهاب عزام ، ذكرى ابي الطيب بعد الف عام ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٥٦م ، ص٣١

الحياة جعلته يفارقها في زمان باكر. وفي مكان آخر من ديوانه ذكر أمه بينما كان يفتخر بنفسه كعادته في ذلك يقول :

ولو لم تكوني بنتَ أكرمِ والدٍ   لكانَ أباكِ الضخمَ كونُك لي أُمّا[١٣]

ولكن الأم المذكورة في هذا البيت هي جدته لأمه ذكرها في هذه القصيدة وهو يرثيها عندما جاءه نعيها وقد افتخر بنفسه وهو يقول لجدته إذا لم يكن أبوك كريماً في أصله فإنه يكفيك أن لك أباً ضخماً وهو (أنا) مادمت تنتسبين إليَّ فيقال أمّ المتنبي . وجدته هذه كما ذكر أبو الحسن التنوخي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها ، وكانت جارتنا من صلحاء النساء الكوفيات [١٤] .

واذا كان مولد الشاعر بالكوفة فإنه قد ضرب في البوادي كثيراً يطلب العلم تارةً والجاه والمال تارةً أخرى ، حدّث أبو الحسن العلوي الزبيدي فقال:" كان المتنبي وهو صبيّ ينزل بجواري بالكوفة ... ونشأ وهو محب للعلم والأدب وصحب الأعراب في البادية فجاءنا بعد سنين بدوياً قحاً"[١٥].

وذكر الثعالبي :" أن أباه سافر به الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ،ومن مدرها الى وبرها ،ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوامن النجح فيه ،حتى توفى أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع"[١٦] .

وكانت إقامة الشاعر بالكوفة قليلة جداً بعد أن عاد من رحلة العلم والتعلم ،ثم إنطلق بعد ذلك الى بغداد ثم جاب الشام ومدنها المختلفة مثل الرملة وطرابلس واللاذقية وأنطاكية وطبرية وحمص وغيرها، وفي هذا التجوال كان ينزل عند بعض الأُمراء وذوي الشأن في منطقتهم فيتعرض لهم بالمديح مما يجعلهم يغدقون عليه.

١٣- ديوانه ص١٧٥

١٤- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،١٠٣/٤

١٥- المصدر السابق والصفحة

١٦- الثعالبي ، يتيمة الدهر ، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢ ١٩٨٣، ١٤١/١

ذكرنا من قبل أنّ المتنبي لم يذكر شيئاً من نسبه في شعره على الرغم من أنّ شعره جاء مليئاً بأسماء الكثير من أعلام عصره ،هذا مما دفع بعض الباحثين الى الشك في نسبه ،منهم من ذهب إلى أنّه ولد من سفاح ومنهم من نسبه إلى والدٍ آخر لم يذكره التاريخ ،وصاحب الرأي الأول هو الأستاذ الكبير الدكتور (طه حسين)،فقد أشار في كتابه(مع المتنبي)إلى أنّ أبا الطيب ولد سفاحاً ،وحاول أن يثبت هذا الفرض الذي افترضه فأطال الحديث في غموض نسب المتنبي وأن والدته لم تُذكر في شعره الى أن قال : هذا كله يكفيني لأقتنع بأن مولد المتنبي كان شاذاً ،وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به في سيرته كلها[١٧] .

وهذا الذي جاء به طه حسين إنما هو افتراض . ومن الخطأ في مجال البحث العلمي أن يفترض الباحث فرضاً ثم يجعل منه حقيقة يبني عليها آراء تمس جوهر التاريخ خاصة إذا كان الأمر متعلقاَ بعلَم من أعلام التاريخ والشعر مثل أبى الطيب المتنبي[١٨] .

أما الرأي الآخر فصاحبه الأستاذ (عبدالغني الملاح) الذي حاول أن يجعل من المتنبي سليلاً للدولة العلوية الفاطمية فهو يرى أن المتنبي ليس إلا الابن الشرعي للإمام محمد المهدي القائم بالحجة ابن الإمام الحسن العسكري[١٩] .

وهذا الرأي الاخير على الرغم من مجانبته الصواب إلاّ أنَّ الموضوعية فيه بادية حيث نظر الملاح إلى أبيات المتنبي التي ربما تشير الى شيءٍ قريبٍ من هذا من مثل قوله:

أنا ابنُ مَنْ بعضُه يفوقُ أبا البا ... حثِ والنجلُ بعضُ مَنْ نَجَلَه
أنا الذي بَيّنَ الإلهُ به الأ ... قْدارَ والمرءُ حيثُما جَعَلَه
وليفخرِ الفخرُ إذْ غدوتُ بِه ... مرتدياً خيْرَه ومنتعِلَه[٢٠]

١٧- انظر:طه حسين ، مع المتنبي ، دار المعارف بمصر ، د ت ، ص٢٥

١٨- مصطفى الشكعة ، ابو الطيب المتنبي في مصر و العراقين ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٩٨٣، ص٢٣

١٩- المصدر السابق ص٢٤

ومن مثل قوله:

سأطْلُبُ حَقّي بالقَنا ومَشَايـــخٍ كَأَنَّهم مِنْ طُولِ ماالْتَثَمُوا مُرْدُ

ثقَالٌ إذا لاقوا خِفَافٌ إذا دُعُوا كَثَيرٌ إذا شدوا قليلٌ اذا عُدوا[٢١]

أما طه حسين فالتاريخ يقف دون ما قاله حيث روى صاحب تاريخ بغداد عن القاضي أبي الحسن بن أم شيبان الهاشمي الكوفي قوله : "كنت أعرف أباه بالكوفة ...وكان جعفياً صحيح النسب"[٢٢] .

إذن فالحقيقة التاريخية الثابتة تقول إن المتنبي كان جعفياً صحيح النسب ،وإن الذي ذهب إليه الدكتور طه حسين إنما هو من باب الظنِّ والظنُّ لا يُغني عن الحق شيئاً أو لعل ظنه هذا يدخل في باب الظن السيء الذي نهى عنه الاسلام "واجتنبوا كثيراًمن الظنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ"[٢٣] .

أخلاقه:

أخلاق المتنبي متقلبة الأطوار فمنها ما هو فاضل يجوز أن يتخذ قدوة حسنة للناس، ومنها ما هو سيئٌ لا تسطيع أن تلصقه بأتفه الناس ،وهذا ناتج من الظروف المختلفة التي تعرض لها الشاعر خلال رحلة تكوينه الطويلة.

حكى (علي بن حمزة[٢٤] البصري) قال:" بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة وتلك أنه ما كذب،ولا زنى ،ولا لاط ،وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة ،وتلك أنه ما صام ،ولا صلى ،ولا قرأ القرأن"[٢٥] .

٢٠- ديوانه ، ص٢٤٨

٢١- ديوانه ص١٩٨

٢٢- تاريخ بغداد ، ١٠٤/٤

٢٣- سورة الحجرات من الآية ١٢

٢٤- علي بن حمزة أحد الأئمة في الأدب ، وروى عنه ابن جني شيئاً من أخبار المتنبي ، لأن المتنبي عندما ورد بغداد نزل عليه ضيفاً الى أن رحل عنه.

٢٥- الصبح المنبي،ص٩٤

ولم يكن المتنبي من الذين ينادمون الغلمان أو يثالون منهم حظاً كعادة أهل زمانه من الشعراء بل كان مترفعاً عن هذا الخلق الذميم حدث ابن فورجة أن رجلاً نزل ضيفاً على المتنبي استخدم المتنبي غلاماً لخدمة ذلك الضيف وكان الغلام وسيماً فحاشاً ثم أمر المتنبي أن يعطي الغلام ثلثمائة درهم ، فتعجب الرجل وقال له: إنه ممن يجيب بالشيء اليسير – يعني الفاحشة – وأنت لم تنل منه حظاً. فغضب– المتنبي – ثم قال : أتظنني من أولئك الفسقة ؟ اعطه ثلثمائة درهم ولينصرف راشدا "[٢٦]

قال ابن فورجة[٢٧] : "كان المتنبي داهية مر النفس شجاعاً حافظاً للادب ،عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلا بخله وشرهه على المال"[٢٨] .

فالمتنبي إذن كان رجلاً داهياً شجاعاً وكان يعرف أخلاق الملوك ولعل معرفة أخلاق الملوك كانت من العلوم الاساسية لشعراء المديح خاصة عند شاعر مثل المتنبي لا يمدح إلا الملوك العظماء وإن كان قد مدح غيرهم في أول حياته.

وكان المتنبي بخيلاً كما ذكر الخبر محباً للمال ، وهذه من الصفات الذميمة لدى شاعر يمدح الناس بالكرم والجود.

قال ابن زيد التكريتي الشاعر :"بلغني أنه قيل للمتنبي :قد شاع عنك من البخل في الأفاق ،ما قد صار سمراً بين الرفاق وأنت تمدح في شعرك الكرم وأهله ،وتذم البخل وأهله ،ألست أنت القائل :

ومَنْ يُنفِقِ الساعاتِ في جَمْعِ مَالَه   مَخَافَةُ فَقرٍ فالذي فَعَلَ الفَقرُ

---

١ – الصبح المنبى ، ص٩٤–٩٥

٢ – هو محمد بن حمد بن محمد بن محمود بن فورجة ، أديب فاضل ومصنف من كتبه الفتح على ابي الفتح والتجني على ابن جني .

٣– الصبح المنبي ، ص٩٥ .

ومعلوم أن البخل قبيح ومنك أقبح لأنك تتعاطى كبر النفس وعلو الهمة ،وطلب الملك والبخل ينافي سائر ذلك .فقال:أن لبخلى سببا...وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون :إنَّ أبا الطيب ملك مائة الف دينار"[٢٩] .

ولعل شاعرنا يريد أن يبلغ المجد بالمال ،وقد ذكر ذلك في شعره من مثل قصيدته التي أوصى فيها كافوراً بالحزم وضبط الأموال يقول:

فَلا يَنْحَلِلْ في المَجْدِ مالُك كُلُّه فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كانَ بِالمَالِ عَقْدُهُ
ودَبِّرْهُ تَدَبيرَ الّذى المَجْدُ كَفُّه إذا حَارَبَ الأعْدَاءَ والمَالُ زِنْدُه
فَلا مَجْدَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مالُه ولا مَالَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُه[٣٠]

وقد صور شعر المتنبي جوانب من حياته وصفاته فمن صفاته الكبرياء والأنفة ،والشجاعة والطموح وحب المغامرات وكان عفيف النفس رصيناً لا يحب اللهو والهزل ،وكان يكره الخمر لأنها تغيب عقل الانسان يقول:

وأنْفَسُ ما للفَتَى لُبّه وذو اللبِّ يَكَرهُ انفاقَه[٣١]

وعلى الرغم مما روى عنه أنه كان لا يصوم ولا يصلي ولا يقرأ القران إلا أنه كان مخلصاً وفياً،ولعل تركه للصلاة والصوم وقراءة القران كان في فترة محددة من عمره وليس سائر حياته فقد ذكر البديعي أنه حدث: "أن المتنبي كان يصلي بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب وأنه صلى ركعتين ،وذلك في وقت العصر ويجوز أنه كان على سفر وأنَّ القصر له جائز"[٣٢] .

وكان المتنبي يكره الخداع والتمويه والمكر حتى إنه لم يخضب شعره عندما شاب،لأنَّ الاختضاب تمويه بصغر السن يقول:

٤- المصدر السابق ، ص٩٥-٩٦

١ – ديوانه ص٤٥٤

٢ – ديوانه ، ص.١٥٩

٣- الصبح المنبي ، ص.٦٧

وِمنْ َهَوَى كُلِّ مَنْ ليسَتْ مُمَوّهةً   تَرَكْتُ لَونَ مَشِيبي غَيْرَ مَخْضُوبِ[٣٣]

ولكن الدهر قد اضطره أحياناً إلى مخادعة الناس مِثلاً بمِثلٍ لأنَّ الحياة تتطلب مثل هذا السلوك:

ولمَّا صَارَ ُودُّالنّاسِ خِبَّاً   جَزَيتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ[٣٤]

وكان كريماً عزيزاً في نفسه وداعياً للعز والكرم يقول:

عِشْ عَزِيزَاً أو مُتْ وأنتَ كَرِيْمٌ   بَيْنَ طَعْنِ القَنا وخَفْقِ البُنُودِ[٣٥]

وكان شجاعاً مقداماً يعرفه الشجعان وتعرفه ظهور الخيل والصحراء التي طالما قطعها طولاً وعرضاً :

الخَيْلُ واللَيلُ والبَيدَاءُ تَعْرُفنِي   والسّيفُ والرُّمحُ والقُرْطَاسُ والقَلَمُ[٣٦]

وكان المتنبي مُرَّ النفس صعب الشكيمة جاداً مجداً يأبى الهزل وينفر من العبث[٣٧] وكان أنفاً لا يكلم الا انداده وقد فعل ذلك مع ابن حجاج البغدادي ،الذي سكت عنه احتقاراً واطراحاً لأنه ليس من أنداده ولا من طبقته[٣٨] .

والذي نلاحظ من هذا كله أن شعر المتنبي قد نفى الكثير مما يقال عنه من شح وبخل وحب للمال ، فهو رجل كريم طيب النفس يعطي المال الكثير في الامر اليسير،وقد بيّنا هذا عندما ذكرنا قصة الغلام الذي أمر بإعطائه ثلاثمائة درهماً لخدمة ليست بالشاقة.

أمر نبوءته:

٤- ديوانه ، ص.٤٤٩

٥- ديوانه ص.٤٨٣

١ - ديوانه ص.٢١

٢ - ديوان ص.٣٣٢

٣- البغدادى،خزانة الادب ، ،مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، د ت ، د ط ،٣٥٥/٢

٤ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،ابن رشيق القيرواني، دار الجيل بيروت ،ط١٩٨١،١،٥/.١١١

أمر نبوءة المتنبي من الأمور التي تناولها الناس بإفاضة قدماء ومحدثون ،وكان بعضهم يرى حقيقة الخبر ويرويه ويسلم به ومنهم من يرى غير ذلك مدافعاً عن الرجل دفاعاً قوياً .

ذكر الخطيب البغدادي عن القاضي أبي الحسن بن أم شيبان أنه قال:"وقد كان المتنبي لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسيني ثم ادعى بعد ذلك النبوة،ثم عاد يدَّعي أنَّه علوي إلى أن أُشهد عليه بالشام في الكذب في الدعويين وحبس دهراً طويلاً"[٣٩] .

وهذا الخبر يفيد أن المتنبي قد ادعى دعويين الأولى أنه ادعى العلوية وأراد أن يثبت أنه منهم غير أن الحقائق الثابتة في ذلك الزمان كانت تنافي دعواه تلك ،من هذه الحقائق :أنه كان جعفي صحيح النسب[٤٠] . ثم ادعى النبوة وحتى يدعم هذه الدعوى الجديدة أردفها بالإدّعاء السابق وهو الأنتساب إلى العلويين .

وخبر إدعاء النبوة هذا أورده البغدادي أيضاً برواية أخرى تأتي على هذا السياق:أخبرنا التنوخي :حدثني أبي قال:حدثني أبو علي بن أبي حامد ،قال: "سمعت خلقاً بحلب يحكون – وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك – أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها الى أن خرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله وأنفره وشرد من كان اجتمع إليه من بني كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن حبساً طويلاً"[٤١] .

فاذا كانت الرواية الأولى منسوبة مباشرة إلى القاضي ابن أم شيبان ،فإن الرواية الثانية ينتهي سندها إلى أناس مجهولين فرواية الفرد وكذلك رواية المجهولين من الاشياء التي لايعتد بها في علم الحديث ،ولما كان الأمر ذا بال ويؤثر في تاريخ هذا الرجل فيجب علينا ألا نأخذ بهاتين الروايتين.

---

٥ – تاريخ بغداد ، ٤/١٠٣.

١– المصدر السابق والصفحة .

٢– المصدر نفسه ص.١٠٤

وأورد هذا الخبر ابن خلكان (ت٦٨١)هـ بقوله:"وإنما قيل له المتنبي لأنَّه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فاسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه وقيل غير ذلك ،وهذا أصح"(٤٢) .

ويلتقي هذا الخبر مع الخبرين السابقين في عدة وجوه:

أولها :أنه ادعى النبوة ببادية السماوة بالشام والثاني أن: القبيلة التي بشر فيها بهذه الدعوى هي بني كلب .والثالث :أن الذي قضى عليه هو أمير حمص من قبل الإخشيدية لؤلؤ . والتقاء هذه الأخبار في الوجوه التي ذكرنا يشير إلى أنه إمَّا أن يكون أصل الخبر واحداً وهو الذي نذهب اليه وإما أن يكون الخبر كان شائعاً في ذلك الزمان حتى إن الرواة رووه بصورته التي شاع بها وهذا فرض يجب ألاَّ نتجاهله .

وقد أورد البديعي (ت١٠٧٣) خبراً على لسان أبي عبدالله معاذ بن اسماعيل اللاحقي يقول: "قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة...فأكرمته وعظمته بما رأيت من فصاحته وحسن سمته .فلما تمكن الأنس بيني وبينه ،وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته،واقتباساً من أدبه فقلت:والله انك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير.

فقال: ويحك أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ... فقلت له ما تقول؟ فقال:أنا نبي مرسل .فقلت له: مرسل الى مَنْ ؟ فقال: إلى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت تفعل ماذا ؟ قال:أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً"(٤٣) .

لكن عبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣) يذكر هذا الخبر بكلمة أقل وقعاً وأثراً على الآذان من كلمة إدِّعاء النبوة ،فقد أورد :"أنه ادعى الفضول الذي نُبذ به وسار خبره إلى أمير بعض أطراف الشام فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه"(٤٤) .

٣- ابن خلكان وفيات الاعيان ١٢٢/١.

٤٣- الصبح المنبي ص٥٢.

٤٤- خزانة الادب ،٣٤٧./٢

فما هذا الفضول الذي إدَّعاه الرجل ؟ هل هو العلوية أم النبوة أم ماذا؟ ، ثم لماذا لم يذكر إدِّعاء النبوة كما ذكرها الذين من قبله؟ ويبدو أن البغدادي عبدالقادر لم يرد الدخول في هذه القضية كما دخلها السابقون وذلك لأن هذه القضية انتهت في فترة مبكرة من جهة ،ومن جهة أخرى أنها لم تؤثر في أدبه آثاراً كبيرة تحتم الوقوف عندها.

فإذا كانت هذه الأقوال أو بعضها يشير إلي أنه ادعى النبوة لذلك لقب بالمتنبئ ، فثمة آراء أخرى تقول أنَّه لم يدَّعِ النبوة أو قد فعلها و هو صغير و من ذلك ما ذكره الخطيب البغدادي أن ابن خالويه النحوي قال له يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا أن الآخر جاهل لمارضى أن يدعى المتنبى لأن متنبى معناه كاذب ومن رضى أن يدعى بالكذب جاهل !. فقال له : أنا لست أرضى أن ادعى بهذا ، و إنما يدعوني به من يريد الغض مني ، و لست أقدر على الاقتناع [٤٥] قال التنوخي : "قال لي أبي : فأما أنا سألته بالأهواز في سنة أربع و خمسين و ثلثمائة ... عن معنى المتنبئ ، لأني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي ، و هو أن قال : هذا شئ كان في الحداثة أوجبته الصورة "[٤٦] .

فما هي هذه الصورة التي أوجبت عليه ادعاء النبوة ؟ لعلها صورة الشاب القوى الصغير الذي توجب عليه شخصيته أن يكون سيداً فلما لم يجد من يسودهم ادعى النبوة و هي نبوة الشعر .

و قد أنكر المتنبئ أكثر من مرة أنه ادعى النبوة و إنما أقر أنه تنبأ بالشعر فقد سئل عن اسمه المتنبئ فقال : أنا أول من تنبأ بالشعر [٤٧] .

و لكن الذين قالوا بأمر نبوءته جاءوا بكلام قالوا أنه القرآن الذي ادعى المتنبئ أنه أنزل اليه مثل قوله : " و النَّجْمِ السَّيارِ ، و الفُلكِ الدَّوارِ و اللَّيْلِ و النَّهارِ ، إنَّ الكَافِرَ

١- ، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١٠٤/٤

٢ – المصدر السابق ص ١٠٤، ١٠٥

٣ – ، وفيات الأعيان ،١٢٢/١

لَفي أظهارِ ، امض على سنتِك ، و أو قِفْ أثَرَ مَنْ كان قبلَك من المُرسلين ، فـإن الله قامِعٌ بِكَ زَيغَ مَنْ ألحَدَ في دينِه و ضَلَّ عنْ سبيله "[٤٨] كما جاء له بقرآن فقد ذكروا له معجزة و هي صدح المطر [٤٩] و أنَّ الأرض تطوى له[٥٠].

و قد اعتذر المتنبئ عن هذا الذي نسبوه إليه من أمر النبوة قال أبو علي [٥١] قيل للمتنبي على من تنبأت ؟ قال : على الشعراء .فقيل:لكل نبي معجزة فما معجزتـك ؟قال:هذا البيت :

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أنْ يَرَى   عَدواً لــه ما مِنْ صَدَاقتِه بُــدٌّ[٥٢]

وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال:سمعت أبا الطيب يقول :إنمـا لقبـت بـالمتنبي لقولي :

أنَا تِرْبُ النَّدَى ورَبُّ القَوافِي   وسِمَــامُ العِــدَا وغَيظُ الحَسُودِ
أنَا فِي أُمَّــــــةٍ تَدَارَكَها   اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثــَمُودِ
ما مُقامِي بأرْضِ نَخْلَةَ ألا   كَمُــَقامِ المَسيحِ َبيــنَ اليــهُودِ[٥٣]

وقال أبو العلا المعري :وحدثت أنه إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب ، قال : هـو مـن النبوة ، أي المرتفع من الأرض[٥٤]

وقد جاء في رسالة الغفران :" أن المتنبي أخرج ببغداد من الحبس إلى مجلـس أبـي الحسن علي بن عيسى الوزير- رحمه الله -،فقال له :أنت أحمد المتنبي ؟ فقال: أنـا

٤- ، تاريخ بغداد ١٠٤/٤ و الصبح المتنبئ للبديعي ، ص ٥٥
٥- ، الصبح المبني ، ص ٥٣
٦- المصدر السابق ، ص ٥٥
١- هو أبو علي الحسن بن أحمد
٢- البديعي الصبح المنبي،ص.٦٥
٣- المصدر السابق ،ص.٦٦
٤ - ،رسالة الغفران ، أبوالعلا المعرى ، دارالكتب العلمية ،د ط،٢٠٠١م،ص.١٩٥

احمد النبي ،وكشف عن بطنه فأراه سلْعَةً فيه وقال: هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي فأمر بقلع جمشكه[٥٥] وصفعه خمسين صفعةً وأعاده إلى محبسه"[٥٦] .

فإذا كان النص الذي ذكره عنه أبو علي الفارسي والآخر الذي ذكره أبو الفتح بن جني يجدان مخرجاً على أنه لم يتنبا حقيقة ، فإن الذي جاء في رسالة الغفران يبين هذا الإدِّعاء.

وكان المتنبي قد قال شعراً في محبسه يعبر فيه عما يلاقيه ويعانيه من الذل والهوان ، ومن هذا الشعر قصيدته التي افتتحها بقوله:

أيا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدُودِ وقَدَّ قُدُودَ الحِسَانِ القُدودِ[٥٧]

وفيها استعطافه ذاك الأمير وإنكار ما اتهم به :

أمَا لِكَ رِقِّي ومــَنْ شَأْنُه هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وعِتقِ العَبِيدِ
دَعَوتُكَ عِنْدَ إنْقِطَاعِ الرَّجَاءِ والمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الوَرِيدِ
دَعَــوتُك لمَّــا بَرانِي البِلى وأوهنَ رَحْلِي ثِقلُ الحديدِ[٥٨]

ثم وصف جو السجن والمعتقل الذي هو فيه بقوله:

وقد كان مشْيُهُما في النِّعال فَصَارَ مشيُهُما فـــي القُيودِ
وكُنْتُ من النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فها أنَا فِي مَحْفلٍ مِنْ قُرُودِ
تَعْجَلُ فِـــي وُجُوبِ الحُدودِ وحَدِّيَ قَبلِ وُجُوبِ السُّجُودِ[٥٩]

فهو يقول للأمير يا مالك رقي أنت شأنك الهبات والعتق أفلا تعتقني وقد دعوتك دعوة من انقطع رجاؤه فارفع عني ثقل هذا الحديد الذي برجلي ، هذا السجن الذي جعلنـــي أظن نفسي في غابة من القرود بعد أن كنت رجلاً في الناس ثم يصغر نفسه حتـــى لا

٥- الجمشك : الخفة (فارسية).
٦- رسالة الغفران ،ص.١٤
١- ديوانه ،ص٥٣
٢- ديوان ص٥٣
٣ ديوانه ص٥٤

يحد ويقول أنه لم تجب عليه الصلاة بعد فهو صبي ،ولكن الشيء الثابت أنه كان رجلاً عندما ادعى هذه الدعوة وحبس

ومما قاله في الحبس أيضاً:

أهْـــونْ بِطُولِ الثّواءِ والّتـلف والسّجْنِ والقَيْـدِ يا أَبــَا دُلَفِ[٦٠]

غَيرَ اخْـــتِيارٍ قَبِـلْتُ بِرّكَ بي والجُوعُ يُرْضِي الأسودَ بالجِيفِ

كُنْ أيُّها السِّجْنُ كيفَ شئْتَ فَقَـدْ وطَّنْـتُ للمَـوتِ نفس مُعْترفِ

لو كانَ لِي سَكناً فيـكَ منقصةٌ لم يَكُـنْ الدُّرُّ سَاكـنَ الصَدَفِ[٦١]

هذا ما كان من أمر القدماء أما المحدثين فقد تنالوا أمر نبوءته بالأخذ والرد بعد أن وقفوا على معظم ما ذكرنا من أمر القدماء ثم جاءوا بآرائهم كلاً على حسب رؤيته لهذه النصوص المختلفة.

فبطرس الستاني يرى:" أن اشياء في ديوانه تدل على أنه كان متألهاً ... على أن تألهه في شعره لا يعطينا دليلاً قاطعاً على تنبؤه وإن يكن شبه نفسه مرة بالمسيح وأخرى بصالح"[٦٢] .

أما الدكتور (عبد الوهاب عزام)فهو ينفي أن يكون أبو الطيب قد تنبأ وقرر أن الخبرين الذين جاءا في يتيمة الدهر وتاريخ بغداد ليسا من الصراحة بحيث يحتج بهما[٦٣] .

وينكر محمود محمد شاكر أن يكون أبوالطيب قد تنبأ ويفند الأخبار التي رويت في هذا الصدد ،كذلك ينكر القرآن الذي نسب اليه ،ويقول ان الذي سجن بسببه هو دعوة العلوية وليس النبوة[٦٤] .

---

٤ – هو أبو دلف بن كنداج أهدى إليه هدية وهو معتقل .

١– ديوانه ص.٥٢

٢ – أدباء العرب في الأعصر العباسية ،ص.٣١١

٣– ذكرى أبي الطيب بعد الف عام ،ص٥٣ وما بعدها.

٤– ،المتنبي ، محمود محمد شاكر ،دار المدني بجدة ،د ط،١٩٨٧،ص١٩٩-.٢١٣

أما الدكتور طه حسين فهو – أيضاً – يرفض دعوى النبوة التي ألصقها به بعض القدماء فهو يقول:"وأنا لا أتردد في رفضي ما يروى من أنه ادعى النبوة وأحدث المعجزات أو زعم إحداثها ، وضلل فريقاً من خاصة الناس وعامتهم ،كما لا أتردد في رفضي هذا السخف الذي ينبئنا بأن المتنبي زعم أن قراناً أنزل عليه"(٦٥)

أما الدكتور (مصطفى الشكعة) ،فقد نظر إلى قضية التنبؤ أول أمره وقال: "كنت صاحب ميل إلى أن المتنبي قد (فعلها) وتنبأ . ثم عاد الشكعة وقال : إنه لا يستهدف اثبات نبوة المتنبي ،كما لا يستهدف نفيها ... والذي استهدفناه هو أن نضع تحت نظر الباحثين بعض القرائن التي لا تخلي أبا الطيب تماماً من تلك التهمة(٦٦) .

أما الدكتور عبدالله الطيب ، فلم يتناول هذه القضية في كتابه (مع أبي الطيب) ولكن الشيء الذي لاحظته هو أنه لم يذكر لفظه (المتنبي) في هذا الكتاب ولعل هذا يدل على أنه لم يرد أن يخوض فى هذه الفكرة البتة ، أو أنه غير مؤمن بها.

أما محمد عبدالرحمن شعيب فيرى أن هذه الدعوى التي لحقت بأبي الطيب المتنبي ما هي إلاَّ وشاية أولاً ثم إنها كانت أمراً سياسياً وهو رغبة أبي الطيب في أخذ البلد والإمارة عليها ثانياً(٦٧) .

فالمحدثون إذن يرفضون هذه الدعوى وإن كان منهم من ينظر اليها بعين الشك مثل مصطفى الشكعة ،والمحدثون كذلك يردون اسمه (المتنبي) الى هذه الاشعار التي ذكر فيها أسماء الأنبياء فالقضية إذن ثابتة عند القدماء مرفوضة عند المحدثين.

ثقافته:

كان الصبية يبعثون إلى البادية لمشافهة الأعراب حتى ينالوا درجة من الفصاحة والبيان وقد ذكرت الروايات أن المتنبي كان قد بعث إلى البادية ،ذكرالخطيب البغدادي : "أنه نشا بالشام وأكثر المقام بالبادية وطلب الأدب وعلم العربية ونظر في

٥- مع المتنبي ، ص.٩٩

١- أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين ،ص٥١

٢- ،المتنبي بين ناقديه ، محمد عبد الرحمن شعيب ،دار المعارف ،د ط١٩٦٤،ص٢٠، ١ .٢

أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ فيه الغاية التي فاق أهل عصره وعلا شعراء وقته"[٦٨] .

ذكر البغدادي أيضا أخبرنا علي بن الحسن التوخي عن أبيه قال :حدثني أبوالحسن محمد بن يحي العلوي الزبيدي قال:..... ونشا وهو محبٌّ للعلم والأدب فطلبه وصحب الأعراب في البادية فجاء بعد سنين بدوياً قحاً ،وقد كان تعلم الكتابة والقراءة فلزم أهل القلم والأدب وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم"[٦٩] .

إذن لم يكتف شاعرنا بالإختلاف إلى البادية فحسب بل إنه لازم أهل العلم والأدب والوراقين فنال منهم علماً وافراً وذكره ابن خلكان فقال عنه :"هو من أهل الكوفة قدم الشام في صباه وجال في أقطاره واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر"[٧٠] .

فشاعرنا قد نال حظاً كبيراً من علم العربية ليس في بادية الكوفة وبغداد فحسب بل في بادية الشام التي نال فيها من العلم ما أصبح به حجة في زمانه حتى إنه كان يعرف خفايا اللغة .

وذكر ابن خلكان :"أن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب (الإيضاح والتكملة) قال له يوماً :كم لنا من الجموع على وزن فِعْلى؟ فقال المتنبي في الحال :حِجْلي وظربي،قال الشيخ أبوعلي:فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد"[٧١].

وذكر الثعالبي في اليتيمة قول الرواة :"أنَّ أباه سافر الى بلاد الشام ،ولم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها ويسلمه في المكاتب ،ويردده في

٣- تاريخ بغداد ١٠٢/٤.

١ المصدر السابق١٠٣/٤.

٢ – وفيات الاعيان ،١٢٠/١.

٣ – المصدر السابق ،١٢٠/١-١٢١.

القبائل ،ومخايله نواطق الحسنى عنه. وضوامن النجح فيه ،حتى تـوفى أبـوه ،وقـد ترعرع أبوالطيب وشعر وبرع"[٧٢] .

فالمتنبي إذن كان يصحبه والده وهو الذي اهتم بتعليمه حيث جال به في البوادي والمكاتب حتى برع.

نقل عبدالقادر البغدادي من كتاب (ايضاح المشكل لشـعر المتنبـي) للاصـفهاني قوله:"واختلف الى كتاب فيه أولاد اشراف الكوفة ،وكان يتعلم دروس العلوية شـعراً ولغةً وإعراباً ،ونشأ في خير حاضرةً"[٧٣] .

فثقافة المتنبي اذن هي علوية شيعية من ناحية الدين والعقيدة وهي بدوية أعرابيـة من ناحية اللغة والفصاحة . وقد ذكرت الروايات أنه ذهب الى البادية وجـاء منهـا بمحصول كبير من الفصاحة والبلاغة، أما المدرسة العلوية فقد تلقى فيها دروساً فـي العلم والمعرفة وقد تأثر بمذهبها الشيعي وقد تأثر أيضاً ببعض الآراء الفاسـدة مثـل قوله:

تَخَالَفَ النّاسُ حَتّـى لا اتّفاقَ لَهُـم   إلاّ عَلَى شَجب والحلف في الشّجبِ
فقيل :تخــلدُ نفسُ المَرءِ باقــيةٌ   وقِيل:تُشرِكُ جِسمَ المرءِ في العَطَبِ

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، وبتشعب بعضه الى قول الحشيشية[٧٤] .

وذكر صاحب الايضاح أنه:"كان في صغره وقع الى واحد يكنـى أبـا الفضـل بالكوفة من المتفلسفة ،فهوّسه واضله كما ضل.

وأما ما يدل عليه شعره فمتلوّن .وقوله :

هوّنْ عَلَى بَصرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ   فَإنَّما يَقَظَانُ العَينِ كَالحِلمِ

مذهب السفسطائية.وقوله:

تمتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أو رُقَادِ   ولا تَأمَلْ كَري تَحتَ الرِّجَامِ

٤- يتيمة الدهر ١/١٤١.

١ - خزانة الادب ، ٢/٣٤٧.

٢ -المصدر السابق ٢/٣٤٩.

فإنَّ لِثَالِثِ الحَالينِ مَعْنَى　　　سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِك والمَنَامِ

مذهب التناسخ وقوله:

نَحنُ بَنو الموتِ فَمابَالُنا　　　نَعَافُ مَا لابُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

فهذِه الأرْوَاحُ مِنْ جَوِهِ　　　وهذِه الأجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ

مذهب الفضائية.وقوله في أبي الفضل بن العميد:

فإنْ يَكُنِ المَهْدِيّ قَدْ بَانَ هَدْيُهُ　　　فَهَذَا وإلاّ فَالهُدَي ذَا فَمَا المَهْدِي

مذهب الشيعة. وقوله:

تَخَالَفَ النَّاسُ حتَّى لا اتِّفَاقَ لَهُم　　　إلاَّ عَلَى شَحبٍ والخُلفُ فِي الشَّحبِ

فقيلَ:تَخلدُ نَفْسُ المَرْءِ جافية　　　وقيل:تشركُ جِسمِ المَرْءِ في الفطبِ

فهذا مذهب من يقول بالنفس الناطقة ،وبتشعبه بعضه الى قول الحشيشية(٧٥) .

فقد تأثر المتنبي بالفلسفة التي كان قد تلقاها من بعض معلميه من مثل أبي الفضل الذي ذكره صاحب الايضاح وأنَّه تعلم منه هذه المذاهب المتشاكلة حتى تأثر بها في شعره ،فالمرء انما هو ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها ، فمن الطبيعي إذنْ أنْ يتأثر المتنبي بهذه المذاهب وإن كانت فاسدة في اعتقادها .ومما تأثر به المتنبي ايضاً مطالعته لدواوين الشعراء الذين سبقوه من الفحول ،فقد روى ابن جني:ان المتنبي كان يحفظ ديواني الطائيين ويستصحبها في أسفاره(٧٦).

والطائيان هما أبوتمام حبيب بن أوس، وأبو عبادة البحتري ولم يكن المتنبي ليقف على شعرهما فحسب، بل كان يعلق على ديوانيهما ويصحح بخط يده وقد ذكر ذلك ابن جني(٧٧).

شعره :

١ – المصدر نفسه ٣٤٨/٢-٣٤٩،نقلاً عن الايضاح للاصفهاني .

٢ – المصدر نفسه ٣٥٠./٢

٣ – نفسه والصفحة

رحلة الشعر عند المتنبي طويلة مستفيضة بدأت معه منذ أن كان صبياً في الكُتَّاب وقد مرت به ظروف مختلفة في قول الشعر حيث تجول في الآفاق يبحث عن حياة افضل عند أناس أفاضل لذلك لم تستقر به الحياة منذ نعومة أظافره حتى لقي ربه .

وشعر الصبا عند المتنبي كان يعبر عن الحياة التي يطمح أن يبلغها من مثل قوله حين سئل بالكوفة وكان آنذك غزير شعر الرأس منسدله ،ما أحسن هذه الوفرة فأجاب[٧٨]:

لا تَحْسُنَ الوَفْرَةُ حَتّى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضّفرينِ يَومَ القِتَالِ
علَى فتىً مُعتلِقٍ صَعدةً   يَعلهَا من كلِّ وافي السّبالِ

وإذا كان المتنبي قد قال الشعر منذ نعومة أظافره فإنه اتخذ الشعر بضاعة يتجول بها في الأسواق علها تجد رواجاً ،فقد اتجه كما ذكرنا إلى بغداد ثم إلى الشام فمدح بعض وجهاء القوم بها وتجول في مدن الشام مثل أنطاكية وطرابلس وطبرية ثم استقر به المقام عند سيف الدولة ابن حمدان الذي وصله بالمال الكثير ،وكان المتنبي قبل أن ياتيه :قد مدح بدون العشرة أو الخمسة من الدراهم[٧٩] .

روى صاحب الإيضاح قوله : "أخبرني ابوالحسن الطرائفي قال: سمعت المتنبي يقول : أول شعر قلته وابيضت أيامي بعده قولي:

أيَا لائِمي إنْ كُنتُ وقتَ اللوائمِ   عَلِمتُ بِمَا بِي بَينَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فاني أُعطيت بها بدمشق مائة دينار... ثم إتصل بأبي العشائر فأقام ما أقام ثم اهداه الى سيف الدولة"[٨٠] .

وسبق أن ذكرنا انه كان قد تأثر بالطائيين ،ذكر صاحب الإيضاح أنه" قيل للمتنبي: معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي ، فأجاب :الشعر جادة وربما وقع حافر على حافر"[٨١] .

١- الواحدي ،ديوان المتنبي،ص.٥١
٢ - خزانة الأدب ،٢/.٣٥٠
٣- المصدر السابق والصفحة .

ومن ينظر إلى ديوان المتنبي يجد أن شعره يمر بأربع مراحلٍ هي:

١- مرحلة الصبى : وهي التي تمتد من أيام التحاقه بكُتَّاب العلويين في الكوفة إلي مغادرته لها الي بغداد ثم الي الشام ، و الشعر الذي قاله في هذه الفترة يمثل شعر الصبى بحق و حقيقة من حيث الألفاظ والمعاني ومن حيث الأفكار أيضاً ، و الذي ينظر إلي شعره في تلك المرحلة يتبين هذه الأشياء ، من ذلك مثلاً قصيدته التي يقول فيها (٨٢):

أبْلَى الهَوى أسفاً يومَ النَّوي بَدَنِي — و فَرّقَ الهَجْرُ بَينَ الجَفْنِ و الوَسَنِ

رُوحٌ تردد فِي مِثْل الخـلال إذا — أطارتِ الرّيحُ عنه الثوبَ لـَمْ يَبِنِ

كَفَى بِجِسْمِي نُحولاً أنّني رجـلٌ — لولا خَـاطَبَتِي إيـّاكَ لـمْ تَـرَنِ

فهذه الأبيات تصور لنا رجلاً صغير السن نحيل الجسم لا يكاد يُري إذا لم يتكلم و شاعرية المتنبئ بدأت تظهر منذ هذه الفترة و قد قال في صباه شعراً قوياً مثل قوله في قصيدته التي مدح بها محمد بن عبدالله العلوي المشطب و التي يقول في مطلعها (٨٣)

أهلاً بدارِ سـباكَ أغْيدُها — أبعدَ ما بانَ عنكَ خُردُها

ظِلتَ بها تنطـوِى عَلَى كيدٍ — نضيجةٌ فَوقَ خلبها يدُها

يا حـَادِيِي عيسِها و أحسَبنِي — أوجـد ميتاً قبل افقدُها

هذه الأبيات جاءت قوية متينة تجري على عروض الشعر و هي إن دلت ،تدل على أن صاحبها متمرس على قول الشعر ، و هذا الشعر الناضج الذي قاله المتنبئ في حياة يدل على أن تجربته بالشعر ولدت مكتملة ، و هذا يدل من ناحية أخرى على أن هناك تجارب أضعف من هذه القصائد و لكنه لم يثبتها في ديوانه لأن تجربتها تبدو ضعيفة مقارنة بهذه الأبيات .

---

٤ – المصدر نفسه والصفحة .

١ – ديوانه ، طبعة دار الجيل ،ص.٧

٢ – المصدر السابق ، ص.٨

و قد ظهرت شخصية المتنبئ منذ هذه المرحلة فهو الصبي المتجلي كالشمس التي ينتشر ضياؤها ، وهو إن كان صغير في عمره فكان عقله عقلاً كبيراً مميــزاً : و يقول [٨٤]:

شَــــمْــسٌ إذا الشمس لاقتْهُ علَى فَــرسٍ   تــردَّدّ النُّور فيــها من تردُّدِهِ
لمْ أعرفِ الخَيْرَ إلاَّ مُذْ عَرفْتُ فَتى   لَمْ يُولَدِ الجودُ إلاَّ عِندَ مولدِهِ
نَفسٌ تُصَغِّرُ نفسَ الدَّهرِ مــِنْ كبرٍ   لَها نُهى كَهْلِهِ فِي سنِّ أمردِهِ

و قد تنوع شعره في هذه المرحلة بين مدح و هجاء و فكاهة فمما قاله في صــباه من المديح قوله يمتدح محمد بن عبيدالله العلوي المشطب [٨٥]

الى فتىً يُصدرُ الرِّماحَ وقَدْ   أنْهَلَهَا فِي القُلُوبِ مَوْرِدُهَا
لــَهُ أيــادٍ الــيّ سابــقــةٌ   أُعــدّ منها ولا أُعــدِّدُها
يُعطى فــلاً مَطْلَةٌ يُكَــدِّرُها   بــِها ولا مَــنَّةٌ يُنَكِّــدُها

ومما قاله في الهجاء في هذه الفترة قوله يهجو القاضي الذهبي :

لما نُسبتَ فكُنتَ ابناً لغيرِ أبٍ   ثم اختُبِرتَ فَلَمْ تَرجعْ إلى أدبِ
سُمِّيتَ بالذَّهْبِي اليومَ تَسْمِيةً   مُشتقةً من ذهابِ العقلِ لا الذهبِ
ملقّب بكَ ما لقيت ويك بهِ   يا أيّها اللقبُ المُلقى على اللقبِ[٨٦]

ومما قاله في الفكاهة في هذه الفترة قوله وقد مر برجلين قــتلا جــرذاً وأبــرزاه يعجبان الناس من كبره فقال المتنبي[٨٧]

لقد أصبحَ الجُرْذُ المستغيرُ   أسيرَ المنايا صَريعَ العــَطَبْ
رَمَاه العامــِري والكــِنانِي   وتلاهُ للــوجهِ فعلَ العــَربْ
كــِلا الرَّجلين اتّلى قَــتله   فأيكما غلّ حُــــرَّ الــسّلبْ

---

٣ – ديوانه ،ص.١٢

١– ديوانه ،ص.٩

٢– ديوانه ،ص١٣

٣– ديوانه،ص١٣

وأيــكما كانَ منْ خــَلفِه   فإنَّ بـــهِ عضـــةً في الذَّنبْ

وهذا النوع من الشعر كان شائعاً في ذلك الزمان وبصورة خاصة في العصـــر العباسي الثاني الذي عاش فيه شاعرنا، فكان من الطبيعي ان يجاري بعض شعراء عصره .

ب- مرحلة حلب وهذه المرحلة تبدأ في حلب وتنتهي بها وهي الفترة التي قضاها في بلاط سيف الدولة ،وقد سميت قصائده التي قالها في هذه المرحلة بالسيفيات ، كما سميت قصائده في حروب سيف الدولة مع الروم بالروميات وهـــذه المرحلـــة تمثل فترة عنفوانه ونضجه الشعري والثقافي وقصر معظم شعره في هذه الفتـــرة في مدح سيف الدولة ،وقد تيسرت حاله بعد ذلك وكـــان قبلـــه فـــي شـــيء مـــن الإعسار،حتى روى أنه مدح بدون العشرة أو خمسة من الدراهم[٨٨] .

وذكر الأصفهاني في الإيضاح : أخبرني أبو الحسن الطرائقي قال: سمعت المتنبي يقول :

أيا لائمي إن كنت وقت اللوائمِ   عملت بِما بِي بين تلكَ المعالمِ

فإني أُعطيت بها بدمشق مائة دينار... ثم اتصل بأبي العشائر ... ثم أهـــداه إلـــى سيف الدولة[٨٩] .

وكان أول لقائه بسيف الدولة بأنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ،وقد اشـــترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به بانه إذا أنشده مديحه لا ينشـــده إلا وهـــو قاعد ... ودخل سيف الدولة على هذه الشروط[٩٠] .

وهذا الشرط يدل على ان المتنبي كانت به أنفة وكبرياء وأنه لـــيس شـــاعراً عادياًكبقية الشعراء ،ولعله أراد أن يخبر سيف الدولة مـــن أول وهلـــة بعظمتـــه وشموخه وقد فعل ،وشاعرية المتنبي قد شهد بها معاصروه ، فقد روى البـــديعي

---

١ – خزانة الادب ،٣٥٠/٢ نقلاًعن ايضاح المشكل للاصفهاني .

٢- المصدر السابق ،ص.٣٥٠

٣- الصبح المنبي ،ص.٧١

:"أنّ أبا العلاء المعري كان إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو فراس كذا قال البحتري كذا ، قال أبو تمام كذا ، فاذا أراد المتنبي قال: قال الشاعر تعظيماًله"(٩١)
.

وقد استطاع المتنبي بهذه الشاعرية أن يبذ شعراء عصره خاصة في هذه المرحلة.

روى البديعي : حكى : "صاحب المفاوضة(٩٢) كان سيف الدولة يميل إلى أبي العباس النامي(٩٣) ، الشاعر ميلا شديداً إلى أن جاءه المتنبي فمال عنه اليه فغاظ ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال:أيها العميل لم تفضّل عليَّ ابن عبدان السقا ...فقال: لأنك لا تحسن أن تقول كقوله :

يعودُ منْ كلّ فتحٍ غيرَ مفتخرٍ وقدْ اغذّ اليه غير محتفلِ"(٩٤)

وأبو العباس النامي هو القائل:كان قد بقي في الشعر زاويةً وصلها المتنبي ، وكنت اشتهي أن أكون سبقته إلى معنيين قالهما ما سبق إليهما .أما احدهما فقوله:

رَمَانِي الدّهرُ بالأرزاءِ حَتّى فُؤادِي فى غشاءٍ من نِبالِ
فِصرْتُ إذا أصَابتني سِهامٌ تَكَسّرتِ النصال على النّصالِ

والآخر قوله :

فِي جَحفلٍ سترَ العيونَ غبارُه فكأنّما يُبصرن بالآذانِ(٩٥)

فعلى الرغم من أنَّ المتنبي قد احتل مكان الشعراء عند سيف الدولة الا انهم كانوا يعترفون له بالفضل في بعض شعره، ولكن منهم من اوغر صدر سيف الدولة عليه، ومن هؤلاء ابن عم سيف الدولة الشاعر أبو فراس الحمداني.

٤- المصدر السابق ، ص.٧٢

١- صاحب المفاوضة هو ابو الحسن محمد بن علي بن نصر المالكي عاش في نهاية القرن الرابع الهجري واول القرن الخامس وصنَّف كتاب المفاوضة للملك العزيز جلال الدولة .

٢- أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المعروف بالنامي كان من الشعراء البارزين في عصره .

٣- الصبح المنبي ص٨٠-.٨١

٤- المصدر السابق ص.٨١

قال ابن الدهان في(الماخذ الكندية من المعاني الطائية) : قال أبو فـراس لسـيف الدولة :إن هذا المتمشدق ، كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثـة الاف دينار عن ثلاث قصائد ،ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يـأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة بهذا الكلام(٩٦) .

وكان المتنبي يتحين الفرص لينال من شعراء بلاط سيف الدولة وكان دائماً ما يذكر في شعره هذا أنه لا يعيرهم اهتماماً وأنهم ليسوا له نظراء حتى يرد علـيهم ومن ذلك قوله:

أفِي كُلِّ يَومٍ تَحتَ ضِبْنِي شُويعِرٌ ضَعِيفٌ يُقاوِينِي قَصِيرٌ يُطاوِلُ
لِسانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنهُ عادلُ وقَلبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ منه هازِلُ
وأتعبُ من ناداكَ مَن لا تُجِـيبهُ وأغيظُ مَن عاداكَ منْ لا تشاكلُ
وما التـيه طـبى فيهم غـير أنني بغيضٌ اليّ الجاهلُ المتعاقلُ(٩٧)

ثم وصف شعره أوصافاً رائعة ووصف نفسه بأنه السمهري الذي زيَّن كتـف سيف الدولة وان شعره قد ذهب في الناس حتى إن الجميع يرويه بما فيهم الـدهر نفسه ، وان شعره هو الاصل و شعر الشعراء صدى لشعره يقول:

ومَـا أنَـا إلاّ سَمَـهريٌّ حَـملتهُ فزين معروضاً وراع مـسددا
وما الدّهرُ إلا من رواة قصائِدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدّهرُ منشدا
فسارَ بـِه مَـن لا يسيرُ مـشمراً وغنىَّ بـهِ مـن لا يغني مغَرِدا
أجزني إذا أنشدت شعـراً فأنـماً بشعـري أتاك المادحون مرددا
ودعْ كلّ صوتٍ غيرَ صوتِي فـإنّني أنـا الطـائرُ المَحكـيُّ والآخـرُ الصَّدى(٩٨)

---

١ – الصبح المنبى، ص.٨٨.

٢– ديوانه ص.٣٧٧.

٣– ديوانه ص.٣٧٣.

إذن شعر المتنبي في هذه المرحلة كان من الشعر الجيد الذي أشاد به أنداده كما أسلفنا القول في ذلك ، وقد ذكر المتنبي انه في هذه المرحلة قد بلغ شأواً بعيداً حتى إنه ينام ملء جفونه بينما الاخرون يسهرون لتحصيل الشعر والادب يقول:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي   وأسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أنامُ ملءَ جفوني عنْ شوارِدها   ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصمُ(٩٩)

ج- المرحلة الثالثة وهي التي تبدأ بقدومه إلى مصر وتمتد حتى رجوعه مرة أُخرى إلى الكوفة والقصائد التي قالها في هذه الفترة عرفت في تاريخ الأدب بالكافوريات لأنَّ معظمها كان قد قالها في كافور الإخشيدي ،مدحاً ورجاءً في أول الأمر ثم هجاه في آخره.

د- المرحلة الرابعة والاخيرة وهي التي تمتد من وصوله بغداد الى بلاد فارس وفي هذه الفترة من حياته قال مجموعة من القصائد سميت بالعميديات وهى التى قالها بالعراق فى مدح أبى الفضل ابن العميد؛ثم العضديات وهى التى قالها بفارس فى عضد الدولة بن بويه.

وشعر المتنبي في هذه الفترة الطويلة من حياته لم يكن في المديح فحسب بل إمتد شعره إلى الحكم والرثاء والهجاء أحياناً حيثما تقتضيه ظروف الحياة وإنْ كان المتنبي لا يميل إلى شعر الهجاء كثيراً ولكن على ندرة هذا الشعر عنده فقد قدر اليه ان يكون سبباً في قتله فقد روي أنَّه قتل بسبب قصيدته التي هجاء بهاء ضبة ابن يزيد العيني وقد جاء فيها:

مَا أنْصَفَ القَومُ ضَبَّة   وأمَّه الطُرْطُيَّة

وإنّما قلتُ ما قلتُ   رحمةً لا محبَّة

---

[1]- ديوان ص٣٣٣.

الباب الأول

بين المتنبي و كافور

الفصل الأول : حقيقة كافور وعظمته

كافور الإخشيدى هو: الأستاذ أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي الخادم الأسود الخصى صاحب مصر والشام والثغور، اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيد بثمانية عشر ديناراً من الزياتين وقيل من بعض رؤساء مصر وربّاه وأعتقه، ثم ربّاه حتى جعله من كبار القواد لما رأي منه الحزم والعقل وحسن التدبير[١].

وذكر ابن خلكان: "أنَّ كافوراً كان عبداً ببعض أهل مصر ثم اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة بمصر من محمود بن وهب بن عباس وترقي عنده إلي أن جعله أتابك ولديه"[٢].

ولما مات الإخشيد في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، أقام كافورٌ هذا أبناءه واحداً بعد واحد. وكان الذي ولىَّ أولاً أبا القاسم أنوجور بن الإخشيد ... ثم بعد موت أنوجور أقام أخاه أبا الحسن على بن الإخشيد .. وكان كافور هذا هو مدبر ملكها.[٣].

فقد كان كافور عاقلاً مدبراً لأمور الدولة لذلك أقامه الإخشيد على ابنائه بعد وفاته وقد كان شجاعاً قوياً. ذكر صاحب النجوم الزاهرة :" أنه لما مات الإخشيد اضطربت أحوال الديار المصرية فخرج كافور منها بابني الإخشيد وتوجه بهما إلي الخليفة المطيع لله، وأصلح أمرهما معه والتزم كافور للخليفة بأمر الديار المصرية ، ثم عاد كافور بهما إلي الديار المصرية ، وكان غلبون قد تقلب على مصر بعد موت الإخشيد في غيبة كافور ... فقدم كافور إلي مصر.. وحاربه وظفر به وقتله وأصلح أحوال الديار المصرية واستمر كافور مدبرها إلي أن مات أنوجود ثم مات على أيضاً

---

١ – ، النجوم الزاهرة، الأتابكي، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط، ١٩٣٣، ٤/ ١

٢ – ، وفيات الاعيان ، ابن خلكان ،تحقيق يوسف علي وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١ ١٩٩٨، ٣/.٥٢١

٣- ، النجوم الزاهر ،١/٤

في سنة خمس وخمسين وثلثمائة، واستغل كافور بالأمر وخُطب له على المنابر وتم أمره"[٤].

وذكر الأتابكي نقلاً عن الذهبي:" أن كافوراً تقدم عند الإخشيد صاحب مصر لعقله ورأيه وسعده إلى أن صار من كبار القواد...كان كافور شجاعاً مقداماً جــواداً يفضل على الفحول[٥].

وكان كافور الإخشيدي قد بلغ بمصر مبلغاً عظيماً لم يبلغه غيره من الخصيان حيث ذكر السيوطى في كتابه حسن المحاضرة ، أنه : لم يبلغ أحد من الخصبان مــا بلغ كافور ومونس المظفرى[٦].

وكان بعض أهل مصر يرى أن تولية كافور عليهم هو من هوان الدنيا علــى الله وكانوا يستصغرونه .ذكر محمد بن عبد الملك الهمزاني أنه: "كان بمصر واعــظ يقص على الناس ، فقال يوماً في قصصه انظروا إلي هوان الــدنيا علــى الله فإنــه أعطاها لمقصوصين ضعيفين: ابن بويه ببغداد وهو أشلُ وكافوراً عندنا بمصر وهــو خصي"[٧].

وكان كافور سياسياً استطاع أن يفرض سيطرته على أجزاء البلاد التي بلغــت في أيامه من مصر إلي الشام والثغور والحجاز[٨]. وكان ملكه قد زاد على ملك مولاه الإخشيد وكان خبيراً بالسياسة فطناً ذكياً جيد العقل داهية[٩].

وسياسته تتمثل في أنه كان يتخذ أسلوباً يستطيع به تسيير ملكه حيث كان يعمل على إرضاء صاحب دولة المغرب ويظهر ميله اليه، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء وتم له الأمر[١٠].

٤- المصدر السابق ٢٠/٤.

١- المصدر السابق، ٢٠/٤.

٢- السيوطي، حسن المحاضرة،مطبعة عيسى البابى الحلبي ،القاهرة،ط١، ١٩٦٧م، ١٤٠/١

٣ - المصدر السابق، ص١٥

٤- انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ح٣ ص٥٢٧

٥- ، النجوم الزاهرة ٦/٤

وهذه السياسة والعقل يتطلبان وزراء أذكياء حتى يُسيِّرُون أمر الدولة وكان له ذلك حيث اتخذ وزراء أقوياء مثل أبي الفضل جعفر بن الفرات[١١].

إذن قد قامت دولة كافور في مصر على السياسة والدهاء وقوة السلطان وقوة الساعد الأمر الذي مكنه من حكم هذه البلاد نيفاً وعشرين سنة ، ذكر ابن زولاق: أن كافوراً الإخشيدي الأستاذ أقام إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوماً يعنى أقام مدبر مملكة مصر من قبل ولدى أُستاذه وهما أنوجور وعلى ابنا الاخشيد محمد بن طغج وأقام هو فيها سنتين وأربعة أشهر وسبعة أيام مالكاً مستقلاً بنفسه[١٢].

وإذا لم يكن كافور سياسياً لما استطاع أن يحكم مملكة تتكون من مصر والشام والحجاز وهي تقع بين مملكتين عظيمتين إحداهما الدولة الفاطمية في المغرب والأخرى الدولة العباسية إذ كان كافور يستخدم الحكمة والذكاء والفطنة لتوطيد أركان مملكته الواسعة فإنَّه كان يفعل الأمر نفسه مع عامة رعاياه وعلمائه والوعاظ بمصر ذكر محمد بن عبد الملك الهزانى :" كان بمصر واعظ يقصّ على الناس ،فقال يوماً في قصته انظروا إلي هوان الدنيا على الله فانه أعطاها لمقصوصين ضعيفين ابن بويه ببغداد وهو أشلّ ، وكافور عندنا بمصر وهو خصى ، فرفع اليه قوله ، فظنوا أنه يعاقبه فتقدم له بخلعة ومائة دينار وقال لم يقل هذا إلاَّ لجفائى له ، فكان الواعظ يقول بعد ذلك في قصصه : ما انجب من ولد حام الا ثلاثة ، لقمان وبلال المؤذن وكافور"[١٣].

وكان كافور على هيبته هذه وعظمته ، شديد التقدير والإحترام لآل البيت العلوى وكان يذل نفسه ابتغاء مرضاتهم، فقد ذكر أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوى: "كنت أُساير كافور يوماً وهو في مركب خفيف فسقطت مقرعته من

٦- المصدر السابق والصفحة.

٧ – المصدر نفسه ٦٠/٤.

١- النجوم الزاهرة ٩/٤

٢ – ، حسن المحاضرة ، ص١٥

يده فبادرت بالنزول وأخذتها من الأرض ودفعتها إليه فقال أيها الشريف أعوذ بــالله من بلوغ الغاية ما ظننت أن الزمان يبلغني حتى تفعل بى هذا – وكاد يبكى – وأنــا صنيعة الأستاذ ووليه ، فلما بلغ باب داره ودعته وسرت ،فإذا أنا بالبغال والنجائــب بمراكبها ، وقال أصحابه أمر الأستاذ بحمل هذا إليك"[١٤].

وكان كان كافور بدارى عظماء دولته حتى لاينفرط عقد الدولة من الــداخل بينما المصائب والأخطار تحيط به من الخارج ،فقد ذكر أنَّ أبا شجاع فاتكا الرومــى الإخشيدى الذي يعُرف بالمجنون كان رفيقاً لكافور هذا وهو الأعظم مع طيش وخفــة صورة ، وكان كافور عاقلاً سيوساً، فكان كلما تزايد أمر كافور وعظم يزيد جنــون فاتك وحسده ، فلا يلتفت إليه بل يدرّ عليه الإحسان ويراعيه إلى الغاية.وكان الفيّــوم إقطاع فاتك المجنون ، فأستأذن فاتك كافور أن يتوجه إلي إقطاعه بــالفيّوم ويســكن هناك حتى لايرى عظمة كافور ، فأذن له كافور في ذلك وودعه فخرج فاتــك إلــي الفيّوم[١٥].

أما في مجال علمه بالقرآن الكريم ، فقد كان كافور الإخشيدى صاحب معرفة وبصيرة بالقرآن الكريم وأمور الدين ،فقد ذكر ابن خلكان قصته لكافور الإخشــيدى مع الشيخ عبد الله بن باجار الصوفي الزاهد ، فقد بعث كافور مبلغاً من المال إلي ابن باجار الصوفي الزاهد، في عيد الأضحى ولكن الشيخ الصوفي هذا قد رفض المال ، فقال كافور لرسوله امض اليه واطرق بابه ... ثم استفتح واقرا "بســم الله الــرحمن الرحيم ، طه ،ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي إلاّ تذكرة لمن يخشى ، تنزيلاً ممنْ خَلَقَ الأرْضَ والسَّمَواتِ العُلَى،الرَّحمَنُ علَى العَرْشِ اسْتَوَى ،لهُ مَا فِى السَّــمواتِ والأرْضِ ومَا بينهُما ومَا تَحْتَ الثَّرَى". فلما وصل الرسول وقال ما قاله له كافور أخذها وقال: علمنا الأستاذ كيف التصرفَ قل له: أحسن الله جزاءك ، قال فعدت إليه فأخبرته فسرّ

٣- المصدر السابق والصفحة.

١- النجوم الزاهرة ، ٤/٥،٤

بذلك ثم سجد لله تعالى شكراً ، وقال : الحمد الله الذى جعلنى سبباً لايصـــال الراحـــة لعباده[16].

وكان كافور يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجـــد ويمرغ وجهة ساجداً ويقول اللهم لا تسلط على مخلوقا [17].

وكان لكافور مائدة كبيرة تسع الفقراء والمساكين والمحتاجين الذين يتنزلـــون ساحته ، حيث ذكر ابن زولاق :"أنه كان ديناً كريماً وسِماطُه فـــي اليـــوم : مائتتـــا خروف كبار ومائة خروف رميس ، ومائتان وخمسون أوزة، وخمســـمائة دجاجـــة ، وألف طير من الحمام،ومائة صحن حلوى كل صـــحن عشـــرة أرطـــال ومائتـــان وخمسون قرابة أقسما"[18].

وكان يجيب العلماء والفقهاء يكرمهم ويتعاهدهم بالنفقات ويكثر الصدقات حتى استغنى الناس في أيامه[19]

ويبدو أنَّ كافوراً كان قد اتخذ سياسة اقتصادية رشيدة استطاع بهـــا أن يـــوفر الراحة والاكتفاء لشعبه حيث إن الناس في أيامه استغنوا حتى أرجعت أموال الزكاة إلى بيت المال. ذكر القلشندى في هذا:" أنه حتى لم يجد أرباب الأموال من يقبل منهم الزكاة فرفعوا أمر ذلك إليه"[20].

وقد امتدت عناية كافور ببناء المساجد والدور حيث أسس مصر عـــل أحســـن هيئة وكان لكافور عمالٌ مهرة فاستغل أموال الزكاة و أمرهم أن يبتنوا بها المســـاجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا[21].

١٦- ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣/٥٢٥، ٥٢٦

١٧- النجوم الزاهرة، ٤/٦

١٨- المصدر السابق ٤/٩.

١٩- الفلفشندى ، صبح الأعشى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١٩٨٧، ٣/٤٩٣.

٢٠- المصدر السابق ، الصفحة.

٢١- المصدر نفسه ، ٣/٤٩٣.

ولعل هذه الأموال الطائلة التي ابتنى بها كافور مصر لم تكن هي أموال الزكاة وحدها، ولكن يبدو أنَّ كافوراً كان يحث أهل الخير والمال على التصدق للمساكين والدولة مما هيأ له هذا الحكم . فقد ذكر ابن خلكان: أن كافوراً كان يَرْغَبُ في أهل الخير ويعظمهم(٢٢).

وإذا كان كافور سياسياً يستطيع أن يجارى الدولة التي تجاوره واذا كان رجلاً يحب آل البيت ويقدرهم وإذا كان قد استطاع أن يبسط سلطانه على دولة مصر التي كانت تمتد إلي الحجاز والشام والعراق وقد بنى مساجدها بأحسن حال وأمن الناس في أيامه حتى إن الزكاة قد فاضت في الناس، فهذا كله إنما يدل على أن الناس كانوا يحبونه وليس هناك من يعارضه وينغص عليه ملكه، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا يعنى من جهة أخرى أن أهل مصر كانوا على ثقافة إسلامية عالية حيث إن هم كانوا يطيعون ولى امرهم كافوراً وهذا تصديقٌ لقوله تعالى: " يايّها الذِينَ آمَنوا أطِيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ وأولِي الأمرِ مِنكُم"(٢٣).وكان كافور رجلاً مرحاً يمزح مع أفراد دولته بالشئ الذي يمكنه من قيادتهم ، فقد كان باشاً يحب أفراد دولته ويمازحهم. ذكر ابن خلكان : أن غلاماً دخل على كافور فقال كافور للغلام ما اسمك؟ قال الغلام: كافور . فقال: نعم ما كل من اسمه محمد نبى(٢٤).

وبالإضافة إلي الفطنة والذكاء الذي كان يتصف به كافور فقد كان عالماً باللغة والنحو والأدب قال الحسين بن أذين النحوى : حضرت مع أبي مجلس كافور وهو غاصٍ بالناس ، فقام رجل فدعا له، وقال في دعائه : أدام الله أيامِ مولانا (بكسر الميم من أيام) فأنكر كافور والحاضرون ذلك فقام رجل من أواسط الناس فقال:

لاغرو أنّ لحنَ الداعِي لسيدِنا ... أوغُصّ مِن دَهَشٍ بالرِّيقِ أو بَهْرِ
ومثْلُ سيدِنا حالتْ مهابتُه ... بينَ البليغِ وبينَ القولِ بالحَصْرِ

٢٢- ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ٥٢٢/٣

٢٣ - سورة النساء الآية ٥٩

٢٤- وفيات الاعيان ، ٤٢٥/٣

فإنْ يَكنْ خفضَ الأيامَ منْ غلطٍ   في موضعِ النّصبِ لا مِن قِلة البَصرِ
فــقدْ تفاءلتُ مــنْ هذا لســيدِنا   والفـــالُ مأثورةٌ عــن ســيدِ البشرِ
بأنّ أيامـــه خفــضٌ بلا نصبٍ   وأنّ أوقـــاتَــه صــفــوُ بلا كَــدَرِ

فعجب الحاضرون من ذلك ، وأمر له كافور بجائزة[٢٥]. وحكى عن المتنبي أنه قال: كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إلىَّ ويبش في وجهى إلي أن أنشدته.

ولمّا صَارَ وُدُّ النّاسِ خِبّاً   جَزَيتُ علَى ابتسامٍ بابتسامِ

قال : فما ضحك بعدها في وجهى إلي أن تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه[٢٦]

فالمتنبي في البيت السابق يرى أن كافوراً كان منافقاً ومعنى البيت : لما نافقننى الناس بالوداد ، عاشرتهم كما عاشرونى وجازيتهم ابتساماً على ابتسامهم[٢٧]. ففهم كافور هذه الإشارة فلم يضحك بعد ذلك إلي المتنبي.

وهذه المعرفة باللغة والأدب قد اكتسبها كافور من المجالس الأدبية والنحوية التي كانت تعقد بمصر ، وكان يقرب إليه الشعراء ، ذكر الذهبي: أن كافوراً كان يدنى الشعراء ويجزيهم ، وكانت تقرأ عنده في كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية[٢٨]

وكان له نظرة في العربية والأدب والعلم[٢٩]. ولعله كان قد أفاد أيضاً من العلماء الذين كانوا في خدمته. ومِمَّن كان في خدمته أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله النجيرمى النحوى صاحب الزجاج[٣٠]. وكان وزيره ابن الفرات عالماً . وكان يملى

٢٥- الأتابكي، النجوم الزاهرة ، ٣/٤

٢٦- وفيات الأعيان ، ٥٢٣/٣

٢٧- أبو العلاء المعرى، معجز أحمد، دار المعارف د.ط ، دا١.ت ١٣٨/٤

٢٨- النجوم الزاهرة/، ٦/٤

٢٩- المصدر السابق والصفحة.

٣٠- المصدر نفسه والصفحة.

الحديث بمصر وبسببه خرج الدار قطنى إلي هناك[٣١].ومعرفته باللغة والأدب تتجلى في ما يبديه من تعليق على بعض ما يقال في مجلسه ، فقد روى أن المتنبي عنـــدما أنشده قوله:

وقد قتل الأقران حتّى قتلته   بأضعفَ قرنٍ فِي أذل مكانِ

قال كافور: "بل بأشد قرن فى أعز مكان"[٣٢]

٣١- ابن شاكر، فوات الوفيات ، دار صاد بيروت،/ د،ط، ص ٢٩٢

٣٢- التبيان ٢٤٤/٢

الفصل الثاني:

طموح المتنبي قبل لقاء كافور

كان أبو الطيب المتنبي قبل أن يلقي كافوراً الإخشيدي أحد شعراء مجلس سيف الدولة بل هو شاعر سيف الدولة الأول إذا صح هذا التعبير، وقد استطاع في فترة وجيزة بعد وصوله حلب أن يكون شاعر سيف الدولة على الرغم من أن هناك شعراء كبار أمثال أبي فراس الحمداني وأبي العباس النامي وأبى الفرج الببغاء وغيرهم.

ولم تكن حال المتنبي سعيدة قبل لقاء سيف الدولة، حيث ذكر صاحب حيثية المتنبى أنه: "لم يزل بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال في بلاد الشام حتى اتصل بأبي العشائر ومدحه"(٣٣).

وكان أبو العشائر والي أنطاكيه من قبل سيف الدولة ، وقد أراد السفر ذات يوم فمدحه المتنبي بقوله:

النّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أشْباهٌ — والدّهْرُ لَفظٌ وأنْتَ مَعنَاهُ
والجُودُ عينٌ وفيكَ ناظرُهُ — والنّاسُ باعٌ وفيكَ يُمنَاهُ

فأكرمه أبو العشائر وعرف منزلته... ولما قدم سيف الدولة إلي أنطاكيه قدم المتنبي إليه وأثنى عنده له وعرّفه منزلته من الشعر والأدب(٣٤).

وطموح المتنبي بدأ يظهر من هذا التاريخ ،حيث ذكر البديعي: "أنَّ المتنبي اشترط علي سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مدحة لا ينشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه ، فنسب إلي الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط"(٣٥).

إذن كان المتنبي يتطلع إلي هدف أسمي في مجلس سيف الدولة وهذا الهدف لا يتحقق إلا بإملاء بعض الشروط، فهو إذن ليس مثل شعراء سيف الدولة ولابقية

٣٣- البديعى، الصبح المتنبي، ص٦٨.

٣٤- المصدر السابق، ص٧١

٣٥- المصدر نفسه والصفحة.

الشعراء وقد مدح المتنبي سيف الدولة بمدائح كثيرة ظهر فيها ما كان يطمح إليه من ذلك ،وقد كان المتنبي مترفعاً متعالياً على الناس جميعاً لا سيما سيف الدولة بن حمدان وقد ظهر هذا خلال شعره فيه.وكان يرى أنه أعلم أهل زمانه بالدنيا ،وأنه أعلمهم بالحرب وفنونها يقول:

ومَنْ يَعْرِفِ الأيّــامَ مَعْرِفَتي بِــها   وبِالنّاسِ رَوّى رُمْحَه غَيرَ رَاحِــمِ
إذا جُلتُ لَمْ أتْرُكْ مَجَالاً لفَاتِــكٍ   وإنْ قلــتُ لَــمْ أتْــرُكْ مَقَــالاً لِعَــالمِ(٣٦)

ثم يبدأ المتنبي حربه على نظائره الشعراء فهو لا يراهم إلا كالصدى الذي يردد الصوت الأصل وأن شعره بلغ الناس جميعاً حتى إن الذي لا يتغنى أصبح يتغنى بشعرالمتنبي يقول:

ومَــا أنَا إلاّ سَــمْهَــرِيٌّ حَمَــلْتَهُ   فَزَيّــنَ مَعْرُوضَاً ورَاعَ مُســدَّداً
ومَا الدَّهْرُ إلاّ مِنْ رُواةِ قَصَائِــدى   إذا قُلتُ شِعرَاً أصْــبَحَ الــدّهرُ مُنْشِداً
فَسَارَ بِه مــَنْ لا يَــسيرُ مُشَمِّرَاً   وغَــنَّى بِــــه مَــنْ لا يُغَنِــي مُغَرِدَا
أجِزْنِى إذا أنْشِدتُ شِتِعراً فإنّــما   بِــــشعرِي أتــاكَ المَــادِحونَ مُــرَدّدَا
ودَعْ كلَّ صَوتٍ غَيرَ صَوتِى فَإنّنى   أنا الطــائرُ المَحْكّــى والآخــرُ الصَّدَى(٣٧)

وكان المتنبي يرى أن الذي يطمح إليه كبير لذلك ليس عجيباً أن يقل مساعدوه وهذا الذي يطمح إليه صعب المنال حتى إن الليالي كانت تقف دونه فيه يقول:

أهِمُّ بِشَئٍ والليــــالِي كأنــــَّـــــها   تُطَــارِدُنِى عــــنْ كَــــونِه وأُطَارِدُ

٣٦- ديوانه ، طبعة دار الجيل ، ص٢١٠.

٣٧- ديوانه ، ص٣٧٣.

وحيدٌ مِن الخِلاّنِ فِـي كـلِّ بلـدةٍ   أذا عَظُـمَ المطلـوبُ قـلَّ المُسَاعِدُ[38]

ثم يكيل الكيل مرة أخرى للشعراء فهو لا يرى شاعراً أمامه وإنما هـم شـكاة ودعاة يقول:

خليليَّ إنِّي لا أرَى غَير شاعرٍ   فَكَم مِنهُم الدَّعوَى ومِنّى القَصَائِدُ[39]

ثم يصرّح المتنبي بالشئ الذي كان يطمح إليه وهو المجد الذي طالما ذكره في شعره وهو ترك الذكرى الطيبة في الناس وهو الترفع عن هبة الناقص والتنزه عـن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلي أن تشكره يقول

ولا تَحْسَبَـنّ المَجْـدَ زقّـاً وقَيْـنَةً   فَمَا المَجْدُ إلاّ السَّيفُ والفَتْكَـةُ البِكر

وتضـريبُ أعـنـاقِ المـلـوكِ   لـكَ الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ

وتَرْكُـكَ فِـي الدُّنـيا دَوِيّاً كَأنّـمَا   تَدَاولَ سمـعَ المَـرءِ أنمُلُـهُ العَشْـرُ

إذا الفَضْلُ لمْ يَرْفَعكَ عَنْ شُكْرِنَاقِصٍ   عَلَى هِبةٍ فَالفَضْلُ فِـيمَنْ لـهُ الشُّكرُ[40]

وترفع المتنبي وتعاليه هذا لم يكن في مكان المديح والفخر فحسب بل امتد بـه إلي العزاء بل امتد تعاليه على عشيرته نفسها بل على جدته التي تربى في أحضانها ، فهو يقول في رثائها.

ولوْ لمْ تَكونِى بِنْتَ أكْرمَ والدٍ   لكانَ أباكِ الضّخْم كونُكِ لِي أمّا[41]

٣٨- ديوانه، ص٣١٨ ، ٣١٩.

٣٩- ديوانه، ص٣١٩

٤٠- البروقي، شرح ديوان المتنبي ، دار الكتاب العربي بيروت، د،ط، ١٩٨٦، ٢/٢٥٣، ٢٥٤.

٤١- ديوان المتنبي ، طبعة دار الجيل ، ص١٧٥.

وكان المتنبي الذي يطلب المجد والعلاء يعلم أن الطريق إليه ليست ممهدة ولكن لابد من توطيد النفس على تحمل المكاره حتى يصل إلي غايته التي يطمح إليها يقول:

إذا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقْنَع بِمَا دُونَ النّجومِ
فَطَعْمُ المَوتِ فِي أمْرٍ حَقيرٍ كَطَعْمِ المَوتِ فِي أمرٍ عَظِيمِ[42]

ثم بلغ التيه بالمتنبي ما جعله يدعي أنه خير من تسعي به قدم وأنه هو الذي يعرفه الليل والخيل والسيف والقلم وأنه ينام عن غريب اللغة بينما يسهر الآخرون في طلبها يقول:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنّني خير من تسعى به قدم
أنَا الذي نَظرَ الأعْمَى إلي أدبِى وأسْمَعَتْ كَلماتِي مَنْ بِه صَمَمُ
أنام ملءَ جفونى عَن شواردِها ويَسهَرُ الخلقُ جَرّاهَا ويَخْتَصِمُ
الخَيلُ واللّيلُ والبَيداءُ تَعَرِفُنِى والسّيفُ والرّمحُ والقُرْطاسُ والقلمُ[43]

ثم يصرّح في آخر القصيدة بالرحيل ويلوّح به في قوله:

إذا تَرَحّلتَ عن قومٍ وقدْ قدروا أن لاتفارقهم فالراحلون همُ
شرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ به وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[44]

ثم يتحول هذا الطموح إلى أسىً وحزنٍ بل إلي حالة نفسية أصبح يعاني منها الشاعر وخاصة في البيتين الأخيرين من القصيدة السابقة حيث يشير البيتان إشارة واضحة إلي أن الشاعر قد ضاق ذرعاً بحاله التي هو فيها ، فالبلاد تحولت فجأة إلي شر وقلّ أصدقاؤه فيها ،وكسبه فيها اصبح ندماً وحسرة، فاصبح يفكر في ملك جديد يستريح عنده ونفس طيبه تغدق عليه ليس بالمال كما فعل سيف الدولة ومن سبقه من ممدوحيه وإنما تجود عليه بالولاية ليتحقق هذا الطموح ، الذي كان منذ فجر صباه

٤٢- ديوانه ، ص٢٣٢.
٤٣- ديوانه ، ص٣٣٢.
٤٤- نفسه ، ص ٣٣٣.

يصبو إليه وقد قضى أياماً غير قليلة من شبابه بحثاً عنه وهاهو يدخل سن الكهولـــة، إذن قد آن الأوان أن يرى ثمار ما كان قد أعدّ له نفسه منذ زمن بعيد، ولكـــن هـــذه الحالة التي هو فيها كثيراً ما تتحول إلي نزعة عنصرية يمجد فيها العرب وملـــوكهم ويستفز فيها ملوك العجم ، فهي حالة اعترته في فترة من حياته ، ولعله كان قد صرّح بهذه النزعة في فترة باكرة من شبابه عندما نزل اللاذقية ومدح التنوخيين بكثير مـــن مدائحه ، وعرّض بغير العرب من الملوك ، بل يعرض بـــالعرب الـــذين ارتضـــوا لأنفسهم حكاماً غير عرب يقول:

وإنّما النّاسُ بِالمُلُوكِ وَمـــَا | تُفلح عُرْبُ مُلوكُها عَجَمُ
لا أدبٌ عندَهم ولا حَسَبٌ | ولا عُهودٌ لهم ولا ذمـــمُ
بِكلّ أرضٍ وطئتها أمـــمٌ | تُرْعَى بِعبدٍ كأنها غـــنمُ
يستخشنُ الخزَّ حينَ يَلمَسُهُ | وكانَ يُبرَى بِظُفْرِه القـــلَمُ(٤٥)

وفي قصيدة أخرى مدح بها المتنبي المغيث بن بشر بن على العجلى في فترة زمنية قريبة من القصيدة السابقة ، حمل فيها على الملوك العـــرب الـــذين يســـلمون قيادتهم إلي ملوك غير عرب و كان قد رتب لنفسه مكانه عالية مـــن مقـــام هـــؤلاء الملوك ومقاماً ارفع من مقامهم يقول:

فؤادٌ مَا تُسَّـــلِيهِ المُـــدَامُ | وعُمْرٌ مِـــثْلُ مَا تَهَبُ اللِّئَامُ
ودَهْـــرٌ نَاسُهُ ناسٌ صِغَارٌ | وإنْ كَانَتْ لَهُم جُثَثٌ ضِخَامُ
ومَا أنَا مِنْهُم بِالعَيْشِ فِيهِم | ولكـــنَّ مَعدنَ الذَّهَبِ الرِّغَامُ
أرَانِبُ غَيرَ أنَّهم مُلـــوكٌ | مُـــفَتَحَةٌ عُيـــونُهُـــم نِـــيامُ(٤٦)

هذه هي طبيعة المتنبي فهو يسمو بشعره فوق اقدار الناس جميعاً، حتى لو كان هؤلاء الناس ملوكاً عرباً ،فما بالك لو أنه ذهب إلي ملك من غير العرب مثل كـــافور فماذا هو قائل فيه ياترى ؟.. لكن المتنبي شاعر حكيم يستطيع أن يساوى بين أطراف

٤٥- ديوانه طبعة دار الجيل ، ٩٣.

٤٦- ديوانه ، ص١٠١

كلامه ، فبينما كان الناس يتوقعون منه كلاماً مثل الذي سبق عندما يلتقى كافوراً ، بل قد فعل العكس عندما مدحه وعرّض بسيف الدولة وذلك في أول قصيدة مدح بها كافوراً الأخشيدى.

قَواصِدَ كافورٍ تَوارِكَ غيرِه ومَن قصَدَ البَحْرَ استَقَلّ السّواقِيَا(٤٧)

فهو في البيت يُشَبِّه كافوراً بالبحر بينما يجعل من كل من مدحهم قبله سواقياً ،وكان من بينهم سيف الدولة بن حمدان ،ثم توجه المتنبي إلى مصر ويبدو أنه لم يستأذن من سيف الدولة بالذهاب إلي مصر، فقد أورد صاحب الصبح المتنبي قوله: " ولما عزم أبو الطيب على الرحيل من حلب وذلك سنة ست وأربعين وثلثمائة لم يجد بلداً أقرب إليه من دمشق ، لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة فسار إلي الشام ، وألقى بها عصا تسياره" (٤٨).

فالمتنبي لم يسلك طريق حمص خوفاً من أن يقبض عليه واليها من قبل سيف الدولة ويعيده اليه ، لذلك اتخذ طريقاً أخرى وهى طريق دمشق ، وكانت دمشق والرملة وماليها من أعمال الأخشيد . ذكر البديعي في الصبح المنبي : "أنَّه كان بدمشق يهودى من أهل تدمر يعرف بابن ملك من قبل كافور ملك مصر، فالتمس من المتنبي أن يمدحه فثقل عليه فغضب ابن ملك وجعل كافور الإخشيدى يكتب في طلب المتنبي".(٤٩)

يبدو من الخبر أن المتنبي ما زال في أنفته وغروره ، فهو أن قدر له أن يمدح عامة الناس فلا يمدح اليهود ولعل هذا هو الذي جعل ابن ملك يرد على كافور الإخشيدى " أن أباالطيب المتنبي قال: لم أقصد العبد وإن دخلت مصر فما قصدى إلا ابن سيده"(٥٠)

٤٧- ديوانه طبعة دار الجيل ، ص

٤٨- البديع ، الصبح المتنبي ، ص١١٠

٤٩- المصدر السابق والصفحة

٥٠- المصدر نفسه والصفحة

ويبدو أن هذه الرواية غير صحيحة ، وذلك لأن المتنبي حينما نزل مصر لم يقصد دار ابن سيده كما ذكرت الرواية بل ذهب إلي كافور ومدحه بأجمل الأبيات.

ومن دمشق سار أبو الطيب إلي الرملة " فحمل اليه أميرها الحسين بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه ، وحمله على فرس بمركب ثقيل ، وقلده سيفاً محلى" [٥١]

هذه الهدايا والخلع والمركب الثقيل تدل على مكانة هذا الشاعر وشهرته التي كانت قد بلغت الآفاق في ذلك الزمان، وما من ملك ولا أمير إلا ويتمنى أن ينزل عنده الشاعر الكبير فإذا نزل عنده أغدق عليه وأكرمه حباً في مدائحه وشعره الذي يذهب في الناس.

وكان كافور قد سمع كثيراً بهذا الشاعر العظيم وكان يتمنى لو أنه جاء إلى بلاطه، فلما بلغه الخبر أنه بلع الرمله، قال لأصحابه اترونه يبلغ الرمل ولا يأتينا؟ ... ثم كتب كافور يطلبه من أمير الرملة فسار إليه[٥٢].

ولعل المتنبي كان ينتظر هذه الفرصة حتى يحقق غايته التي كان يصبو إليها ويبدو أنه قد أوشك على تحقيقها حسب رأيه ، ويبدو أنه مما ذكرنا من أبيات أن المتنبي كان يطمح في حكم مصر ، فهو في تعريضه السابق بملوك العرب الذين ارتضوا لأنفسهم ملوكاً غير عرب يقول:

و إنّما النّاسُ بالملوكِ ومَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلوكُها عَجمُ[٥٣]

ثم ينأى بنفسه عن هؤلاء العرب الذين يمجدون غير العرب في قصيدة أخرى.

ومَا أنَا مِنهُم بالعَيْشِ فِيهِمُ ولكنْ مَعْدِنَ الذَّهَبِ الرِّغَامِ[٥٤].

فإذا كان العرب لا يفلحون لأنهم ارتضوا لأنفسهم بالحكام الأعاجم، وهو لم يكن من هؤلاء في شئ فلماذا إذن قصد مصر وهو يعلم أنَّ كافوراً من هؤلاء الأعاجم

٥١- نفسه ص ١١٠

٥٢- البديعى ، الصبح المتنبي، ص١١٠.

٥٣- ديوانه ، طبعة دار الجيل ، ص٩٣

٥٤- المصدر السابق ص١٠١

الذين حكموا البلاد العربية ، فليس هنالك تفسير لذلك إلا حبه للرئاسة وخلع الأمير الأعجمي بمصر والتخلص منه ،وفي شعره ما يشيرُ إلى أنه كان يحفظ سراً في نفسه وحاجة لا يعلمها أحد ومن ذلك قوله:

وللسرِّ مِنِّى مَوضِــعٌ لايَــنَالُه نَديمٌ ولا يُفْضِي إليه شَرابُ[٥٥]
وفِي النّفسِ حاجاتٌ وفِيك فِطَانَةٌ سكوتِى بيانٌ عنْدَها وخِطابُ[٥٦]

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه ما رواه ابن خلكان في وفياته : "مــن أن كــافوراً كان قد وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تعاليه في شعره وسموه لنفسه خافه، فقال ياقوم: من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، أما يدعى المملكة مع كافور" [٥٧].

إذن كان كافور يخشى المتنبي من ناحية السلطان السياسى على مصر وذلــك لأن المتنبي قد أظهر من التعالي والطموح في شعره ما جعل كافور يحس بالخطر من هذا الرجل لذلك لم يف بوعده في توليته بعض الأعمال، ومن هذا الشعر قوله:

وفِي النّاسِ مَن يَرْضَى بِمَيسُورِ عَيشِه ومَركُوبُه رِجْلاهُ والثّوبُ جِلدُهُ
ولكــنّ قلْباً بــينَ جَنبّى مَــــــالَهُ مَدَى يَنتهِى بى فِي مرادٍ أحُدُّهُ [٥٨]

وكان المتنبي قد عرف أنَّ كافوراً بدأ يشك في هذا الطموح وهذه الخطة لذلك طلب منه أن يجربه أولاً لعله يكون له بعد ذلك ساعداً أيمنــا ،وإلا تركــه وشــأنه، يقول:-

فكنْ فِي اصْطِناعِي مُحسناً كَمُجَرِبٍ يُبِنْ لكَ تَقريبُ الجَوادِ وشَدُّهُ
إذا كُنتَ فِي شَكٍّ مِن السّيف فابْلُهُ فإمــّا تــنفيه وإمــّا تُعــِدُّهُ [٥٩]

وكان يتواضع أحياناً كثيرة في هذا الطلب مثل قوله:

٥٥- ابو العلاء المعرى،معجز أحمد ، ١٥٠

٥٦- المصدر السابق ، ص١٥٧

٥٧- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٢٢/١

٥٨- ابو العلاء المعرى، معجز أحمد، ٧٠/٤

٥٩- المصدر السابق والصفحة.

أبا المِسْكِ هلْ فِي الكأسِ فَضْلٌ أَنالُه فإنّـــي أُغَنّى مُنذُ حينٍ وتشربُ
وهــبتَ عَلَى مــِقدَارِ كَــفَي زَمــَانِنا ونَفْسِى عَلَـــى مِقْــدِارِ كَفيــكَ تَطلُبُ
إذا لــم تَــنُطْ بِى ضَــيعَةً أوْ ولايـــةً فَجُــودُكَ يَكْسُــونِي وشُــغْلُكَ يَسْلُبُ(٦٠)

إذا كان الذي ذهبنا إليه من أنَّ المتنبي كان يتحين الفــرص ليطــيح بســلطان كافور الإخشيدى، فمن هم الرجال الذبن سيقفون معه في هذا العمــل الكبيــر وهــل المتنبي وحده يستطيع تغيير هذا الملك الذي كان يمتد من الحجاز إلـــى الشـــام؟ إذن هنالك نفر كريم أعدهم المتنبي لذلك أو هو ما يزال يعدهم لهذه المغــامرة الكبــرى. ولعل شعره يجيب على كل هذه التساؤلات.

ذكر المعرى في شرحه لديوان المتنبي قصة فاتك المجنون بقوله:كان في أيام كافور مقيماً بالفيوم ، من أعمال مصر وهو بلد كثير الأمراض لايصح بــه الجســم، وإنما أقام به أنفة من الأسود وحياء من الناس، أن يركب معه وكان الأسود يخافــه ، ويكرمه فزعاً وفي نفسه ما في نفسه، فاستحكمت العلة في بدن فاتك وأحوجتــه إلـــى دخول مصر فدخلها ، ولم يمكن أبا الطيب أن يعوده ، وفاتك يسأل عنــه ويراســله بالسلام ، ثم التقيا بالصحراء، فحمل إلى منزله للوقت هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ثم اتبعها هدايا بعدها.(٦١)

ففي هذا الخبر عدة أشياء نقف عندها أولها:أنَّ فاتكاً كان ذا أنفة فيمـــا يخــص كافوراً الإخشيدى وكان كافور يخافه ويكرمه فزعاً ،والشئ الآخر أن كافوراً لم يمكن أبا الطيب من زيارة فاتك، وثالث الأشياء أنهما إلتقيا في الصحراء ثم حمل إليه هدية مقدارها ألف دينار ذهباً.

٦٠- المصدر نفسه ، ١٠٨/١٠٧/٤

٦١- المصدر نفسه، ٢٠٤/٤

فإذا وقفنا عند هذه الأشياء الثلاثة شيئاً فشيئاً نتبين أن الذي يفيده الخبـــر الأول هو أن فاتكا كان شجاعاً قوياً تهابه الناس جميعاً بما فيهم كافور الأخشيدى. أما الخبر الثاني فأنه يفيد أن هنالك خطة بين الرجليين (فاتك والمتنبي) وكان كافور يخشى أن يلتقي الرجلان لأن التقائهما معناه نهاية مملكة كافور وهو ما ذهبنا إليه.أمـــا الخبـــر الثالث : فإن الرجلين كانا قد إلتقيا بالصحراء، وهذا اللقاء لاشك أنه كان ســرياً ثــم أعطى فيه فاتك ألفاً من الدنانير الذهبية للمتنبي وفي أي شئ يســتخدم هــذا المبلــغ الكبير؟.

إذن فاتك المجنون هذا هو أحد الرجال الذين كان يعوّل عليهم المتنبي في قلب نظام كافور الأخشيدى فما هو فاتك المجنون هذا ؟.

ذكره ابن خلكان فقال: "كان رومياً أُخذ صغيراً ... من بلد بالروم من موضع غرب حصن يعرف بذي الكلاع فتعلم الخط بفلسطين، وهو ممن أخذه الإخشــيد مــن سيده بالرملة كرهاً بلا ثمن، فأعتقه صاحبه وكان معهم حراً في عدة المماليك، وكان كريم النفس، بعيد الهمة، شجاعاً كثير الإقدام، ولذلك قيل له (المجنون)، وكان رفيــق الأستاذ كافور في خدمة الإخشيد فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في تربيـــة ابــن الأخشيد أنف فاتك من الإقامة بمصر كى لا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتـــاج أن يركب في خدمته"[٦٢].

وما مدحه به المتنبي من الشعر يجرى فيما ذهبنا اليه مثل قوله:

لايُدْرِكَ المَجْدَ الاّ سَيّدٌ فَطِنٌ		لما يَشُقُّ عَلى الساداتِ فَعّالُ
لاوارثٌ جَهِلَتْ يُمناهُ مَا وَهَبَتْ		ولا كسوبٌ بِغيرِ السّيفِ سآلُ
قالَ الزَّمانُ لهُ قولاً فَأَفْهَمَه		إنّ الزَّمانَ علَى الإمساكِ عَزّالُ[٦٣]

فهو يصفه بالسيد الفطن الذكى الذي يراعي أحوال الناس ويتحمل المشاق التي تشق على سائر السادات، وأنه لم يرث هذا المال من آبائه بل كسبه بسيفه من قهــر

٦٢- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤٥٩/٣

٦٣- ديوانه ، ٤٨٧

الرجال والأعداء ولم يجمعه بالسؤال. ثم يسترسل في مدحه كأنما يجهزه بهذا المدح لليوم الذي ينتظرهم وهو يوم القضاء على ملك كافور ، يقول فيه:

أبو شجاعٍ أبو الشُّجْعَانِ قَاطِبةً ... هَــولٌ نَمَته مِن الهيجَاءِ أهْوالُ
تَمَلّكَ الحَمْدَ حَتَــّى مَا لِمُفــْتَخِرٍ ... فِي الحَمدَ حاءٌ ولا ميمٌ ولا دالُ
علَيه مِنـــه سَرابيلٌ مُضَاعَــفةً ... وقَــدْ كفاه مِــن الماذِيّ سِرْبَالُ[٦٤]

فهو أبا الشجعان جميعاً بما فيهم كافور ، وهو قد استولى على الحمد كله حتى لم يبق لأحد شئ من الحمد وأجزائه ، وهو قد لبس سرابيل من الحمد بينما في الحرب يكفيه سربالُ واحد وهو درعه.

ولكن المنية عجلت بفشل هذا المخطط عندما مات أبو شجاع فاتك بمصر وقد قال المتنبي أبيات يبكي فيها هذا الرجل ويبكي على الخطــة التــي أوشــكت علــى الضياع يقول في رثائه:

الحُزْنُ يُقْلِقُ والتَّجَمّلُ يَرْدَعُ ... والدَّمْعُ بَينَهُما عَصِيُّ طِيّعُ
يتنازعانِ دُموعَ عينِ مُسَهّدٍ ... هَذا يَجيءُ بِها وهَذا يَرجَعُ
النومُ بَعدَ أبِى شُجاعٍ نَافــِرٌ ... والليلُ مُعْيٍ والكواكبُ ظُلّعُ[٦٥]

فالحزن يحمله على الجزع والتجمل يردعه عن الجزع فهو متحير بين الاثنين بينما الدمع ينهمر، فالليل بعد أبي شجاع بطئ الكواكب .

ثم يذكر المتنبي أنه لم يكن هو وحده الذي فقده بل أشياء كثيرة فقدته:

مَن لِلمَحَافِلِ والجَحَافِلِ والسّــُرَى ... فَقَدَتْ بِفَــقْدِكَ نَيراً لا يَطْلُعُ
ومَن اتخذتَ عَلَى الضُّيوفِ خَلِيفةً ... ضَاعُوا ومِثْلُك لا يَكادُ يُضَيّعُ

إذن افتقدته الجيوش التي كان يقودها والمحافل التي كان يرأسها والليل الــذي كان يسير فيه، والضيوف الذين كان لايضيعون عنده.

٦٤- معجز أحمد، ، ٢١٦/٤.
٦٥- المصدر السابق، ٢٢٠/٤ - ٢٢١

والمنية عجلت أيضاً بموت رجل آخر من رجاله الذين كان يعوّل عليهم وهــو شبيب بن جرير العقيلى.

وكان الأستاذ أبو المسك اصطنع شبيباً بن جرير العقيلي، فقلّده عمّان والبلقــاء وما بينهما من البرّ والجبال، فعلت منزلته وزادت رتبته واشتدت شوكته.([66])

ويبدو أن هذا الرجل أراد أن يستغل قوته وشجاعته في الخروج على كــافور الأخشيدى فحاول أخذ دمشق والاستقلال بها.

فخرج إليها في عشرة ألف جندى وبينما هو يجادل في شوارع دمشق سقط هذا الرجل قتيلاً ولكن دون طعن بسهام أو رماح أو سيف واختلف الناس في أمره وانهزم أصحابه لما راوا ذلك.([67])

وقد طلب كافور من أبي الطيب المتنبي أن يذكر ذلك فأنشده قوله:

عَدُوّكَ مَذْمُومٌ بِكــُلِّ لِسَانِ ولوْ كَانَ مِنْ أعْدَائِكَ القَمَرَانِ([68])

وهذه القصيدة أراد المتنبي أن يمدح كافوراً بها وهو الملك يومئذ فلابد من أن يصف مثل هذه الأحداث، ولكن المقتول كان من رجال المتنبي، وأنه كان قوياً شجاعاُ فصعب على المتنبي أن يمدح كافواً دون التعرض لصفات شبيب العقيلي ، فقال هــذه القصيدة التي بدأها بعبارة تطيب خاطر كافور، وهي أن عدوه مهما كانت مكانته فأنه مذموم حتى لو كان هذا العدو الشمس أو القمر.

ثم أبت عليه نفسه إلاّ يذكرأحد أعوانه الذين كان يعــوّل علــيهم فــي حكمــه المفترض ونسى أنه كان يمدح كافوراً واتجه إلي ذكر شبيب بقوله:

وقَدْ قَتَلَ الأقْرَانَ حَتّى قَتَلْتَه بأضْعَفَ قِرْنٍ فِي أذَلّ مَكَانِ
أتــته المَنِيّةُ فــي طَرِيقٍ خَفِيّةٍ علَى كُلِّ سَمْعٍ حَولَهُ وعِيَانِ
ولوْ سَلَكَتْ طُرقَ السِّلاحِ لرَدَهَا بِطولِ يَمينٍ واتساعِ جَــنانِ([69])

١– معجز أحمد، ١٢٥/٤

٢– انظر السابق،١٢٥,١٢٦/٤ -

٦٨ ـ ديوانه ص٤٧٥

١–المصدر السابق ١٢٦/٤ ٦٩ -

فهو لم يذل يقتل الأقران حتى قتلته الأقران بأضعف قرن في أخس مكان، وأن الموت قد أتاه من حيث لا يشعر به هو ولاأصحابه ولو جاءته المنايا عن طريق الحرب لردها بطول يمينه وسعة قلبه.

يقال إن كافوراً لما سمع قول المتنبي (بأضعف قرن بأذل مكان) صعب عليه وهذا فقال: " بل بأقوى قرن في أعز مكان " (٧٠)

أذن شبيب العقيلى كان ساعد المتنبي الآخر الذى كان يعتمد عليه فى فكرته التى أصبحت واضحة من خلال ما وقفنا عليه من نصوص . ولكن من هم بقية رجاله الأقوياء ، فالدولة تحتاج إلى رجال شجعان بجالدون عنها ؟

هم أولئك الذين ذكرهم فى قصيدته التى قالها بالكوفة ،يرثى بها أبا شجاع فاتكاً، وفى هذه القصيدة ذكر جماعة من الفتيان، لعله كان يعدهم ويجهزهم لتنفيذ مخططه الذى ذكرناه ، ولكن عندما فشلت الخطة بموت أبي شجاع فاتك ومن قبل قتل شبيب العقيلى ، استغل هؤلاء الفتية الى الهرب من مصر وقد ذكرهم فى قوله :

فى غِلْمَةٍ أخْطَرُوا أرْوَاحَهُم ورَضَوا ... بِمَا لَقِينَ رِضَى الأيْسَارِ بِالزَّلَمِ

تَبْدُو لَنا كُلَّمَا ألقَوا عَمَائِمَهُم ... عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُوداً بلا لُثُمِ

قَدْ بَلَغُوا بِقَنَاهُم فَوقَ طاقته ... ولَيسَ يَبْلُغُ مَافِيهِم مِن الهِمَمِ

فِى الجَاهِلِيةِ إلا أنّ أنفسهُم ... منْ طِيبهنّ به فى الأشهرِ الحُرمِ

نَاشُوا الرّماحَ وكانتْ غيرَ ناطقةٍ ... فَعلّموها صِياحَ الطَّيرِ فِى البُهَمِ (٧١)

فهو فى هذه الأبيات يصف هؤلاء الغلمان الذين خاطروا بأنفسهم ورضوا بما يلقون من خير وشر ، كما يرضى بحكم الغلمان ، وهم مرد لاشعور على عوارضهم

٢-التبيان ،٤/٢٤٤

٣- ديوانه ص٤٩٦

، وهم يطعنون كل من لحقوا من الفوارس ، ويعتمدون على النعم ، فهم الذين بلغوا بقناهم فوق طاقة القنا من الطعن ، ومع ذلك فإن القنا لايبلغ حد جمعهم ، بل يقصر عنهم ، وهم الذين أخذوا الرماح وهى خرس فطعنوا بها الأبطال حتى صاحت فيهم صياح الطير ([٧٢]) .

إذن هذه هى الخطة التى كان قد أعدها المتنبئ للقضاء على ملك كافور الأخشيدى، وحتى يتم هذا المخطط كان لابد له أن يدارى كافوراً وذلك بمدحه والإشادة به وبنصره ، ولكن عندما فشل كل ماكان يؤمل فيه عاد وهجاه أهاجٍ كثيرة .

١- معجز أحمد ، ٢٤٢,٢٤٣/٤

الفصل الثالث

شعراء فى بلاط الأخشيديين

نقف فى هذا المبحث على بيئة مصر الأدبية لنرى اذا كان هناك شعراء فى مصر عندما زارها أبو الطيب المتنبئ ، وقد ذكرت كتب الأدب أن مجلس سيف الدولة بن حمدان عندما زاره أبو الطيب المتنبئ كان حافلاً بالشعراء أمثال السرى الرفاء ([٧٣]) الذى قصد المتنبئ وأنشده .

أنى رأيتك جالساً فى مجلسٍ قَعَدَ المُلوكُ بهِ لَدَيْكَ وقامُوا
فكأنّك الدّهرُ المحيطُ عليهم وكأنّهم من حولِك الأيامُ ([٧٤])

ومنهم كذلك أبو العباس النامى ([٧٥]) . ذكر صاحب المفاوضة : ([٧٦])
قوله كان سيف الدولة يميل إلى أبى العباس النامى الشاعر ميلاً شديداً إلى أن جاءه المتنبئ فمال عنه اليه ([٧٧]) .

وأبو العباس هذا هو القائل : كان قد بقى فى الشعر زاوية دخلها المتنبئ ، وكنت أشتهى أن أكون سبقته إلى معنيين قالهما ، ماسبق إليهما ، أما احدهما قوله:

رَمَانِى الدّهرُ بالإرْزَاءِ حَتى فُؤادِى فِى غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إذا أصابَتْنِى سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَىْ النِّصَالِ

ومنهم كذلك أبو فراس الحمدانى وهو ابن عم سيف الدولة وابن عم ناصر الدولة ، كان فرد دهره ، وشمس عصره،أدبا وفضلاً، وشعره مشهور سائر بين الحسن

---

١ – هو أبو الحسن بن أحمد الموصلى الشاعر المشهور ،قصد سيف الدولة وأقام عنده مدة ثم إنتقل بعد وفاته إلى بغداد

٢– الصبح المنبئ ، ص ٧٩

٣– هو أبو العباس احمد بن محمد الدارمى المعروف بالنامى كان من الشعراء البازين فى عصره ، ومن خواص مداح سيف الدوله .

٤–أبوالحسن محمد بن على بن نصر المالكى عاش فى نهاية القرن الرابع وصنف كتاب المفاوضة للملك العزيز جلال الدولة

٥– الصبح المنبى ، ص ٨٠.

والجودة،وكان أبوالحسن بن أحمد الموصلى الشاعر المشهور ، قصد سيف . الدولة واقام عنده مدة ثم إنتقل بعد وفاته الى بغداد.

والآخر قوله :

فِيْ جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبَارُه		فَكأنَّما يُبْصِرنَ بِالآذانِ (٧٨)

وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبى فراس ويميزه بالإكرام عن سائر قومه (٧٩) .

ومنهم أبوالفرج الببغاء واسمه عبدالواحد بن نصر المخزومي ، وانما سمي بالببغاء للثقة فيه ، وكان فى عنفوان عمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً فى جلته (٨٠) .

ومنهم الشاعر الخليج وكنيته أبوعبدالله وكان شاعراً متعلقاً قد أدرك زمان البحترى ، وبقى إلى أيام سيف الدولة فانخرط فى سلك شعرائه (٨١) .

ومنهم كذلك أبو الفوج الوأواء وأبو طالب الرقى (٨٢) .

وهؤلاء الشعراء جميعاً هم الذين قال فيهم المتنبئ

خَلِيْلىَّ إنِّى لا أرَى غَيْرَ شَاعِرٍ		فَكَمْ مِنْهُم الدّعْوَى ومِنّى القَصَائِدُ (٨٣).

وقال فيهم أيضاً :

أفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِى شُويعِرٌ		ضَعِــيفٌ يُقَاوِينِى قَصــِيْرٌ يُطَاوِلُ

لِسَانِى بنُطْقِى صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلُ		وقَلْبِى بِصَمْتِى ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

١- الصبح المنبى ،ص٨١

٢- انظر يتيمة الدهر ٥٧/١

٣-يتيمة الدهر ٢٨٣/١

٤- نفسه ٣٣٣/١

٥- نفسه ٣٤٣/١و٣٤٦

٦- ديوانه ص٣١٩

وأَتْعَبُ مَــنْ نَادَاكَ مــَنْ لاتُجِيَبهُ   وأغْيَظُ مــَنْ عَادَاكَ مــَنْ لاتُشَاكِلُ
(٨٤)

وهؤلاء هم الذين وصفهم بالتعب فى الحصول على غريب اللغة بينما هو قد نام عن شواردها :

أَنَامُ مِلْءُ جُفُونِى عَنْ شَوَارِدِها   ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا ويَخْتَصِمُ (٨٥)
.

ومما سبق يتبين لنا أن مجلس سيف الدولة كان حافلاً بالشعراء قبل وأثناء زيارة المتنبئ لحلب ، فهل هذا الأمر كان بمصر كذلك عندما زارها أبو الطيب ؟ .

يبدو أن الأمر ذاته قد تكرر فيما يتصل بدولة الأخشيديين ، بل أن عدد شعراء دولة الأخشيديين قد زاد على عدد شعراء مجلس سيف الدولة فى حلب ، وشعراء مصر ينقسمون إلى قسمين منهم من جاء وافداً من بغداد وغيرها من الحواضر العربية ، ومنهم من كان مصرىّ النشأة والمولد . ومن عجب أنه لم يصل إلينا ديوان واحدٌ لشاعرٍ مصرى من الشعراء الكثيرين فى العصر الأخشيدى (٨٦) .

ولعل هذا يرجع إلى بُعدِ مصر عن مركز الخلاقة العباسية فى بغداد من ناحية ، ومن ناحية أخرى يرجع إلى عدم رغبة الرواة فى أن يرووا لشعراء فى بلاط يحكمه حكام غير عرب ، وإن كان الشكعة يرى سبباً آخر وهو الإهمال الذى تم عن قصد من قبل دولة الفاطميين فى المغرب والذين تولوا على مصر بعد عصر الإخشيديين ، وحاولوا محو كل شيئ يتعلق بالمذهب السنّى بما فى ذلك الشعر (٨٧) .

ومن هؤلاء الشعراء :-

٧- ديوانه ص٣٧٧

٨-ديوانه ص٣٣٢

١- الشكعة، أبوالطيب المتنبى ،ص١٤٠

٢- أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ،ص ١٤٠

على بن الحسين بن على العبسى ، يعرف بابن كوجك ، كان أديباً فاضلاً يورق ، سمع بمصر من أبى مسلم محمد بن أحمد كاتب أبى الفضل بن حنزابة الوزير ، وكان والده –أيضاً– من أهل الأدب والشعر (٨٨) .

ومنهم أبو محمد عبدالله بن أبى الجوع أحد رواة المتنبئ ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب (٨٩) وكان شاعراً أديباً حلواً مقبولاً ، له أشعار كثيرة فى المراسلات والمعاتبات والأهاجي ، وكان نسخه غاية فى الجودة ،وكانت وفاته سنه خمس وتسعين وثلثمائه (٩٠).ومن شعره:–

أظنك ياسيدى إذْ جفوتَ   تَوَهمــْتَ بِــى نبوةَ الغَادِرِ
وخِلْتَ بأنِّى مِلالاً سَلوتُ   ولســتُ بــسالٍ ولاصابرِ
وقدْ عَلــِمَ اللهُ أنِّى عَلَيــْ   كَ أشْفَقُ مِنِىِّ علَى نَاظِرِى (٩١)

ومنهم أبوالحسن على بن عبدالله بن وصيف المعروف الناشئ الأصغرالحلاء الشاعر المشهور، وهو من الشعراء المحسنين ، وله فى أهل البيت قصائد كثر ، وكان متكلماً بارعاً (٩٢) .

والناشئُ أستاذٌ للمتنبئ وقد كتب المتنبئ شعراً من إملائه بالكوفة ذكر ابن خلكان : أن الناشئ مضى إلى الكوفة سنه خمس وعشرين وثلثمائة وأملى شعره بجامعها ، وكان المتنبئ وهو صبى يحضر مجلسه بها وكتب من إملائه لنفسه من قصيدة :

كأنّ سِنَانَ ذَابلِهِ ضَمِيرُ   فَليسَ عَنِ القُلُوبِ لهُ ذِهَابُ
وصَارِمُهُ كَبَيعَتِه بختمِ   مَقَاصِدِها مِن الخَلَقِ الرِّقَابُ (٩٣)

وقد أقتبس منه المتنبئ هذين البيتين :

٣- . انظر معجم الأدباء . دار الفكر ط٣ ، ١٩٨٠ ، ١٥٧/١٣

٤- يتيمة الدهر ٤٧٧/١

٥. وفيات الأعيان ، تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة بيروت ، ٣٧/٤

٦- يتيمة الدهر ٤٧٧/١

١- وفيات الأعيان، دار الفكر ٣٦٩/٣

٢- ,وفيات الأعيان ،٣٦٩/٣

كأنّ الهامَ فِـــى الهَيْجَا عُيونٌ وقَدْ طَبَعَتْ سُيُوفَكَ منْ رُقَادِ
وقَدْ صُغْتَ الأسّنَةَ مِنْ هُمُومٍ فَـــما يَخْطُرْنَ إلاّ فِـــى فُؤادِ ([٩٤])

وسيرة الناشئ الأصغر تشبه إلى حد كبير سيرة أبى الطيب المتنبئ ،حيث إن ه ذهب الى حلب ومدح أميرها سيف الدولة بن حمدان ،ثم قصد مصر بعد ذلك وله فى وداع سيف الدولة أبيات أوردها صاحب اليتيمة وهى قوله:

أُودِعُ لا أنّـــــى أُودِعُ طَـــائِعـــاً وأعْطِى بِكُرْهِى الدّهْرَ مَاكُنْتَ مَانِعَا
وأرْجَعُ لا ألْقَى سِوَى الوَجْدَ صَاحِباً لِنَـــفْسِى أنْ ألقَـــيتُ بِالنّفسِ رَاجِعَا
تَـــحَمَّلْتَ عـــنّا بِالصَنَائِعَ والـــعُلا فَـــسَنُودِعَ اللـــهَ الـــعُلا والصَنَائِعَا
رَعَاكَ الـــذِى يَرعَى بِســـيفِكَ دِينَه ولَقّاكَ رَوضَ العَيْشِ أخْضِرَ يَانِعَا
([٩٥])

ومنهم أبو محمد الحسن بن على بن وكيع التِّنِيسى ، وهو شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع فى إبّانه على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد فى أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ([٩٦]) .

وكان التنيسى مغرماً بشعر الطبيعة ، فله شعر فى الروض ووصف فصول السنة الأربعة من صيف وخريف وشتاء وربيع ومما قاله فى الصيف:-

نهـــارُهُ مُقَســـّمٌ بَينَ قِســـَمْ جَمِيعُها يُعابُ عِندِى ويُذَمْ
أولُـــه فـــيه ندىً مبغـــضُ كأنّه علَى القُلوبِ يَقبضُ ([٩٧])

ومن شعره فى الخريف قوله:-

تُبْصِرُه مِثْلَ الصَّبِىّ الأرْعَنِ فِـــى كَثْرةِ التَّغيرِ والتَّلَوُّنِ
فإنْ أردتَ الشُّربَ للعـــقارِ فـــى حِـــينِه بالليلِ والنَّهارِ

٣- نفسه والصفحة
٤- يتيمة الدهر ٢٨٨/١
٥- المصدر السابق ٤٣٤/١
١- يتيمة الدهر ٤٤٣/١

فأنتَ مِنه خَائفٌ علَى حَذَرِ　　　لأنّه يَمْزَحُ بالصَّفْوِ والكَدَرِ (٩٨)

فالخريف عنده شديد التلون مثل الصّبى ، ثم إذا أردت أن تشرب الخمر فيه ليلاً كان أم نهاراً فأنك تبدو خائفاً مما يتخلل الخريف من رعد وبرق ، وفيه يصفو الجو غالباً بعد هطول الأمطار ، كما فيه من التكدير الذى يحدث نتيجة للصواعق والرعود وغيرها .

أما الربيع فقد وصفه أوصافاً رائعة ، فقد قال فيه :

ولــيلُهُ مُسْتَلطَفُ النَّسِيمْ　　　مُقَــوَّمٌ فِــى أحْسَنِ التَّقْوِيمْ

لِبَدْرِه فَضْلٌ عَلى البُدورِ　　　فِى حُسنِ إشرَاقِ وفَرْطَ نُورِ

كجَامةِ البلّورِ فى صَفَائِها　　　أوْغُــرةِ الحَسناءِ فــى نقابِها (٩٩)

وقد ذكر صاحب اليتيمة شعراً كثيراً لهذا الشاعر المصرى الأصيل.

من هؤلاء الشعراء أبوالقاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طَبَاطَبا (١٠٠)الشريف الحسنى المصرى ، كان نقيب الطالبين بمصر وكان من أكابر رؤسائها ، وله شعر مليح فى الزهد والغزل وغير ذلك (١٠١) .

ومن شعره قوله:

يابَــدرُ بادِر إلــيَّ بالــكــأسِ　　　فَرُبَّ خَــيرٍ أتَــى عَلَى بَأسِى

ولاتُــقَبّــلْ يَــدِى فإنَّ فَــمِى　　　أولَى بِها مِن يدِى ومِن رَأسِى

لاعاشَ فِى النَّاسِ مَن يَلُومُ عَلَى　　　حُبِّى وعِشْقِى لأحسنِ النَّاسِ (١٠٢)

ومما نسبه اليه صاحب اليتيمة قوله :

قالتْ لطيفِ خيالٍ زارنِى ومضَى　　　وصِفْ لِى هَواهُ ولاتُنقِصْ ولاتَزِدِ

٢- نفسه ٤٤١/١

٣- نفسه ٤٤٥/١

٤- طباطبا بفتح الطاءين والباءين هو لقب جده إبراهيم وإنما قيل له طباطبا لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاءً ، فطلب يوماً ثيابه فقال له غلامه تريد درّاعة قال : لاطباطبا يريد قباقبا ، فبقى عليه لقباً وأشتهر به .

٥ – وفيات الأعيان ،تحقيق إحسان عباس'،١٢٩/١

١- يتيمة الدهر ٤٩٧/١

فقال: أبْصَرْتُه لومَاتَ مِن ظَمأٍ وقلتِ قِفْ عنْ وُرودَ الماءِ لمْ يَرِدِ ([١٠٣])

وذكره الأمير المختار المعروف بالمسيحى فى (تاريخ مصر) وقال : توفى فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ([١٠٤]) .

ومن شعراء مصر فى ذلك الزمان ولده أبومحمد القاسم بن أحمد بن طباطبا ومن شعره فى هجاء ابن كلس المتطبب :

تَوَقَّ مُعِز الدّينِ شُؤمَ ابن كَلَسٍ ولاتقْـبلَنْ مِـنه مَقَالَ مُدَّلِسِ
فإنا أرَدْنَـاهُ لِكـَافورَ شـَرْبَةً فَزَادَ علَى تَقْدِيرِنا ألفَ مَجْلِسِ ([١٠٥])

ومن شعراء مصر أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن طباطبا ومن شعره قوله:

صَـرَفَتْ عَنـّا نَوَارُ ولـقَدْ كَانـتْ تَزُورُ
ثمّ قالتْ: كَيفَ أودَى ذَلـكَ الغصنُ النضيرُ
وشـَبَـابٌ يَتـلأَلأ فِـيه للنَّاظِـرِ نُـورُ
قلتُ: إنْ أنْصَفتْ هَذا لابنِ خمْـسينَ كثـيرُ ([١٠٦])

ويبدو أن هذه الأسرة كان الشعرُ يسيل على ألسنة أبنائها، فأبوهم كان شاعراً وكذلك أبناؤه ، وهذه الأسرة تنحدر من نسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقد كان على شاعراً فصيح الكلمة ، لذلك ليس عجيباً أن يرث أبناؤه هذه الفصاحة والبيان.

٢- المصدر السابق ٤٩٩/١
٣- وفيات الأعيان ١٣٠/١
٤- يتيمة الدهر ٤٩٩/١و٥٠٠
٥- المصدر السابق ٥٠١/١

ومن الشعراء الذين كانوا فى مصر فى أيام الأخشيدين وقد إلتقوا المتنبئ بمصر ، أبوعلى صالح بن رشدين وهو أحد أئمة الكتّاب ، المهرة فى سائر الآداب ، صحب المتنبئ وروى شعره ، وكان جيد المعانى (١٠٧).

وله شعر كثير، ذكر صاحب اليتيمة جزءاً منه فى الغزل ووصف الطبيعة والأخوانيات فمن شعره قوله :

أجَـنَّةٌ نَحـنُ فِـيـها   أمْ نَحنُ فِى المَرْزَجُوشِ (١٠٨)
مابَـينَ آسٍ ومـاءٍ(١٠٩)   يَنْسـَابُ بَـينَ العُرُوشِ
وقَهـوَةٌ ذاتَ حُتسـنٍ   وطَاجـنٌ(١١٠) ذِى نَشِيشِ (١١١)
وسيّدٌ رِشْتَ(١١٢) مـنـه   لـمّا تَطـايرَ رِيـشِى (١١٣)

وهو فى هذه الأبيات قد ذكر عدداً من الكلمات الفارسية ،وذلك فيما يبدو نتيجة للتأثر باللغة الفارسية التى انصهرت فى اللغة العربية منذ بداية إختلاط الفرس بالعرب ، ولعل ابن رشيدين قد تأثر فى هذه الأبيات بالشاعر الجاهلى ميمون بن قيس الأعشى فى أبياته التى قالها يصف مجلس شرابٍ بفارس وقد جاء فيها:

وآسٌ وخُبْرِىٌ ومَرْوٌ وسَوْسَنٌ   وسَيْنَسَيَرٍ والمَرْزَجُوشَ مُنَمْنَمَا (١١٤)

ومنهم مهلهل بن يموت وكنيته أبو نضلة ، كان شاعراً مجيداً (١١٥) .

١- نفسه ٤٨٢/١

٢-المرزجوش معرب من مرزنكوش ، وهو نبات الياسمين

٣- من أنواع الزهور

٤- الطاجن :ما يقلى فيه

٥- النشيش :الغليان وصوته

٦- تقويت واستغنيت

٧-المصدر السابق الصفحة

٨- ديوان الأعشي ، شرح و تعليق د. محمد حسين ، مكتبة الأدب بالجماميز ، ص ٤٢.

٩- وفيات الاعيان ، تحقيق إحسان عباس ٥٧/٧

ويبدو أنه بغدادى المنشأ ثم إنتقل الى مصر ، ذكره البغدادى فى تاريخ بغداد وقال عنه :

"شاعر مليح الشعر فى شعر الغزل وغيره سكن بغداد وسمع منه ".(١١٦) وله شعر كثير ذكر منه البغدادى نماذج منه ومن ذلك قوله :

ولمّــا التقَــيْنَا ولَــمْ يَزَلْ يُنِيــلُ لِثــاماً دَائِماً وعِنَاقَا
شَمَمْتَ مِنهُ يَسْتَجْلبُ الكَرَى ولوْ رَقَدَ المَخْمُورُ فِيه أفَاقَا .(١١٧)

ومنهم الحسن بن محمد الشهواجي وكان ينادم صالح بن رشدين وله فى ذلك شعراً منه قوله:

اليومَ يَاصَالحُ مَا تُبْصِرُ وصَحْوٌ مِثْلِى فِيه مُسْتَنْكَرُ
وقدْ مضِىَ الوَعْدُ وحَصّلْتُه وصَفْوُه مِنْ مَطْلِهِ(١١٨) يُكَدّرُ
. فهاتِ مَايُحْضَرُ إنّه أمرؤٌ يُقنِعهُ مِنكَ الذِى يُحْضَرُ (١١٩)

ومن شعره :

تضِيقُ بِىَ الدُّنيا إذا كنتَ غَائِباً وأسْرَحُ فِــى أقطارِها حِينَ تَقرُبُ
وأنتَ جَناحِي كلّما طرتُ للعُلا وسَيفِى الذِى أسْطُو بِه حِين أضْرِبُ(١٢٠)

ومنهم أبو هريرة أحمد بن عبدالله بن أبى العصام، وكان من أصدقاء صالح بن رشدين ومن شعره فى رثائه عندما وافته المنية :

قدْ أفْسَدَ المَوتُ عَلَى صَالحٍ كُــلَّ الــذِى أصْلَحَهُ صَالِحُ
وانصرَفَ البَوّابُ عَنْ بابِه وصَاحَ فِــى مَجْلسِه الصَائِحُ
خَلّوهُ فِى دارِ البِلَى مُفْرَداً وناحَ فِــى أوطَانِه النــائِحُ

١- تاريخ بغداد ،٢٧٣/١٣
٢- المصدر السابق ،٢٧٤/١٣
٣- المطل : التسويف بالوعد والوفاء به
٤- يتيمة الدهر ،٤٨٠/١
٥- المصدر السابق ، ٤٨١/١

يا ليتَ شِعرِى ماالذِى قَالَه		إذا راحَ فِى حُفْرَتِه الرائِحُ.([١٢١])

ومن شعره فى الغزل:-

كتمتُ حُبَّكَ فِى قَلبِى فَمَا وسِعَه		هَــذا وليسَ لـــهَ شُغلٌ سِواه مَعَه

يامــَنْ إذا بَدَتْ للنَّاسِ صُورَتُه		رأيتُ فيهِ فنونَ الحسنِ مُجْتَمِعَه([١٢٢])

.. ومنهم أحمد بن محمد الكحّال ذكره صاحب اليتيمة ومن شعره:

لاتَتــْرُكَنْ لغــدٍ مَالاً ولاســيدا		فلستَ تقتلُ عِلماً هلْ تعيشُ غدَا

خُذْ مِنْ زَمَانِك ماجَادَ الزَّمَانُ به		فَمَنْ جَنَى بعضَ مايَهْوَى فقَد بَعُدَا

أنت ابن وقتِك فاحْذرْ أنْ تضيقَ		فليـــسَ يرْجعُ وقـــتٌ فائتٌ أبَـــدَا

([١٢٣])

ويبدو أن الموضوعات التى تناولها هؤلاء الشعراء كانت تدور فى أغلب الأحيان حول الوصف، أو وصف الخمر بصورة خاصة ،وكذلك وصف الطبيعة والغزل والعتاب والأخوانيات وغيرها من موضوعات الشعر المعروفة .

ولم تكن هذه الفئة التى ذكرناها هى كل ما كان فى مصر من الشعراء ، بل أن هناك طائفة كبيرة من الشعراء لم نذكر لهم نماذج شعرية وقد ذكرهم الثعالبى فى اليتيمة منها محمدبن عباس البصرى ،وأبو عبدالله الحسين المعروف بالجمل ،وأبوالقاسم عبدالغفار المصرى، وأبو القاسم عبدالصمد بن فضالة ،وأبو العباس الزوفى، وأبوالبكر الموسوس المعروف بسيبويه ، وأحمد بن بدر المعروف بالبلاط ، وأبو الحسن على بن لؤلؤ الكاتب ، وأبوالفتح البستى([١٢٤])وأحمد بن صدقة الكاتب وغيرهم من الشعراء ([١٢٥]).

٦- المصدر نفسه ٤٨٧,٤٨٦/١

١- نفسه ،٤٨٨/١

٢- يتيمة الدهر ٥٠٥/١

٣- هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داوود بن كلس ولد سنة ٣١٨وتوفى سنة ٣٨٠هـــ

٤- انظرالسابق ٥٠٣/١ – ٥٢٥

ولعل شعراء مصر فى أيام الأخشيديين كانوا أكثر من هذا العدد بكثير ، حيث إن ه من الثابت تاريخياً أن يعقوب بن كلس الوزير اليهودى الأصل حين مات فى مصر رثاه مائه شاعر (١٢٦).

أما الكتّاب فى مصر فى عصر الأخشيدين فهم كذلك كثر ،وكانت لهم مشاركة فى جانب الشعر بالإضافة إلى الكتابة التى كانوا قد أتصفوا بها .

وكان الأدب الصرف وبخاصة الشعر ، مقدراً حق التقدير فى الأوساط الأخشيدية ، وصار الناس كلهم تقريباً شعراء (١٢٧) .

وهؤلاء الشعراء الذين ذكرناهم لم يتخلفوا بموضوعاتهم عمّا كان معروفاً فى بداية العصر العباسى .

وقد أشار بلاشير إلى أن هذه المواهب قد وُفقت فى مواصلة السّير على خطا شعراء الغزل وشعراء الخمريات فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (١٢٨).

ومن أبرز الكتاب فى أيام الأخشديين: أبو اسحق إبراهيم بن عبدالله النجيرمى اللغوي الأخبارى كاتب كافور (١٢٩).

ومنهم الحسن بن جابر الرياحى كاتب عبدالله بن طغج ثم كاتب ابن حنزابة بعده (١٣٠).

ومنهم أبو نصر أحمد بن العلاء الشيرازى (١٣١) والحسن بن على الأسدى الشاعر الكاتب صاحب كتاب (الأنيس)(١٣٢) ومنهم يعقوب بن كلس اليهودى ، وقد ذكره أبوالقاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المصرى فى

٥–النجوم الزاهرة وفيات سنة ٣٨٠هـ ووفيات الأعيان الترجمة رقم ٨٣١

٦– أبو الطيب المتنبى، ريجيس بلاشير،ص٢٨٢

١– المصدر السابق ،ص٢٨٣

٢– وفيات الأعيان ،٥٢٤/٣

٣– المصدر السابق ،٣٤٦/١والمغرب ص٣٨/١

٤– معجم الأدباء ١٨١/٥

٥– يتيمة الدهر ٤٩٦/١

جزء سماه الإشارة الى من نال الوزارة ، قال عنه ، كان كاتباً يهودياً صائناً لنفسه محافظاً على دينه جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه (١٣٣).

ويعقوب بن كلس اليهودى ، هذا كان قد تدرج فى مراتب الدولة حتى بلغ الوزارة ، وقد اسلم على يد كافور الأخشيدى ثم فرّ بعد ذلك الى المغرب (١٣٤).

ومنهم الحسن بن بشر وهو صاحب الأبيات التى شاعت بين الأدباء فى هجاء على بن الحسين الأحمدى النحوى الذى كان يتولى أرزاق الشعراء والكتاب والإشراف على المتعطلين لأنه منع أرزاقهم وهى قوله :

إنْ طَغَى الآمِدِىُّ طُغْيَانِ مُثْـــرٍ — رَاشَه الدَّهْرُ فَالمَرِيشُ يحْـــصُّ
أيّـــها الآمِدِىُّ عَقْلُـــك قـَـدْ دَلَّ — عَلَـــى أنّ آمِــدَ اليومَ حِمــصْـُ
إنَّ حِرْصَاً يَدعُو إلِى قَطْعِكَ الأَرْ — زَاقَ فِـــينَا عَلَى هَلاكِكَ حِرْصُ
ســـَوَادُ السَّـــماءِ تَخْضِبُ ياشَيـــ — خُ فَـــمَـــنْ ذَا سَوَادُهُ مايَبُـــصُّ

أَلْـــقِ فِيه عَفْصَاً فَإنّـــكَ يَحتَاجُ — إلى العُفُوصِ حِينَ يعُكَسُ عَفْصُ

(١٣٥)

ومنهم محمد بن الحسين بن أحمد بن على أبو مسلم كاتب ابن حنزابة (١٣٦)

ومنهم أبو على الحسن بن أحمد المصرى الكاتب وكان عابداً من صلحاء مصر وزهادها (١٣٧) . ومنهم أحمد بن صدقة الكاتب (١٣٨).

ومنهم أبوالفتح البستي الكاتب (١٣٩). ودائماً بأتى أسمه مقروناً بالكاتب على الرغم من أنه كان شاعراً أيضاً .

٦- وفيات الأعيان ،٣١:/١

٧- انظر وفيات الأعيان ،٢٧/١ وما بعدها

١ - معجم الأدباء ،١٨١/٢

٢- حسن المحاضرة ،٢٨١/١

٢- المصدر السابق ٢٩٤/١

٤- يتيمة الدهر ٥١٣/١

ومن أشهر الكتاب الأخشيديين أبو على صالح بن رشدين ، الذى قال عنه صاحب يتيمه الدهر أنه : "أحد أئمة الكتّاب المهرة فى سائر الآداب ، صحب المتنبئ وروى شعره ، وكان جيد المعانى" ([140]) .

ومنهم أيضاً محمد بن عبدالرحمن الروزبارى ، كان يعاون الوزير ابن الفرات ([141]) .

ومنهم على بن صالح الروزبارى وكان كاتباً لكافور وقد أشار الى كافور بتخصيص الرواتب ([142]).

وكان فى دولة الإخشيديين بالإضافة إلى هؤلاء الشعراء والكتّاب عدد من النحاة منهم أبو الحسن بن أذين النحوى . وهو الذى روى القصة التى تقول أن رجلاً فى مجلس كافور قام ودعا له وقال : (أدامَ اللهُ أيامِ سيّدِنا) بخفض أيام فأنكر كافور والحاضرون ذلك .

فقام رجل من أوساط الناس فقال أبياتاً منها :

فإنْ يكُنْ خفضَ الأيامَ مِن غَلَطٍ   فِى موضعِ النّصبِ لامِن قلةِ البَصَرِ
فــقَدْ تفاءلتُ مــِن هَــذا لِسيّدِنا   والفالُ مأثــورةٌ عــنْ ســيّدِ البَشَرِ
بأنَّ أيامــَه خَفْــضٌ بلا نَصــَبٍ   وأنّ أوقــاتَه صَفْــوٌ بِلا كَــدَرِ

([143]).

وصاحب هذه الأبيات هو ابن إسحق إبراهيم بن عبدالله بن محمدالنجيرمى اللغوى الأخبارى ([144])

٥- المصدر السابق ،٥١٨/١

٦- المصدر نفسه ،٤٨٢/١

٧ - المغرب ٢٥/١

٨- خطط المقريزى ،٩٩/١

٩ - انظر النجوم الزاهرة ٣/٤

١- وفيات الأعيان ،٥٢٤/٣

والنجيرمى المذكور كان نحوياً أيضاً وهو صاحب النحوى المعروف الزَّجَّاح ([١٤٥]). وكان فى بلاط كافور مغنيات وجوارٍ وغلمان من الروم والسود ما يتجاوز الوصف ([١٤٦]) .

إذن كانت مصر فى أيام الإخشيدين عندما زارها المتنبئ لم تكن بلداً ميتاً من ناحية الأدب واللغة والنحو، بل هى قلعة علمية كان يرتادها الشعراء والأدباء والنحاة واللغويون من شتى الحواضر العربية فى ذلك الزمان ، حتى إذا جاءها المتنبئ فقد اكتملت حلقاتها شعراً وكتابة ونحواً ولغة وفقهاً .

وكان كافور يدنى الشعراء ويجيزهم ، وكان تُقرأ عنده فى كل ليلة السّيَر وأخبار الدولة الأموية والعباسية ([١٤٧]).

---

٢ – النجوم الزاهرة ،٦/٤

٣– المصدر السابق والصفحة

١٤٧– نفسه والصفحة

الباب الثانى

الكافوريات

الكافوريات وهي المصريات وما نظمه وهو على طريقه من مصر إلي العــراق [1].

والكافوريات يراد بها قصائد أبى الطيب المتنبي التي نظمها في كــافور الاخشــيدى حاكم مصر أو من هم في بلاطه من وزراء ومساعدين، مثل قصائده في أبى شــجاع فاتك ، وكذلك قصائده التي قالها عندما خرج من مصر متجهاً إلي العراق، وقد نسبت هذه القصائد إلي الكافوريات لان موضوعها كان لا يخرج في إطــاره العــام عــن موضوع الكافوريات ، وكان اغلب قصائده في الطريق إلي العراق في هجاء كافور.

والكافوريات في ديوان أبى الطيب الذي بشرح أبى العلاء (المعرى) إحدى وثلاثون قصيدة ، مدحه في ثمان قصائد وهنأه في قصيدتين وهجاه في تسع قصائد، أمــا مــا تبقي من هذه القصائد فقد جاءت في موضوعات شتى تتعلــق بكــافور او مصــر أو الطريق منها مثل قصيدته التي قالحها في عبد له قتله في طريقه مــن مصــر إلــي العراق وهي التي يقول فيها:-

أعْدَدتُ للغَادِرِينَ أسْيَافَاً أجْدَعُ مِنهُم بِهِنَّ آنافَا [2]

ومثل قصيدته التي قالها عندما ضل غلمانه بالأشباح التى لاحت لهم في البادية والتي يقول في مطلعها:

بُسَيْطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ القِطَارَا تَرَكْتِ عُيونَ عَبِيدِى حَيارَى [3]

ومثل قصيدته التي رثى بها أبا شجاع فاتكاً وقد أَخرج تفاحة من النَّد عليها اسمه:

يُــذَكِّرُنِى فاتكــاً حِلْمُــهُ وشَــئٌ مِــن النّــدّ فِيــه اســمُهُ [4]

فهذه القصائد وأشباهها هي ما نقصده بالكافوريات وقد نسبت إلي كافور الإخشــيدى

١- معجز احمد ، المعرى، ٥/٤

٢- ديوانه ، دار الجيل، ص٥١٦

٣ - ديوانه، ص٥١٧

لأنه هو الذي قصده المتنبي أولاً، فكأنما هذه القصائد كانت قد قيلت بسببه لذلك نسبت إليه.

الفصل الأول:

مدحه لكافور الإخشيدي

المدح هو الثناء الحسن [٥] وهو الثناء على ذي شان بما يستحسن من الأخلاق النفسية، كرجاحة العقل والعفة ، والعدل والشجاعة ، وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وتعداد محاسنه الخلقية[٦].

٤- ديوانه، ص٤٩٩

٥- الرازي ، مختار الصحاح، دار مكتبة الهلال بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٦١٨

٦- انظر جواهر الأدب للهاشمي، ٢٦/٢ ونقد الشعر لقدامه ص٩٦.

ويرى قدامة أن الإنسان يجب أن يكون ممدوحاً بنفسه لابآبائه فحسب ، لأن كثيراً من الناس يختلفون عن آبائهم (٧). وقد علّق ابن رشيق في قول قدامة بقوله: والذي ذهب إليه حسن(٨).

ويقول الجرجاني: وإنما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يتشرف بآبائه والآباء تزداد شرفاً به، فيجعل لكل منهم في الفخر حظاً وفي المدح نصيباً(٩). و في بعض الحالات لا يذكر والد الممدوح فيها خاصة إذا كان هذا الممدوح عصامياً استطاع أن يبلغ بنفسه شأواً بعيداً دون مساعدة آبائه.

وكان المديح عند الشعراء الأوائل لايقال للتكسب بل هو المديح من أجل المديح فقط، ثم تغيرت هذه النظرة في متأخر سنين الجاهلية وذلك عندما أصبح الشعراء يتكسبون بشعرهم مثل النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وزهير و الأعشي.

وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لايستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ... فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان(١٠).

وفي عصر صدر الإسلام تحول الشعراء إلي شعراء جهاد ونضال وخاصة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم، حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير، أما في العصر الأموى فقد كان الشعراء ما بين متكسبٍ ومتعففٍ فممن كان يتعفف بشعره جميل بن معمر حيث إن ه لم يمدح أحداً من الناس إلا أقرباءه، وكذلك عمر بن أبي ربيعة يأنف من المدح (١١).

أما من مدح من شعراء الدولة الأموية وتكسب بشعره فهم كثر، منهم جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من الشعراء.

٧- قدامة، نقد الشعر، ص٩٥ والعمدة لابن رشيق ١٤٥/٢.

٨- ابن رشيق، العمدة، دار الجيل بيروت، ط١٩٨١، ١٤٥/٢

٩- الجرجاني ، الوساطة بن المتنبى خصومة، المكتبة المصرية، صبرا بيروت،د،ط،د،ن ص٣٧٣

١٠- العمده ، ٨١/٨٠/١

١١- انظر: العمدة ،٨١/١

أما في العصر العباسى فمعظم الشعراء كانوا يتكسون بشعرهم مثل أبى تمام والبحترى وبشار بن برد وغيرهم، أما من تعفف من التكسب منهم فهو قليل، منهم أبو نواس الذي قيل عنه إنه كان متعففاً عن عطايا الأمراء والملوك حتى إنه اضطر ذات يومٍ لبيع قميص ليسد به رمقه فقال في ذلك:-

بعت لباساً سابرياً وجبةً وبعت رداءً معلم الطرفين (١٢)

واستمر الحال هكذا بين متكسب ومتعفف إلي أن جاء شاعرنا أبو الطيب المتنبي، فملأ الدنيا شعراً كثيراً ومديحاً رصيناً استطاع به أن ينال رضا ممدوحيه. قال عنه ابن رشيق وهو يتكلم عن أشهر الشعراء المولدين فقال عنه" ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس"(١٣).

ولم يرِث المتنبى من أبيه مالاً يسد به خلته ويغنيه عن التكسب بشعره (١٤). لذلك ضرب المتنبى في الأرض يبحث عن الرزق ، ولما كان يجيد فن الشعر فقد جعل منه بضاعته الرائجة التي تدر عليه المال الوفير فقصد جماعةً من الأمراء في الشام ومدحهم ، منهم بدر بن عمار الذي مدحه بقوله:

رَأيـنا بـبدرٍ وآبائـه لبـدرٍ ولوداً وبدراً وليدا
طَلَبْنا رِضَاه بِتَركِ الذِي رَضِينا لَه فتَرَكَنَا السّجَودَا
أميرٌ أميـرٌعليه النّـدى جوادٌ بخيلٌ بأنْ لا يَجُودَا (١٥)

ومنهم القاضى أبو عبد الله محمد بن محمد الخطيب الخصيبى قاضى أنطاكيه والذي قال فيه:

القائلُ الصدقَ فيه ما يُضرُ بهِ والواحدُ الحـالَتَينِ السرِّ والعَلَنِ
الفاصلُ الحكمَ عيَّ الأولون به والمظهرُ الحقَ للساهي على الذهن(١٦)

١٢- ديوان أبى نواس ، الموسوعة الشعرية ،٢٠٠١م.
١٣- ابن رشيق ، العمده ، ١/١٠٠
١٤- بطرس البسناتى، أدباء العرب ، ص٣١٣
١٥- ديوانه ،ص ١٣٣
١٦- ديوانه ،ص ١٧٢

ثم اتصل بسيف الدولة فمدحه ونال عطاياه ثم وقعت الوحشة بينهما فاستأذنه لزيارة إقطاع له ولكنه لم يرجع بعد ذلك وقصد دمشق ومنها مصر وفيها التقى كافوراً. الإخشيدى سنة ست وأربعين وثلثمائة، (وامتدحه بأحسن المدائح)[١٧] وأول قصيدة مدحه بها هي قصيدته التى مطلعها:

كَفَي بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوتَ شَافِيَا وحَسْبُ المَنَايَا أنْ يَكُنَّ أَمَانِيا
تَمَنيتَها لـمّا تَمنيتَ أنْ تَرَى صَديقاً فَأعْيا أوْ عَدواً مُدَاجِيا[١٨]

يرى معظم من شرح ديوان المتنبى من القدماء والمحدثين أنّ هذه القصيدة هي أول ما قاله من شعر في مدح كافور الإخشيدى ، غير أن من المحدثين من يرى عكس ذلك ومنهم الدكتور (مصطفي الشكعة)، فهو يرى: أن هناك خطأ شائعاً في استهلال الكافوريات بهذه القصيدة ، ويذكر قصيدة أخرى يرى أنها أول شعر المتنبى في كافور ولكنه أرجع السبب في ذلك إلي أن القدماء كانت حجتهم في استهلال الكافوريات بهذه القصيدة لأن استهلالها يدعو إلي الطيرة والتشاؤم [١٩]

وقد شبه الشاعر ممدوحه ههنا بالبحر في قوله:

ولَكِنَّ بِالفِسْطَاطِ بَحراً أَزُرْته حَيَاتِى ونُصْحِى والهَوَى والقَوَافِيا[٢٠]

ثم وصف المتنبى الخيل في هذه القصيدة بعد هذا البيت بأوصافٍ كثيرة ، وكان كثير التعريض بسيف الدولة في هذه القصيدة. ولعل أجمل ما مدح به المتنبى كافوراً هو قوله:

قَواصِدَ كَافورٍ تَوَارِكَ غَيرِه ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ استَقَلَّ السّوَاقِيا
فجَاءتْ بِنا إنسانَ عَينِ زَمَانِه وخلَتْ بَياضاً خَلْفَهَا ومَآقِيا [٢١]

١٧- وفيات الأعيان ،طبعة دار الكتب العلمية ،٥٢٢/٣

١٨- معجز أحمد ١٧/٤

١٩- انظر: أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ،ص٢٩٢

٢٠- ديوانه ، دار الجيل، ص٤٤٢.

٢١- ديوانه، ص٤٤٣

حتى إن ابن خلكان قد علّق على هذين البيتين بقوله : ولقد أحسن فـــي هـــذا غايـــة الإحسان[٢٢].

وقد علّق الثعالبي على قوله :

فَجَاءَتْ بِنَا إنْسَانَ عَينِ زَمَانِه وخَلَتْ بَياضاً خلْفَها ومَآقيا

بقوله :" وهذا أحسن ما يمدح به ملك أسود ولا نهايةَ لحسنه وشرف معناه ، وجـــودة تشبيهه وتمثيله"[٢٣].

وقال عنه البديعي : "وهذا في أعلى طبقات الإحسان لكونه كنّى عـــن ســـواده بإنسان عين الزمان"[٢٤].

ثم يسترسل المتنبى في مدح كافور:

نجُـــوزُ عَلَيهَا المُحْسِنِينَ إلي الذِي نَرَى عِندَهُم إحْسَانِه والأيادِيا
فتىً ما سَرينا فـــي ظُهور جدودِنا إلي عَصْرِهِ الا نرجِّى التلاقِيا
تَرَفّعَ عَـــنْ عَـــونِ المكَارِمِ قَـــدْرُه فمَا يَفْعَلِ الفِعْلاتِ إلا عَذارِيا
يُـــبيدُ عداواتِ البـــغـــاةِ بلـــطفِه فإنْ لم تبدْ منهم أباد الأعادِيا
أبا المِسكِ ذا الوجْهُ الذِي كُنتُ تَائقاً إليـــه وذَا الوقـــتَ الـــذِي كنـــتُ راجِيا[٢٥]

فهو يصف هذه الخيل التي كانوا يمتطونها وهي تتخطى بهم جميع المحســـنين لتصل إلي من يحسن على المحسنين أنفسهم، هذا الفتى الذي مازلنا نضرب جيادنـــا منذ زمان قديم حتى التقيناه فلما بلغناه وجدناه يفعل المكرمات ابتداعاً فهـــو لا يكـــرر مكرمةً وإنما يعطيك ما لا تتوقعه، وهو يقابل عداوة أعدائه بلطف إنفاقه وكرمه، ثـــم يكنيه بأبى المسك ويقول له لقد كنت أشتاق رؤياك وأشتاق اليوم الذي ألقاك فيه.

٢٢- وفيات الأعيان ، دار الكتب العلمية ٥٢٢/٣

٢٣- يتيمه الدهر، ٢٣٦

٢٤- الصبح المنبى ،ص١١٦

٢٥- ديوانه ، دار الجيل ص٤٤٣

وليثبت المتنبى للممدوح أنه كلف نفسه كثيراً ليصل إليه ، فكان لابد أن يجعل الطريق شائكاً كثير المخاطر ، وقد أبدع في ذلك عندما صور هذا بقوله:

لقيتُ المَرُورَى والشّنَاخِيبَ[٢٦] دونَه وجُبتُ هجيراً يترك الماءَ صَادِيا

فهو قد قطع فلوات واسعة مترامية الأطراف ذات حجارة عالية صعبة العبور وشمساً حارقة تجفف كُلَّ أثرٍ للماء.

والمتنبى ههنا قد أدخل اليقين في نفس كافور بأنه يرجوه وحده ولا يرجو أحداً سواه ولعل هذا البيت جاء رداً على الادِّعاء الذي ادَّعاه اليهودى ابن ملك عندما قال إن المتنبى قال: إنه إذا جاء مصر فإنما يقصد ابن سيده وليس هذا العبد الأسود.

ثم يوجه إليه المدح بقوله:

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لا أبَا المِسكِ وحْدَه وكُلّ سَحابٍ لا أخصُّ الغَوادِيا
يدلُّ بِمعنىً واحدٍ كُـلّ فاخـرٍ وقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعانِيا[٢٧]

فهو كل طيب وكل سحاب لا طيب ولا سحاب بعينه ، فعامة النـاس تفتخـر بالمعنى الواحد وانت قد جمع الله فيك كل المعاني ، والناس تكسب المعـالى بالنـدى والكرم ولكنك تعطى في كرمك ونداك كل شئ. بل حتى المعالى نفسها.

ولعل المتنبي في هذا البيت كان يمهد لطلب يطلبه من كافور وهو الذي صرّح به في البيت التالي:-

وغيرَ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيرْجَعُ مَلكاً للعِرَاقَين وَاليا [٢٨]

وهذه المعاني التي مدحه بها ليست مبالغ فيها كما اعتاد الشعراء على المبالغة أمام ممدوحيهم ، ولعل المتنبي قد أراد هذه المبالغة ، ولكن هذه الصـفات والمعـانى كلها تبدو حقيقة ماثلة في شخص كافور الإخشيدى فهو الرجل الكـريم ذو الخصـال

٢٦- المرورى : جمع مروراة وحى الفلاة واسعة . والشناخيب : جمع شنخوب وهى القطعة العالية من الجبل.

٢٧- ديوانه ص٤٤٤

٢٨- ديوانه ص٤٤٤

العديدة وهو الذي يعطي عطاءً غير محدود([29]). ثم يذكر المتنبي أنَّ هذا المُلك الــذي تقلده كافور لم يكن بالتمنى أو الاتفاق وإنما ناله بعد حروب تشيب النواصى، ولعلــه هنا يشير إلي حروب كافور لتوطيد أركان دولته.

وما كنتَ مِمنْ أدْرَكَ المُلكَ بالمُنى ولكنْ بأيامٍ اشبنَ النَّواصِيا([30])

ثم يصف الجيوش التي اعتمد عليها كافور في هذه المعارك وكيف أنها دكت حصون الملوك بسنابكها.

غزوتَ بِها دورَ المُلوكِ فَباشَرَتْ سنابِكُها هاماتِهم و المَغَانِيا([31])

ثم ختم القصيدة بقول رائع يحكى عن براعة الشاعر وتمكنه من التصـــوير الجميـــل يقول:

فأصْبَحَ فَوقَ العَالَمِين يَرونَه وإنْ كانَ يُدْنِيهِ التّكَرُّمُ نَائِيا

فهو بهذه الصفات والمعانى فوق أقدار الناس جميعاً ولكن تواضعه وتكرّمه هو الذي يجعله دونهم ، وهذه هى صفة الحاكم العادل حيث يظهر هيبة الدولة لأعدائــه بينما يلين جانبه لرعيته. هذه القصيدة المادحة واحدة من أجمل ما قال المتنبى في مدح كافور ولكن بعض شُرَّاح ديوانه من معاصريه والذين جاءوا بعده وكثيـــرٌ مـــن الباحثين حاولوا أن يخرجوا هذه القصيدة عن وجهتها من المديح إلي الهجاء.

ففي قوله: (فجاءت به إنسان عين زمانه) قال ابن سيدة : لو قال هذا البيت في رجـــل ابيض لكان مدحاً لا يجارى وتقريظاً لا يبارى ، وإنما نقص عن غاية المدح([32]).

وابن سيدة أحد شراح ديوان المتنبى ولكنه في شرحه لهذا البيت جانب الموضـــوعية، وذلك لكونه جعل لون الممدوح هو السبب في أن يكون الشعر فيه غاية في المدح أو عكس ذلك. وفي شرح قوله:

---

٢٩ – انظر صفحة (٣١) من هذا البحث .

٣٠– ديوانه ص٤٤٤

٣١– ديوانه ص٤٤٥

٣٢– ابن سيدة ، شرح مشكل شعر المتنبى ، دار المامون للتراث ، ١٩٩٥ ، ص٢٨٠

يدلُّ بمعنىً واحدٍ كُلّ فاخرٍ وقدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعَانِيا

قال أبو الفتح[٣٣] لما وصلت إلي هذا البيت ضحكتُ وضحك وعرف غرضى[٣٤].

ومعنى البيت: أن كل فاخر من الناس يفخر بمعنى واحد ، وانت قد جمع الله فيك كل المناقب والمفاخر[٣٥].

فما الذي يضحك أبو الفتح في البيت اللهم إنها السخرية والحكم المسبق على الرجل – كافور– على الرغم من أن التاريخ قد أثبت أنه كان حكيماً شجاعاً سياسياً كريماً.

ولعل مثل هذه العبارات والتعليقات هي التي ساقت الباحثين إلي الخوض في الخضم الذي خاضه هؤلاء. ونحن لانريد أن ندافع عن هذا الرجل– كافور فنحن في زمان لاينفعه دفاعنا ، ولكن لانريد أن نحمّل الشعر أكثر مما يحتمل ففي البلاغة جنس يعرف بتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه ولكنه لايدخل في هذا البيت.

فقد اتبع المتنبى في مديحه لكافور سبلاً شتى، فقد مدحه مدحاً مباشراً مثل قصيدته سالفة الذكر، وأحياناً يتفنن في هذا المديح ويأتى به في صورٍ غير متوقعة، مثل أن يجعله فوق أقدار الناس جميعاً وفوق ما يصنعون ويملكون، بل وكأن ما يملكونه و يصنعونه ناتج عن هيبة هذا الملك وقوته.

بنى كافور داراً وتحول إليها وهنأه الناس بها وطالب أبا الطيب بذكرها فقال[٣٦]:

إنَّمَا التَّهْنِئَاتُ للأكْفَاءِ ولِمَنْ يُدَنِّى مِن البُعَدَاءِ
وأنَا مِنكَ لايُهَنِّئُ عُضْوٌ بِالمَسَرَّاتِ سَائِرَ الأعْضَاءِ

٣٣- هو أبو الفتح عثمان بن جنى أحد معاصري المتنبي وشرّاح ديوانه وهو اللُّغوي الشهير صاحب كتاب الخصائص.

٣٤- التبيان، ٢٩٠/٤

٣٥- المصدر السابق والصفحة.

٣٦- معجز أحمد ٣٥/٤

فهو يقول: إنما التهنئة بين الأكفاء ، وأنا لست بكفء لك وتكون لمن يكون بعيداً من الملوك ثم يدنو منهم وأنا لست بواحد من هذين ، بل أنا عضو من أعضائك والعضو لا يهنئ سائر الأعضاء.

وهو في هذا البيت إنما يشبهه بالملوك العظام.

ثم يقول:

أنتَ أعْلَى مَحَلَةً أنْ تُهَنّأَ   بِمكانٍ فِي الأرْضِ أو فِي السَّمَاءِ
ولَكَ النّاسُ والبِلادُ ومَـا   يَسْرَحُ بَـينَ الغَبْرَاءِ والخَضْرَاءِ
وبَسَاتِينَكَ الجِيَادُ ومَـا   تَحْمِلُ مِنْ سَمْهَرِيّةٍ سَمْـرَاء[٣٧]

ففي هذه الأبيات يصور المتنبي كافوراً بالعظيم الذي هو أعلى وأسمى من أن يهنأ بمنزلة في الأرض أو في السماء وذلك لأن كل ما بين السماء والأرض من ناس وحيوان فهو لك، وقد تطاول الشاعر في هذه الأبيات كثيراً على الله عز وجل ، فالله وحده هو الذي له ما بين السماوات والأرض وقد ورد هذا المعني في قوله تعالى: " لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى"[٣٨].

ثم ينتقل المتنبي إلي الشيء الذي يجب أن يفخر به كافور فهو ليس الدور التي تنشأ ولا كل شئ مملوك بين الناس ولكن الذي يجب أن يفخر به كافور هو العلياء والمكارم والأخلاق الفاضلة والقضاء المبرم على الأعداء ، يقول في ذلك:

إنّمَا يَفْـخَرُ الكَرِيمُ أبَو المِسْكِ   بِمـا يَبْتَـنِي مِـن العُلَيَاءِ
وبأيّامِه التـي انسَلَخَتْ عَنْـهُ   ومـا دارُهُ سِـوَى الهَيْجَاءِ
وبِما أثّـرَتْ صَوَارِمُهُ البِيضُ   لـهُ فِـي جَماجِتِم الأعْدَاءِ
وبِمسْكٍ يُكـنّى بِـه لَيَسَ بِألمِـ   سْكِ ولكـنّه أرِيجُ الثـنَـاءِ
لا بِمَا تَبْتَنِى الحَواضِرَ فِي الريـ   فِ ومَا يُطَبِّى قلُوبَ النِّسَاءِ[٣٩]

٣٧- ديوانه ، ص٤٤٦

٣٨- سورة طه الآية (٦)

٣٩- ديوانه ، ص٤٤٦,٤٤٧.

فعلى كافور أن يفخر بأيام الانتصار على الأعداء في الحروب والصوارم البيض التي يحز بها رؤوس الأعداء وبالمسك الذي هو الثناء وحسن الذكر ليس المسك الذي يتطيب به. فعلى الممدوح أن يفخر بكل هذه الأشياء وليس بالأبنية الجميلة في الريف والحضر وليس بالأشياء المنظر المحسوسة التي تتهيج بها النساء.

ثم يسترسل في مديحه بذكر بعض الصور الجميلة فهو يشبهه بالشمس المنيرة ويذكر صفاته من الكرم والشجاعة والرخاء يقول:

تُفْضَحُ الشَّمْسُ كُلّما زَرّتِ الشَّمْـــ سُ بِشَمْسٍ مُنِـيرةٍ سَـوْدَاءِ

إنَّ فـِي ثَوْبِكَ الـذِي المَجْدُ فِـيهِ لِضِياء يزري بِكُـلّ ضياءِ

إنّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابْيِضَاضَ النَّفْـــ سِ خَيرٌ مِن ابْيِضَاضِ القُبَاءِ

كَـرَمٌ فِـي شَجَاعـةٍ وذَكَـاءٍ فِـي بَـهاءٍ وقُدْرةٍ فِي وَفَاءِ

يرى العكبرى في البيت الأول :أنه في سواده مشرق فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس [٤٠].

كانت العرب وإلى وقت قريب ترى أن سواد اللون عيب ومنقصة لذلك كثيراً ما يذمون به في شعرهم ويهجون ، حتى إن الشاعر يكون في حرج من أمره إذا كان ممدوحه أسوداً فهو يحاول أن يجد تفسيراً لهذا السواد، وهذا ما فعله المتنبي عندما شبه كافوراً بالشمس المنيرة السوداء حاول أن يجد تخريجاً لهذه الصورة فقال:

إنّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابْيِضَاضُ النَّفْـــ سِ خَيرٌ مِنْ ابْيِضَاضِ القُبَاءِ

قال الوحيد: " كان المتنبي يعلم أن ذكر السواد على مسامع كافور أمرٌ من الموت، فإذا ذكر لونه بعد ذلك فقد أساء إلي نفسه وعرضها للقتل والحرمان"([٤١]).ولكن الأمر عند كافور يبدو مغايراً لما يقول الوحيد، وذلك لأن كافوراً كان يعرف حقائق الأشياء ، ويعلم أن اللون ليس عيباً ولا منقصة وإلا لأوقف المتنبي من أن ينشد مثل هذه الأبيات.

٤٠- التبيان ٣٤/١

[٤١]- الصبح المبنى ،ص ١١٥ - ١١٦

إذا كان كافور يتصف بكل هذه الصفات وهو أسود فربما يكون السواد جامعـــاً لهذه الصفات الكثيرة لذلك فإن الملوك البيض يتمنون لونه الأسود ولكن أين لهم ذلك. يقول:

مَنْ لبيضِ المُلوكِ أنْ تُبَدِّلَ اللونَ   بلَـــونِ الأسْتَــاذِ والسَّحْنَاءِ
فَتــرَاهَا بَنـــُو الحُرُوبِ بِأعيانٍ   تَرَاهُ بِــها غَــدَاةِ اللِّــقَاءِ

فإذا كان كافور بكل هذه العزَّة والمنعة والسؤدد وأن الملوك تتمنى لونه حتـــى تُرى يوم الحروب مخيفة ومهيبة. يقول البرقوقي :" ذلك أن الأسود مهيبٌ في الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف" [٤٢]،فإن المتنبي يتمنى رؤيته فيقول:

يَا رَجَاءَ العُيونِ فِي كُلِّ أرْضٍ   لَمْ يَكُنْ غَيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائِي[٤٣]

ثم يتحول أبو الطيب في قصيدة أخرى إلي نوع آخر من المديح في قصـــيدته التي مطلعها:

مَنِ الجَآذِرُ فِـــي زِيِّ الأعَارِيـــبِ   حُمْـــرُ الحِلَـــي والمَطَايَـــا والجَلابِيبِ[٤٤]

وكان المتنبى يلقب كافوراً بالأستاذ كما كان يلقبه أهل مصر، وذلك لما به من سياسية ودراية ومعرفة، فكان هذا اللقب مكان مدح عند المتنبى كما هو لقب الملـــك يقول:

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأسْتَاذُ مُكْتَهِلاً   قَبلَ اكْتِهَالٍ أدِيباً قَبْلَ تَأدِيبِ
مُجَرِّباً فَهِماً مِن قَبلِ تَجْرِبةٍ   مُهَذَباً كَرَمَاً مِنْ قَبلِ تَهْذِيبَ
حتَّى أصَابَ مْن الدُّنيا نِهَايَتَها   وهَمُّه فِي ابْتِدَاءاتٍ وتَشْبِيبِ[٤٥]

---

[٤٢]- ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ١٥٢/١
[٤٣]- ديوانه ص٤٤٧
[٤٤]- ديوانه ص٤٤٨
[٤٥]- ديوانه ص٤٥٠

فقد وصف المتنبي الممدوح بأنه شب مكتهلاً أي شب عاقلاً كأنه الكهل ، بينما هو في أوج شبابه فهو مؤدب من غير تأديب، وهذا يرجع إلي حسن التربية والتنشئة ، وقد جبل على الفهم والتجربة والتهذيب والكرم فأصبح لا يحتاج إليها، وقد أدرك الغاية من الدنيا وهو في أول مطالبه وتشبيب همته، ولم تبلغ همته أقصى مرادها حتى أصبح كافور بكل هذه الهيبة يدبر شئون دولته الممتدة من مصر إلي العراق إلي اليمن فالروم فالسودان يقول:

يُدَبِّر المُلْكَ مِن مِصرٍ إلِي عَدَنٍ إلِي العِرَاقِ فأرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ
إذا أتَتها الرياحُ النكبُ[٤٦] من بَلَدٍ فَمَا تَهبُّ بِها الاّ بِتَرْتِيبِ
ولا تُجَاوزُها شَمسٌ إذا شَرَقَتْ إلاّ ومِنه لَها إذنٌ بِتَغْرِيبِ
يُصَرِّفُ الأمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ ولَوْ تَطَلّسَ مِنه كُلُّ مَكْتُوبِ[٤٧]

ويبدو أن هذه الدولة تُحد بهذه الأماكن التي ذكرها وليست في ملكه. ذكر البرقوقي :" أنه يريد فسحة رقعة مملكته وترامى حدودها إلي هذه الأطراف لا أنها داخلة في مملكتة لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم ولا النوب، إنما مملكته تحد بهذه الحدود ، إذ كانت مصر والحجاز والشام فحسب"[٤٨].

ويذكر الشاعر أن الممدوح –وهو كافور– تهاب مملكته كل الممالك بل حتى الرياح تهابها فإذا كانت مضطربة وغير مستقرة، عندما تمر بمملكته تستقيم.

ولعل المتنبي في هذه الأبيات كان صادقاً، خاصة إذا علمنا أن كافوراً كان قد بسط العدل في مملكته حتى اكتفى الناس في حاجاتهم، وإذا كان الحاكم كذلك ستكون دعوته مستجابة بلا شك ، ذكر صاحب صبح الأعشى أن كافوراً كان "يكثر الصدقات حتى استغنى الناس في أيامه ولم يجد أرباب المال من يقبل منهم الزكاة"[٤٩].

٤٦- النكب: جمع نكباء وهي الريح تهب في غير استواء
٤٧- ديوانه ص٤٥٠
٤٨- شرح البرقوقي ٢٩٣/١
٤٩- صبح الأعشى، ٤٩٣/٣

وقد كان كافور شجاعاً مقداماً حتى إن جبناء قومه أصبحوا فــوارس عنــدما اعتادوا الحرب معه، يقول المتنبي في ذلك:

أَضَرَّتْ شَجَاعَتُه أقْصَى كَتَائِبِه   عَلَى الحِمَامِ فَمَا مَوتٌ بِمَرْهُوبِ[٥٠]

فقد جعل للشجاعة مكان الضر وهو إنما يريد الإحسان والنفع إلي أن شجاعته أنفعت هذه الكتائب فجعلتها لا تهاب الموت.

ثم يبالغ المتنبي في مدح كافور ويصفه بأنه الذي لا يمن وأنه يهب كل شــئ حتى الولاية ، وهذا المعنى ردده المتنبي كثيراً في شعره ، ولعله يفسّر ما يصبو إليه هذا الشاعر يقول:

قالوا هَجَرْتَ إليهِ الغَيْثَ قُلْتُ لَهُم   إلــي غُيُوثِ يَدَيــهِ والشَّآبِيبِ[٥١]

إلِي الذِي تَهَــبُ الدَّولاتِ رَاحَتُه   ولا يَمــُنّ عــلَى آثَارِ مَوهُوبِ

ولا يَــرُوعُ بِمَغْــدُورٍ بِـــه أحداً   ولا يُفَــزِّعُ مَوفُوراً بِمَــنْكُوبِ[٥٢]

وقد علّق العكبرى على قوله:(إلي الذي تهب الدولات راحته) فقال:"وهذا مدح عظيم وتعريض بسيف الدولة"[٥٣].

والمتنبي في هذه القصيدة قد ذهب مذاهب شتى في مدح كافور، فبعد أن وصفه بالملك الأستاذ الأديب بغير تأديب والمهذب النفس الشجاع والــذي يهــب الــدولات ويعطى، طرق المتنبي نوعاً آخر من المدح وهو أن الحيوانات كانــت تعــرف أنــه يتصف بهذه الصفات لا سيما جياده التي يمتطيها يقول:

لَمّا رَأينّ صرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بي   وَفَــيْنَ لِــــى وَوَفَــتْ صُــمُّ الأنابِيبِ

٥٠- ديوانه ص٤٥١

٥١- الشآبيب: جمع شؤبوب وهي الدفعة من المطر الشديد

٥٢- ديوانه ص٤٥١

٥٣- التبيان، ١٧٣/١

فُتْــنَ المَمالِكِ حَتــّى قَالَ قَائِـــلُها مَــاذا لَقِينَــا مِــن الجُــرْدِ السَّرَاحِيبِ(٥٤)

وفي خلال سعيه للوصول إلي ممدوحه علَى فرسِه يمجّــد الشـــاعر كـــافوراً ويصفه بالملك المستغنى عن التسمية ،وأنه الحبيب إلى نفسه يقول:

فالحَمْدُ قَبــلُ لَهُ والحَمْــدُ بَعــدُ لَهَــا ولـِـلــقَـــنَا ولإدْلاجِـــى وتَــأوِيــبِــي

وكَــيفَ أكْــفُرُ يَاكَافُورُ نِعْمَتَها وقَــــدْ بَلَــغْنَكَ بِـــي يَاخَــيرَ مَطْلُوبِي

يَا أيــّها المَلِكُ الغَانِي بِتَسْمــِيةٍ فِي الشَّرقِ والغَرْبِ عَــنْ وَصــفٍ وتَلْقِيبِ

أنــتَ الحَبِيبِ ولكِنِّى أعوذُ بِــه مــِن أنْ أكُـــونَ مُحــــباً غَيــرَ مَحْبوبِ(٥٥)

فهو يحمد كافوراً ويحمد خيله التى أوصلته إليه ورماحه التي ما تزال تحميــه من أعاديه ليل نهار ،ثم فى البيت الثانى يتأثر بأبى نواس فى شكره لهذه المطايا التى جاءت به إلي دار الخليفة المأمون في قوله:

إذا المَــطِيُّ بِــنَا بَلَــغْنَا مُحَــمّداً فَظُهورهُنّ علَى الرِّجَالِ حَرَامُ
قَرَّبْنَنَا مِن خَيرِ مَن وَطِىءَ الحَصَا فـــــلَها عَلَيـــــنَا حُــــــرْمَةٌ وذِمَامُ(٥٦)

وقد بذل المتنبي قصارى جهده الفنى في أن يظهر حبه لكافور، لذلك اســتطاع أن يأتي بقصيدة تعتبر من أجمل ما قاله في المدح ،وهذه القصيدة من جهـــة أخــرى

٥٤- ديوانه ص٤٥٢,٤٥١

٥٥- ديوانه ص٤٥٢

٥٦- ديوان أبي نواس ، الموسوعة الشعرية،٢٠٠١م.

تنفى مزاعم الكثير من القدامى والمحدثين الذين يقولون أن المتنبي كان يترصد بشعره هذا هجاء كافور ثم أدخل فيه المديح.

ثم مدحه في ذى الحجة سنة ستٍ وأربعين وثلثمائة بواحدة من أجمل قصـــائده وهي القصيدة التي مطلعها:

أودُّ مِـــن الأيّامِ مــَا لاتَوَدُّهُ　　　وأشْكُو إليهَا بَينَنَا وهِيَ جُنْدُهُ
يُبَاعِدْنَ حِبّاً يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ　　　فَكَيفَ بحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ[٥٧]

وفي هذه القصيدة يذكر المتنبي العيس التي كانت تحمل محبوبته وقد رحلت ثم يأتي إلي شئ أشبه بالحكم في قوله:

وأتْعَبُ خَلَقِ اللهِ مَن زَادَ هَمُّهُ　　　وقَصّــرَ عمّــا تَشــتَهِى الــنَّفسَ وجْدُهُ[٥٨]

ثم يأتي بأبيات فيها من الوصايا الموجهة إلي كافور في تصرفه في المـــال و أنفاقه له:

فلا يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُك كلُّه　　　فَينحلّ مجدٌ كانَ بالمَال عقدُهُ
ودبّره تدْبِيرَ الذِي المَجْدُ كَفُهُ　　　إذا حَارَبَ الأعْدَاءَ والمَالُ زِنْدُهُ
فلا مجْدَ فِي الدُّنيا لِمَن قَلَّ مَالُهُ　　　ولا مَالَ فِي الدُّنيا لِمَن قَلَّ مَجْدُهُ[٥٩]

ثم يتخلص المتنبي تخلصاً حسناً إلي موضوعه الذي هو مدح كافور بقوله :

وأمْضَى سِلاحٍ قلّدَ المَرْءُ نَفْسَه　　　رَجَاءُ أبِي المِسْكِ الكَرِيمِ وقَصْدُهُ
هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَه كُلُّ نَاصِرٍ　　　وأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكثِرِ النَّسْــلَ جَــدّهُ
(٦٠)

٥٧- ديوانه ، طبعة ، دار الجيل ص٤٥٣

٥٨- ديوانه ص٤٥٣.

٥٩- ديوانه ص٤٥٣.

٦٠- ديوانه ص٤٥٣.

ثم يصف المتنبي كافوراً بالوالد الذي يقوم أبناؤه بخدمته وهــو يرعــاهم ولا يفرق بين صغيرهم وكبيرهم،وأنهم يتدربون في ميدان قصره ويجربــون شــجاعتهم وقسيهم، وهذه الصورة تحكى صورة الملك العظيم الذي يشرف على تــدريب جنــده يوماً بيوم بقول:

أنَا اليَومَ فِي غِلْمَانِه فِي عَشِيرَةٍ لنــَا وَالِدُ مِــنه يُفَدِّيه وُلْــدُهُ

فَمِنْ مَالِه مَالُ الكَبيرِ ونَفْــسُه ومِن مَالِه درُّ الفَقيرِ ومَهْــدُهُ.

نَجُرّ القَنا الخَطِّى حَولَ قِــبابِه وتَرْدَى بِنَا قُبُّ الرباطِ وجُرْدُهُ

ونَمْتَحِن النُّشَابَ فِى كُلّ وَابلٍ دَوِىّ القِسِىّ الفَارِسِية رَعْــدُهُ[٦١]

ثم ينتقل المتنبى فى موضوع جديد فى شعره لم نجد له نظيراً وهــو وصــفه لمصر بالخير وذلك عندما شبهها بالعرين وشبه أهلها بالأسود وهذه صورة صــادقة رسمها المتنبى عن مصر وأهلها وذلك لما بها من جيش قــوى إســتطاع أن يبســط سلطانه على حدود مملكته يقول:

فإنْ لا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أوْ عَرِيْنَهُ فَإنَّ الذِى فِيها مِن النَّاسِ أسدُهُ

سبائـــِـكُ كَافورٍ وعِقيــانُهُ الــذِى بِصُمّ القَنا لا بالأصَابِعِ نَقْــــدُهُ

(٦٢)

ثم يصف المتنبي كافوراً بالحليم الذي يعفو في حالة الغضب وأنَّه الذي يسعى ويجد بالسعي وقد نصر بكليهما يقول:

أبُو المِسْكِ لا يَفْنَي بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ ولكِنّه يَفْنَـــى بِعُذْرِكَ حِقــدُهُ

فَيَا أيّها المَنصُورُ بالجَدِّ سَعْيُهُ ويَاأيّهــا المَنصُــورُ بالسّــعْيِ جَدُهُ[٦٣]

---

[٦١]- ديوانه ،ص٤٥٤، ٤٥٥

[٦٢]- ديوانه، ص٤٥٥.

[٦٣]- ديوانه ص٤٥٥.

وقد رسم المتنبي صورة معنوية جميلة لكافور عندما قال إنه عوَّضه أيَّام الصِّبا التي ذهبت عنه يقول:

تَوَلّي الصِّبَا عَنِّي فَأخلفتَ طِيبَهُ   ومَاضَرَّنِي لمّا رَأيتك فقدهُ([٦٤])

ومعنى البيت: لما شبت وذهب عنى الشباب، أعطيتنى الخلف من الصبا ،يريد أني فرحت بك فرح الشباب فلم يضرنى فقد الشباب. وقد علّق العكبرى على هذا البيت فقال : كذب فيما قال لأن كافوراً لا صورة له ولا معنى ، بل كان من أقبح صور السودان[٦٥].

والعكبرى في هذا التعليق قد جانب الموضوعية وذلك بقوله: أن كافوراً لا صورة له ولا معني، فقد تكون صورته قبيحة ،وهذا صحيح لأن الكثير من المصادر ذكرت أنه كان دميماً قبيحاً قصير القامة بطينا([٦٦]).

أما أن ينفى عنه المعنى فهذا لا يصح وذلك لأن كافوراً قد عُرف بالذكاء والفطنة والكرم والشجاعة والإنفاق وهذه كلها معانٍ سامية يتطلع إليها الملوك فضلاُ عن عامة الناس([٦٧]).

ثم يصف المتنبي زمان كافور بأنه من أحسن الأزمنة حتى إن الكهول فيه أصبحوا شباباً في الوقت الذي شابت فيه المرد في أماكن أخرى خارج حكم كافور يقول:

لَقَدْ شبَّ فِي هَذا الزَّمانِ كُهُولُه   لَدَيكَ وشَابَتْ عِنْدَ غَيرِكَ مُرْدُه[٦٨]

قال أبو الفتح :يجوز أن يكون هذا من المقلوب هجواً، يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من الذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان، وأن الشباب صاروا موقرين توقير الشيوخ[٦٩].

٦٤- ديوانه ص٤٥٥.

٦٥- التبيان في شرح الديوان ، العكبرى ٢٦/١

٦٦- انظر: الصبح المنبي ،ص١١٠

٦٧- انظر :النجوم الزاهرة ٦/٤ ووفيات الأعيان ٥٢١/٣ وصبح الأعشى ٤٩٣/٣

٦٨- ديوانه طبعة دار الجيل ،ص٤٥٥

ثم وصف المتنبي يوم سيره إلى كافور وكيف أنه تعرّض لحرّ النهار وبرد الليل ولكن هذا كله يهون في سبيل الرحلة إلى كافور إلي أن قال في مدحه:

وما زالَ أهلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهونَ لِي إليكَ فَلَمّا لُحْتَ لِى لاحَ فَرْدُهُ

وهذا البيت من أجمل الأبيات وذلك لأنه جعل الناس جميعاً متشابهين أما كافور فهو فرد زمانه في الكرم والأخلاق والبهاء والطلعة، قال أبو الفتح بن حنى: هذا في غاية الحسن في المدح ، ولو أراد مريد أن ينقله هجواً لأمكنه لولا تقديم المديح فيه(٧٠).

وقد كاد ابن جنى أن يفسد رونق شعر المتنبي في كافور وذلك لسوء رأيه فيه، حيث ذهب مذاهب شتى في تأويل كثير من أبيات المديح فيه فحولها إلي الهجاء . وقد أثرت آراؤه هذه على الكثير من الباحثين فأصبحوا يحمّلون أبيات المتنبي في كافور معاني وتخريجات لم يكن المتنبي يقصد إليها.

ولعل واقع القصيدة ينفي أن يكون الهجاء هو المراد في هذا البيت وذلك لأن المتنبي كان يؤمل نفسه بولاية من كافور ، فكيف يهجوه وهو يرجو نواله. ويقول في ذلك:

فإن نلتُ ما أملتُ منك فرُبَما شِربتُ بماءٍ يُعجِزُ الطّيرَ وِرْدُهُ

ووَعْدُكَ فِعلٌ قَبلَ وعد لإنَّه نظيرُ فِعالِ الصّادِقِ القولِ وعدُهُ(٧١)

وفي هذا البيت الأول أيضاً قال أبو الفتح بن جنى: يمكن أن يقلب هجاءً تقديره: إن أخذت شيئاً على بخلك وامتناعك من العطاء ، فكم قد وصلت إلي

٦٩- التبيان ،٢٦/٤

٧٠- المصدر السابق ٢٧/٤

٧١- ديوانه ، دار الجيل، ص٤٥٦

المستصعبات واستخرجت الأشياء الصعبة(٧٢).ولكن البيت التالي ينفي هـذا الـزعم حيث يقول المتنبي إن شكره لكافور كائن على كل حال يقول:

وإنَّكَ لَلْمَشْكُورُ في كُلّ حَالةٍ ولولم يَكُنْ إلا البَشَاشَة رفدُهُ(٧٣)

ثم يصفه بالبحر لكرمه وجوده:

وإنّي لَفِي بَحْرٍ مِن الخَيرِ أصلهُ عَطَايَاكَ أرجو مَدّها وهي مَدُهُ

ثم يختم القصيدة وهو يؤكد طلبه بالولاية:

ومارغبتى فِي عَسْـجدٍ أستفيـدُه ولكنـّـها في مَفخْرٍ أسْتَـجَـدُهُ

يَجُودُ بِه مَن يَفْضَح الجُودَ جُودُهُ ويحمدُهُ من يفضحِ الحـمدَ حمـدُهُ

فإنّـكَ مـامرَّ النّحـوسُ بكوكـبٍ وقابلتـه إلا ووجهُـكَ سـعدُهُ

والبيت الاخير يشير إلي أن الناس حتى زمان المتنبي كانوا ما يزالـون يتشـاءمون ويتفاءلون بالكواكب فإن الإنسان الذي كان منحوساً بسبب كوكبه فإن الممدوح يفرحه ويسعده، وهذا غاية في المدح.

ذكر المعرى قوله: وشكا إليه ابن عباس طول قيامه في مجلس الأسود يعنى كافوراً– وكان دسه عليه ليعلم ما في نفسه فقال أبو الطيب يمدح كافوراً:

يَقِلُّ لَهُ القِيامُ عَلَى الرؤُوسِ وبَذْلُ المُكْرَماتِ مِن النُّفوسِ

إذا خَانَته في يوم ضَحُوكٍ فَكَيفَ تَكونُ فِي يَوْمٍ عَبُوسِ(٧٤)

فهو يرى أن كل شئ يهون عليه حتى النفوس تهون عليه وقد ذكر هذا الخبـر أيضاً العكبرى بقوله:" ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه ، ويقول له قد طـال قيامك عند هذا الرجل"(٧٥).

٧٢- التبيان ، ٢٨/١

٧٣- ديوانه ، دار الجيل ، ص٤٥٧.

٧٤- معجز أحمد ، ٧٢/٤

٧٥- التبيان ، ١٣٠/٢

والخبر يفيد من ناحية أن كافوراً بدأ يشك في المتنبي وفي أمــره ،ويبــدو أن المتنبي كان يتوقع مثل هذا الشيء، لــذلك ردّ رداً لايُفهــم منـــه إلا الــود والحــب والإخلاص لكافور.

وكان كافور قد بنى داراً وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلاماً ففزع مــن ذلك وخرج منها إلي دار أخرى[٧٦].فقال المتنبي في ذلك:

أحــقُّ دارٍ بأنْ تُدْعَى مُبَارَكةً دَارٌ مُباركَةُ المَلْكِ الذِي فِيــهَا
وأجْدَرُ الدُّورِ أنْ تُسقَى بِساكِنِها دَارٌ غدا النَّاسُ يستسقونَ أهْلِيها
هَذِى مَنازِلك الأُخْرَى نُهنِئُــها فَمنْ يَمرُّ عَلى الأولَي يُسَلِّيــهَا([٧٧])

فهو يمدحه من خلال هذه الدار ويقول: إن الدار إنما تكون مباركة بمن فيها.

وفي ربيع الآخر سنة سبع و أربعين و ثلثمائة مدحه بقصيدة مطلعها :

فِرَاقٌ ومَنْ فَارَقتُ غَــيرُ مُذممِ وأمٌّ ومَنْ يَمَّمْتَ خَـــــــــيرُ مُيممِ
وما منزلُ اللذاتِ عندى بمنزلٍ إذا لمْ أُبَجلْ عِندَهُ وأُكـــــــــــرّمِ
سَجيةُ نفسٍ مـــا تَزالُ مَليــحةً مــــَنْ الضَّــيمِ مَرْمِيــاً بِــــها كُــلَّ مَخْرَمِ([٧٨])

فهو يقول: إنه فارق رجلاً غير مذموم وهو سيف الدولة وقصد رجــلاً هــو خير مقصود ويعنى به كافوراً ولقد اتفق في هذا شُرَّاح ديوان المتنبيى([٧٩]).

ثم وصف المتنبي نفسه بأنه لا يقبل الذل مهما كان وأن منزل لذته هو الــذي يكرم فيه وإن نفسه أبية لاترضى بالظلم.

ثم ينتقل إلي قوله:

رَحلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ شادنٍ علىَّ وكَــمْ َباكٍ بأجْفانِ ضَيَــغَمِ

---

[٧٦]- انظر: السابق ،٢٦٧/٤ وشرح المعرى ٧٣/٤

[٧٧]- ديوانه ، دار الجيل ص٤٥٨

[٧٨]- ديوانه ص٤٥٩

[٧٩]- انظر: التبيان ١٣٤/٤ ومعجز أحمد ٧٦/٤

ومارِبَةَ القُرْطِ المُلِيحِ مَكَانُـــهُ   بأجْزَعَ من رَبِّ الحُسَامِ المُصَمَمِ
فَلَوْ كَانَ ما بِي مِن حَبِيبٍ مُقنعٍ   عَذرتُ ولَكنْ مِن حَبَــيبٍ معممِ([80])

وفي هذه الأبيات يوازن المتنبي بين شيئين اثنين في كل بيــت فنــراه يــذكر (الشادن) الذي هو (الظبي) و(الضيغم) الذي هو (الأسد) ثم يوازن كذلك بــين ربــة القرط ورب الحسام والحبيب المقنع والحبيب المعمم . ومعنى الأبيات انه عندما رحل من مجلس سيف الدولة بكى له النساء والرجال.

وفي معنى البيت الأخير يقول المعري:" لو كان سبب فراقي من قبل المحبوبة لعذرتها لأن التغير والفراق من عادة النساء ، ولكن ما بي من حبيب معمم فالتغير لا يعذر فيه"([81]).

ومعظم الذين شرحوا ديوان المتنبي قالوا مثل هذا الكــلام مشــيرين إلــي ان الحبيب المعمم مقصود به سيف الدولة ولكن من هو الحبيب المقنع؟.

يرى محمود محمد شاكر – وهو أول من قال بهذا الأمر – أنَّ الحبيب المقنــع الذي يقصده المتنبي ههنا هي (خولة) أخت سيف الدولة التي كان يحبها المتنبي حبــاً شديداً، وهو يقول في هذا السياق : والمقابلة بين سيف الدولة وهذه المرأة دليل علــى صلتها بسيف الدولة وبأبي الطيب ، ومعرفة سيف الدولة بهذه الصلة ولا نشك بعــد ... أنه عنى بالباكية ... (خولة) أخت سيف الدولة([82]).

ثم يتخلص المتنبي إلي مدح كافور بقوله:

فدىً لأبي المِسْكِ الكِرَامُ فإنّها   سَوابقُ خَــــيلٍ يَهْتَدينَ بَأدهَمِ
أغرَّ بمجد قد شَخَصْنَ ورَاءه   إلي خُلُقٍ رحبٍ وخَلْقٍ مطهّمِ
إذا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّياسةُ نَفسَها   فَقِفْ وَقفةً قدامَــــه تَتعَلِمِ([83])

---

[80]- ديوانه دار الجيل ص٤٥٩

[81]- معجز أحمد ،٧٧/٤

[82]- المتنبي ، محمود محمد شاكر ،ص٣٥١

[83]- ديوانه ، ،ص٤٦٠

يشبه المتنبي كافوراً بالجواد الأدهم الذي يتقدم الخيول وأنه أبـيض المجـد ، وأن العيون تتطلع لرؤيته ، لأن خلقه جميل ، ثم يصفه بأنه سياسي بارع وأنه أسـتاذ في السياسية، فإذا كنت تجهلها فقف أمامه فإنك تتعلمها بلا محالة.

وقد صدق المتنبي في هذه الأوصاف فقد ذكرت كتب التاريخ إنه كان كـذلك يقول الأتابكي نقلاً عن الذهبي: " وكان كافور كريماً كثير الخلـع والهبـات خبيـراً بالسياسة فطنا ذكياً جيد العقل داهية"[٨٤] ثم يصف المتنبي كافوراً بالشجاعة والإقـدام في ميدان الحرب يقول:

وَمَنْ مِثلُ كَافُورٍ أذا الخَيلُ أحْجَمَتْ   وكَانَ قَليلاً مَنْ يَقولُ لَها اقْدِمِي
شديدُ ثباتِ الطَّرْفِ والنَقعُ واصِـلٌ   إلي لَهَواتِ الفَارسِ المتلـثمِ [٨٥]

ثم يكرر المتنبي الصورة التي ذكرها كثيراً في قصائده السابقة وهـو يقطـع الفلوات من أجل بلوغ ممدوحه كافور:

فَلوْ لمْ تَكُنْ فِي مِصرَ ماسِرتُ نَحوَها   بِقَلْبِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ المعـلمِ
ولا اتبعـتْ آثارَنا عَيـنُ قائـفٍ   فَلمْ تَرَ إلا حَافِراً فَوقَ مِنْـسَمِ
وسَمْنَا بِـها البَيدَاءَ حَتـىّ تَغَمَّرَتْ   مِنْ النِّيلِ واستَذْرَتْ بِظِلِ المُقَطّمِ[٨٦]

فإذا لم يكن بمصر كافور لم أتوجه إليها ولا نبحت عليَّ كلاب القبائـل التـي مررنا بها ولا طاردتنا اللصوص ونحن نمتطى إبلاً وخيلاً . وقد سار المتنبي بهـذا الأمل حتى وصل إلي النيل الذي هو مصر وكافور، فشربت خيله واسـتظل بجبـل المقطم الذي على ضفاف النيل.

وفي قصيدة تعد من أجمل ما قاله المتنبي في المديح على الإطـلاق وصـف المتنبي كافوراً أوصافاً تنم عن أن التجربة الشعرية عند المتنبي قد بلغت غايتها مـن

---

٨٤ – النجوم الزاهرة ، ٦/٤.
٨٥– ديوانه ، ص٤٦٠,٤٦١
٨٦–ديوانه،ص٤٦١

حيث الأسلوب والصور والكلمات والخيال . وهي قصيدته التي أنشدها سنة سبع و أربعين وثلثمائة عندما حمل إليه كافور ست مائة ديناراً ذهباً فقال:-

أُغَالبُ فِيكَ الشَّوقَ والشوقُ أغْلَـبُ وأعْجَـبُ مِـنْ ذا الهَجـرِ والوَصْـلُ أعْجَبُ(٨٧)

ثم ينتقل المتنبي كعادته إلي وصف الخيل والدابة التي تحمله وقد أبدع غاية الإبداع في هذه الأوصاف وهو يصف الرحلة التي قطعها إلي دار الممدوح وبلاده يقول:-

ويَومٍ كَلَيلِ العَاشِقِـينَ كَمَنْـتُهُ أُرَاقِبُ فِيه الشَّمسَ أيّانَ تَغْرُبُ
وعَينِى إلـي أُذنَي أغرَّ كأنَّه مَنْ اللَيلِ بَاقٍ بَينَ عَينهِ كَوْكَبُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِه فِي إهَابِهِ تَجِئُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيْبٍ وتَذْهَبُ
شققتُ به الظلماء أُدني عنانَهُ فيَطْغَي وأرخِيه مِراراً فيلعبُ(٨٨)

كان الشعراء يصفون الليل بالطول بينما النهار قصيراً ولكن المتنبي في وصفه لاستعداده للرحيل إلي كافور يرى النهار طويلاً. والمتنبي نفسه في مناسبة أخري كان يرى الليل طويلاً وذلك عندما كان يصف معركة من معارك سيف الدولة مع الروم وذلك في قوله:

لياليَّ بعدَ الظاعنين شُكولُ طِوالُ وليلُ العاشقينَ طويلٌ(٨٩)

غير أن الحالة التي وصف بها طول الليل عند سيف الدولة غير هذه التي وصف بها طوله عند مدحه لكافور، وهذا يدل على مقدرة أبى الطيب في تحويل المعاني حسب ما تقتضيه الظروف.

ثم ينتقل المتنبي الي مدح كافور بقوله:-

وأخلاقُ كافـورٍ إذا شئت مدْحَـه وإنْ لم أشأ تمـلى علـيَّ وأكتبُ

٨٧- التبيان ٤/١٠٠.
٨٨- ديوانه ، ،ص٤٦٦، ٤٦٧.
٨٩- ديوانه ،ص٣٥٥

إذا تـــرك الإنسانُ أهـــلاً وراءه ويمم كافـــوراً فمـــا يتـــــغربُ
فتىً يملأ الأفعـــالَ رأياً وحكـــمةً وبادرةً أحيان يرضى ويغضـــبُ
إذا ضربتْ في الحرب بالسيف كفُه تبينَ أن السيفَ بالكفِ يضربُ(٩٠)

ولعل المتنبي قد أجاب على أن الذي يلهمه هذه الاشعار أنمـــا هـــي أخـــلاق كافور، ثم يسترسل في مدح كافور ويصفه بالحكمة والرأي السديد و البادرة الحسنة ، حتى إن الانسان عنده لايكاد يشعر بالغربة وفراق الأهل.

ثم يجدد المتنبي طلبه الذي طالما طالب به كافوراً وهو طلب الولايـــة يقـــول بصورة رائعة:-

أبا المسكِ هل في الكأس فضلٌ أناله فإني أغني منذ حيـــنٍ وتشربُ
وهبـــتَ علـــى مقدار كفّـــيْ زمانِنا ونفسي على مقدار كفيْك تطلبُ
إذا لـــَمْ تَنــــُطْ بِي ضَيعةً أَو ولايـــةً فجودُك يكسوني وشغُلك يسلبُ(٩١)

ثم ينتقل المتنبي بعد هذه الأبيات إلي غنائية عذبة ، فهو يصف مشاعر أهلـــه ابتهاجاً بالعيد حيث كل إنسان يفرح بحبيبه وذلك في قوله:

يضاحِكُ في ذا العيدِ كل حبيبَه حِذَائِى وأبكي مـــن أحب وأنـــدبُ
أحِنُّ إلي أهْلِي وأهْوَى لِقاءهـــــم وأيـــنَ مِــــن المُشْـــتاقِ عَنْقَـــاءُ[٩٢] مغربُ(٩٣)

٩٠- ديوانه ،ص٤٦٧ ، ٤٦٨

٩١- ديوانه دار الجيل، ص٤٦٨

٩٢ عنقاء مغرب: مثل يضرب لمن فُقد، والعنقاء كانت طائراً خطفت صبياً وامراةً وطارت بهما فدعا عليها حنظلة بن صفوان وكان نبي ذلك الزمان ، فغابت إلي اليوم.

٩٣- ديوانه ص٤٦٨.

ثم يوازن ابو الطيب بين اهله وكافور ويسترسل في مدح كافور:-

فإنْ لم يكن إلا أبو المسكِ أوهمُ　　　فإنك أحْلَى في فُؤَادِى وأعْذَبُ

وكل امرىء يولى الجميلَ محببُ　　　وكلُّ مكانٍ ينبتُ العــزَّ طيــبُ

يريدُ بِــكَ الحُسَادُ مَا اللهُ دافــعٌ　　　وسُمرُ العَوالِي والحَديدُ المُذَرَبُ[٩٤]

وقد أبدع المتنبي في هذه القصيدة مجتمعة حتى إن أبا الفتح بن جني- كما حكى صاحب الصبح المنبي – قال للمتنبي : "يعز عليَّ أن يكون هــذا الشــعرُ فــي ممدوحٍ غير سيف الدولة ، فقال :حذرناه وأنذرناه فما نفع فيه الحذر"[٩٥].

---

[٩٤]- ديوانه ص ،ص٤٦٨

[٩٥]- الصبح المنبي /ص١٠٠

الفصل الثاني

بداية الجفوة بين المتنبي وكافور

لقد حلَّ المتنبي ضيفاً على كافور – كما ذكرنا – منذ سنة ستٍ وأربعين وثلثمائة ومكث معه حوالي خمس سنوات مدحه بأجمل القصائد حتى أن بعض النقاد من معاصريه لاحظوا أن شعره في مصر كان من أجود ما قال.

روي البديعي في الصبح المنبي : أن ابن جنى قال للمتنبي يعز عليَّ أن يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة[٩٦].

وذلك لجودة هذا الشعر في معانيه وألفاظه وتشبيهاته. وقد سأل أبو البقاء العكبرى شيخه مكي بن ريان الماكسينى سنة تسع وتسعين وخمسمائة: ما بال شعر المتنبي في كافور أجود من شعره في عضد الدولة وأبي الفضل بن العميد :فقال:كان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء فكان يعمل الشعر لأجلهم[٩٧].

وهكذا كان شعره في كافور جيداً، ولكن رغم هذه الجودة فقد وقعت جفوة بين الرجليين غيرت اتجاه هذه المدائح فمتى وقعت هذه الجفوة؟.

يرى بعض النقاد أن الجفوة وقعت بين الرجلين منذ أول لقائهما، ومن هؤلاء المعرى في شرحه لديوان المتنبي يقول : "فلما قدم عليه أبو الطيب أخلى له داراً ووكل به وأظهر التهمة له"[٩٨]. فما هذه التهمة التي أظهرها كافور على المتنبي ولماذا يتهمه؟. إذن فالجفاء بادٍ منذ أول وهلةٍ بين الرجلين وذلك لأن كافوراً ربما كان يعرف طموح المتنبي ومراده من مصر لذلك أراد أن يظهر له الحزم منذ الوهلة الأولى حتى يأتي المتنبي صاغراً خاضعاً لسلطان كافور وقد كان هذا الأمر.

ذكر البديعى: أن أبا الطيب سأل كافوراً أن يوليه صيداء من بلاد الشام أو غيرها من بلاد الصعيد ، فقال له كافور: أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم

٩٦- الصبح المنبي،ص١٠٠.

٩٧-التبيان ،٢١/٢

٩٨- معجز أحمد ، ١٧/٤

المعين سمت نفسك إلي النبوة فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقــك ؟ ثــم وقعت الوحشـــة بينهما[٩٩].

فمتى كان هذا الطلب هل في بداية عهده بكافور أم بعد فترة زمنيـــة قضـــاها معه. يبدو أن هذا الطلب كان في أول عهد له بمصر وكافور.وذلك لأن أول قصـــيدةٍ مدح بها كافوراً كان بها تعريض بهذا الطلب، أي :طلب الولاية في قوله:

وغير كثَيْرٍ أنْ يَزُورَك رَاجِلٌ فَيَرْجَعُ مَلْكاً لِلعِرَاقَيْنِ وَالِيا([١٠٠])

هذا ما يدل عليه كلام البديعي عن بداية الوحشة بين كافور والمتنبي . قــــال الوحيد([١٠١])." كنت بمصر وبها أبو الطيب ووقفت من أمره على شفا الهلاك ودعتنى نفسى لحب أهل الأدب إلي أن أحثه على الخروج من مصر فخشيت على نفســـى أن يشيع ذلك عني وكان هو مستعداً للهرب"[١٠٢].ومعروف أن المتنبي لم يكـــن مســـتعداً للهرب إلا بعد أن ملَّ الإقامة بمصر وبعد أن خاب أملُه في كافور وكان ذلـــك فـــي أواخر أيامه بمصر. ولكن الوحيد يذكر أن سبب الوحشة بين المتنبي وكافور . لأنه ترك مدح ابن حنزابة وهو وزير كافور والمقرب منه[١٠٣].

ولكن ليس ذلك هو السبب و إنما خوف كافور على حكمه كان هـــو الســـبب الأول وقد ذكرنا هذا في صفحة سابقة وقد أشار كافور أيضاً إلي هذا السبب[١٠٤].

وفي سبيل حصول المتنبي على الولاية من قبل كافور بذل جهداً كبيراً ، فقـــد مدحه بأجمل المدائح ووصفه بأحسن الأوصاف ولكن ما من مدحة أو وصف يصـــف به المتنبي كافوراً إلا وزاد شك كافور فيه، وذلك لأن المتنبي يريـــد أولاً أن يوليـــه

٩٩- الصبح المنبي، ص١١٢، ١١٣

١٠٠- ديوانه ، دار الجيل ،ص٤٤٤.

١٠١- الوحيد هو سعد بن محمد بن على الحسن الأردني أبو طالب، المعروف بالوحيد ، أحد شرّاح ديوان المتنبي مات سنة ٣٨٥هـــ

١٠٢- الصبح المنبي، ص١١٣

١٠٣- المصدر السابق والصفحة.

١٠٤- انظر المصدر السابق ،ص١١٢

كافور ولاية في صيدا الشام أو الصعيد ثم يقوى عــوده بعــد ذلــك ويؤلــب عليــه المصريين ولكن يبدو أن كافوراً كان أكثر ذكاءً من المتنبي فوضـــع عليـــه العيـــون والأرصاد.

ثم بدأت الجفوة الحقيقية وذلك عندما أصبح المتنبي يعرِّض بكافور في بعــض مدائحه فيه بالأخص في ميميته التي مطلعها:

فِرَاقٌ ومَنْ فَارَقتَ غَيْرُ مُذمّم   أَمٌّ ومَن يَممتَ خَيرُ مُيممِ(١٠٥)

فقد وازن فى القصيدة بين سيف الدولة وكافور وقال إن الأول وهـــو ســـيف الدولة غير مذموم، أي :محمود وأن الآخر خير ميمم وهو كافور ولعله جاء بقولـــه (خير ميمم) لبعص مشاعره تجاه سيف الدولة.غير أن كافوراً لم يكن مـــن الســـذاجة بحيث يفوته فهم مثل هذا المطلع الفضاح وهو الرجل الذكي اللماحَّ الذي يحسن فهـــم الشعر وينقد سقيمه(١٠٦) ثم يكثر التعريض بكافور و لعله تعريض المحذرله يقول:-

إذا سَاءَ فِعْلُ المَرءِ سَاءَتْ ظُنونُهُ   وصَدَّقَ مـــَا يَعْتادُهُ مِـــنْ تَوَهُّمِ

وعَادَى مُحِبِـــيهَ بِقَـــولِ عُداتِـــه   وأصْبَحَ فِي ليلٍ مِن الشَّكِ مُظْلِمِ(١٠٧)

وتبلغ الجفوة نهايتها عندما مدح بعض أعداء كافور مثل شبيب العقيلي وفاتــك المجنون، فقد كان شبيب العقيلي والياً على عمَّان والبلقاء من قبل كافور ولكنه خرج عليه عندما استولي على دمشق ثم مات بعد ذلك بقليل بدون ضربة سلاح وإنما بسكتة قلب أو بسم دُس به وفق بعض الروايات(١٠٨) وانهزم الجيش وتفرق وطلب كافور من المتنبي أن ينشئ قصيدة في هذه المناسبة ويظهر خيانة العقيلي وغدره ، ولكن المتنبي استغل هذه الفرصة ليشيد بالعقيلي فقال:-

عَدُوكَ مذمومٌ بكل لســـانِ   ولو كان مـــن أعدائك القمرانِ

١٠٥- ديوانه ، دار الجيل ،ص٤٥٩

١٠٦- أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين، ص٢٧٢

١٠٧- ديوانه دار الجيل ، ص٤٥٩، ٤٦٠

١٠٨- انظر: معجز أحمد ،١٢٦/١٢٥/٤

وللهِ سرٌّ فـــي علاك وإنما كلامُ العدا ضربٌ من الهذيانِ[١٠٩]

ومعنى البيت: من عاداك دلَّ على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعـــاداه كل أحد وذمه ، ولو كان من أعدائك القمران ، لصارا مذمومين مع عموم نفعهمـــا و ارتفاع منزلتهما.

قال أبو الفتح: هذا المدح ينعكس هجاءً يقول : أنت رَذِلٌ ســاقط و الســاقط لا يضاهيه إلاّ مثله و إذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان، كما أنك كــذلك ولــو عاداك القمران([١١٠]).

وبما أننا ذكرنا أن شبيباً العقيلي كان أحد رجال المتنبي الذين كان يــدخرهم للثورة على كافور ، فإنه من الصعب على المتنبي أن يذمّ هذا الرجل أو يهجوه لذلك قال هذه الابيات وهو يشيد به من مثل قوله:

برغم شبيبٍ فارقَ السيفُ كفَّه وكانا على العلاتِ يصطحبان

كأن رقابَ الناسِ قالت لســيفه رفيـــــــقُك قيسيٌ وأنت يمانِ

فإن يَكُ إنْسَانٌ مَضَى لِسبيـــلِه فإن المَنَايا غايةُ الحيـــــوانِ([١١١])

ولعل الشيء المثير للتعجب في هذه الأبيات أن المتنبي مضى دون تردد فـــي رثاء شبيب العقيلي غير مهتم بمدح كافور فقد وصفه بأنه و السيف يصطحبان رغــم العلات ،ولكنه تنكرعليه ،وقال له أنت قيسي وأنا يمني ، ولعلـــه يشـــير ههنـــا إلـــي الخلاف الذي كان سائداً حتى ذلك الوقت بين الفرقة القيسيةواليمنية، ثم يقول وهـــو ههنا يؤمن بالله و بقضائه وبقدره ، فأن يكن شبيباً مات فإن الموت هو مصـــير كـــل حي، وقد استقى هذا المعني من قوله تعالى:" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبَقَي وَجْهُ رَبِّـــكَ ذُو الجَلالِ والإكْرَامِ"([١١٢]). أو قوله تعالي :" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ" ([١١٣]).

١٠٩- ديوانه، دار الجيل، ص٤٧٥.

١١٠- التبيان ٢٤٢/٤.

١١١- ديوانه ، دار الجيل ،ص٤٧٥

١١٢- سورة الرحمن الآيات ٢٦، ٢٧

١١٣- سورة آل عمران من الآية ١٨٥

ثم يضيف المتنبي في وصف العقيلي:

فنال حيـــــاةً يشتهـــيها عدوُه   وموتاً يشهّي الموتَ كلُّ جبانِ
نفى وقع أطراف الرماح برمحِه   ولم يخشَ وقعَ النجمِ والدبرانِ
ولم يدرِ أنّ الموتَ فوقَ شواتِـــه   مُعارَ جناحٍ محسنِ الطيـــــرانِ(١١٤)

وقد صعبت هذه القصيدة على كافور وهو يستمع إلي المتنبي حتـــى إذا قـــال المتنبي:-

وقد قتلَ الأقرانَ حتى قتلته   بأضعفَ قرنٍ في أذلَّ مكانِ

قال أبو الفتح لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور: لا والله باشد قرنٍ في أعز مكان(١١٥)

ويمضي المتنبي في رثاء شبيب بقوله:-

أتته المنايا فـــي طريقٍ خفيةٍ   على كلِّ سمعٍ حوله وعيانِ
و لو سلكت طرقَ السلاح لردها   بطولِ يمينٍ واتساعِ جنانِ
تقصدَّه المقدارُ بيـــن صحابِهِ   على ثقةٍ من دهره وأمانِ(١١٦)

فالموت جاءه من حيث لا يدرى ، فلو قد جاءه بالســـلاح لاســـتطاع أن يـــرد السلاح عن نفسه لأنه بطل جسور له عقل وأفق في الحرب ولكن جاءه الموت وهـــو بين أصحابه ولم يكن يتوقعه وكان على حال من الثقة والأمان.

وكان المتنبي من المكر الدهاء في هذه القصيدة بحيـــث إن ه يـــأتي بصـــفات لممدوحه كافورلم يصف بها أحدا قبله يقول:-

قَضَى الله يا كافورُ أنك أولُ   وليسَ بقاضٍ أن يُرَى لَك ثَانِ(١١٧)

قال الواحدى:"هذا أجود ما مدح به ملك"(١١٨).

١١٤- ديوانه ، دار الجيل ، ص٤٧٥.

١١٥- التبيان ، ٢٤٤/٤

١١٦- ديوانه ، دار الجيل ، ص٤٧٦.

١١٧- ديوانه ، ص٤٧٧.

١١٨- التبيان ، ٢٤٦/٤

ثم ختم القصيدة بوابل من المديح وذلك حتى يغطي ما جاء به من رثاء شبيب العقيلي، ولكن هل تنفع هذه التغطية بعد أن ران في قلب كافور حقد المتنبي عليه وتحينه الفرص للقضاء عليه وعلى ملكه.

ويمضي بعض النقاد المحدثين ومنهم مصطفى الشكعة على وجه التحديد: أن هذه القصيدة بداهة لم تكن أجود ما قال المتنبي في حضرة كافور ولكنها اخطر ما قاله في مصر فيما يتعلق بإقامته فيها ومستقبله المأمول حيال وظيفة كبري ينالها أو ولاية(١١٩).

وثمة حادث جديد يضاف إلي أسباب الجفوة والدهشة بين كافور وأبى الطيب المتنبي، ففي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة قال قصيدة يمدح بها فاتك أبا شجاع، وكان يأنف من كافور لذلك اتخذ من الفيُّوم داراً له حتى لا يضطر إلي خدمة كافور الأسود(١٢٠).، فلما مدحه المتنبي زاد هذا المدح من الجفوة التي كانت بينه وكافور، ومطلع القصيدة:

لا خيلَ عِندَكَ تَهْدِيهَا ولا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطقُ إن لم تُسْعِدُ الحالُ(١٢١)

ثم بدأ يمدحه في هذه القصيدة وكأنه يوجه هذه القصيدة إلي كافور ويخبره انه ليس الوحيد في مصر ولكن هنالك رجلاً آخر وهو فاتك يقول فيه:

قَالَ الزمانُ له قولاً فافْهَمَه إنّ الزّمانَ عَلى الإمْسَاكِ عَذّالُ
تدرى القناة إذا اهتزت براحته إن الشقي بها خيل وأبطالُ
كفاتكٍ ودُخُولُ الكَافِ مَنْقَصَةُ كالشَّمْسِ قُلتُ وما للشمس أمثالُ(١٢٢)

فهو الذي فهم قول الزمان حيث إن المال لايبقي وبما أنَّه كذلك فيجب ان ينفق للمجد ومن أجل المجد وقد فعل. وهو الذي تعرف القناة التي بيده أنَّه سيقتل بها

١١٩- أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين،٢٨٤.
١٢٠- انظر: معجز أحمد، ٢٠٤/٤.
١٢١- ديوانه ، ، ص٤٨٦.
١٢٢- ديوانه ، ص٤٨٧

أبطالاً وخيلاً ، ثم يقول لايدرك المجد إلاّ رجل له هذه الصفات التي ذكرت وهو كفاتك ثم قال إن الكاف تنقص من قدره لأنَّه لانظير له إذا قلت كمثله معنى ذلك ان ليس هنالك شبيهاً له ولكن في حقيقة الأمر ليس هناك شبيه مثل قولك (كالشمس) فهي واحدة لاثاني لها. ولعله في هذا البيت يعرّض بكافور.

ثم يضيف المتنبي معاني جديدة في شأن ممدوحه وهي بلا شك تعرض بكافور يقول:

وقَدْ طَالَ ثَنائي طُولَ لابِسهِ   إنّ الثَنَاءَ عَلَى التَّنْبالِ(١٢٣) تَنْبَالِ(١٢٤).

وفي شرح هذا البيت قال الواحدي، مدح الشريف يشرّف الشعر ، ومدح اللئيم يؤدي إلي لؤم الشعر(١٢٥).

ثم يختم المتنبي القصيدة بشئ من الحكم لاتخلو من تعريض وتلميح بكافور:

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهمُ   الجُودُ يَفْقِرُ والإقْدَامُ قَتّالُ

وإنَّمَا يَبْلُغُ الإنسَانُ طَاقَتَه   مَا كُلُّ مَاشِيةٍ بالرِّحْلِ شِمْلالُ

إنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ القَبِيحَ بِهِ   مِن أكثر الناس إحسان وإجمال

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وحَاجَته   ما قَاتَه وفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ(١٢٦)

فهو يرى أنَّ الإنسان الذي يرى أن الجود يفقره وأنَّ الأقدام يقتله لا يمكن أن يكون سيداً ولولا هاتين لكان الناس جميعاً سادة.

وأنَّ الإنسان إنما ينفق على قدر ما يملك كما أن الدواب تسير حسب سرعتها وليست سرعتها كسرعة الناقة الصلبة،فانفق لتذكر في هذه الدنيا لان الذكرى بمثابة العمر الثاني للإنسان . ويظهر من هذه المعاني أنَّه يعرض بكافور لانه لم يقلده ولاية من ولاياته.

١٢٣- التنبال: القصير

١٢٤- ديوانه دار الجيل ،ص٤٨٩

١٢٥- التبيان ،٢٨٦/٣

١٢٦- ديوانه ، دار الجيل ،ص٤٩٠

وعندما توفي أبو شجاع فاتك سنة خمسين وثلثمائة رثاه أبو الطيب المتنبي بقصيدة تعرض فيها إلي كافور وهجائه، ولم ينشدها في الفسطاط كما ذكر المعري في شرحه(١٢٧).

وقد ألصق بأبي شجاع صفات ما هي إلاّ تعريض بكافور وقد أبدع في هذه القصيدة في مثل قوله:

مَنْ لِلمَحَافِلِ والجَحَافِلِ والسُّرَى   فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّراً لا يَطْلَعُ

ومَن اتخذتَ علَى الضُّيوفِ خَلِيفةً   ضَاعُوا ومِثْلُكَ لايَكادُ يُضيّعُ

قُبحاً لوجْهِك يا زَمَانُ فإنَّه   وجْهٌ لهُ مِن كلّ قبحٍ برقعُ

أيَموتُ مثل أبِي شجاعٍ فاتكٍ   ويعيشُ حاسدُهُ الخَصيُّ الأوكعُ(١٢٨)

إذن هذه القصيدة في مدح أعداء كافور وما ينقله المخبرون والجواسيس إلي كافور كان كافياً في أن يوغر صدر كافور على المتنبي وأن يثير الفرقة والوحشة بين الرجلين، الأمر الذي جعل كلاً منهما ينقلب على الآخر فوضع كافور الأرصاد والعيون حول المتنبي وبدأ المتنبي يفكر في الهرب ويهجو كافوراً في سريةٍ تامة.

١٢٧- انظر: معجز أحمد، ٤/٢٢٠.

١٢٨- ديوانه ، دار الجيل ، ص٤٩٣.

الفصل الثالث

هجاؤه لكافور

الهجاء ضد المدح[١٢٩]. ويروى أن أبا عمرو بن العلاء أنه قال : خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها[١٣٠].

وقد ذهب الناس في الهجاء مذاهب شتى ، قال خلف الأحمر : "أشد الهجاء أعفه وأصدقه"[١٣١]. ويرى صاحب الوساطة:" أن ابلغ الهجو ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، واعترض بين التصريح والتعريض"[١٣٢]، وحكى محمد بن سلام الجمحي عن يونس بن حبيب أنه قال:" أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل وهو الاقذاع عندهم"[١٣٣]. والاقذاع هو الفحش والبزاءة، وقد نهي الرسول(ص) عن الهجاء المقذع في قوله: " من قال في الاسلام هجاءً مقذعاً فلسانه هدر" [١٣٤].

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود وترك الفحش فيه أصوب إلا جريراً فإنه قال لبنيه : إذا مدحتم فلاتطيلوا الممادحة وإذا هجوتم فخالفوا ٠

فقصيدة الهجاء يجب أن تكون قصيرة حتي يكون أثرها باقيا ظاهرا وذلك لأن الإطالة قد تنسى أول الكلام ومن الشعراء من يرى ضرورة عنصر الإضحاك في الهجاء وذلك لأنه يضيف شيئاً من السخرية والتهكم قال جرير: إذا هجوت فاضحك ([١٣٥]) والهجاء جيد ورديء يرى ابن رشيق :"إنّ أجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها" [١٣٦].

---

[١٢٩]- مختار الصحاح، ص٦٩١

[١٣٠]- العمدة،١٧٠/٢١

[١٣١]- المصدر السابق ،١٧١/٢.

[١٣٢]- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية بيروت بدون تاريخ، ٢٤/١

[١٣٣]- العمدة ١٧٠/٢

[١٣٤]- المصدر السابق، ١٧٢/٢.

[١٣٥]- المصدر نفسه والصفحة

[١٣٦]-. نفسه ،١٧٤/٢

ثم يتدرج الهجاء في النقصان، فالهجاء بالخلقة الجسمية والمعايب، فهو في درجة أقل " أما ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص ... لايعد الهجو به صواباً"[١٣٧].

والهجاء أما بالتعريض أو بالتصريح ،والنقاد يستحسنون التعريض فيه، يرى ابن رشيق أن التعريض أهجي من التصريح لا تساع الظن في التعريض وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته[١٣٨].

والذي ذهب إليه ابن رشيق صحيح في رأي وذلك لأن التعريض يترك مجالاً لتأويل الهجاء فتكثر حينئذ أبوابه وأنواعه بكثرة التأويل.

والهجاء موجود منذ الجاهلية وممن اشتهر من شعراء الجاهلية بالهجاء: طرفة بن العبد ، فقد هجا الملك عمرو بن هند بقوله:

لعَمْرُكَ أنّ قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثيرُ
قسمت الدهر في زمن رخيٍّ كذاك الحكم يقصد أو يجور
لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولانطير[١٣٩]

وشعراء الهجاء طوائف ومقامات فمنهم من هجا وانتصر ومنهم من استذل بالهجاء، قال أبو عبيدة :"والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه وهجاهم قوم فردوا عليهم فافحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عمن هجاهم رغبة بانفسهم عن الرد عليهم ، وهم في الإسلام: جرير الفرذق، والأخطل، وفي الجاهلية زهير ، وطرفة، والأعشى ، والنابغة"[١٤٠].

أمّا في العصر العباسي فقد اشتهر بشعر الهجاء مجموعة من الشعراء على رأسهم حماد عجرد وبشار بن برد أما المتنبي فلم يشتهر بالهجاء وذلك لأنه لم يَهْجُ

١٣٧-. نفسه والصفحة

١٣٨-. العمدة ،١٧٣/١٧٢/٢

١٣٩- الديوان ، طرفه بن العيد المكتبة الثقافية بيروت د،ن، ص٤٩

١٤٠- الجاحظ البيان والتبيين ، دار صعب بيروت ،د. ط، د.ت،٥٩٨/٢.

في حياته كما حكى ديوانه إلاَّ ثلاثة من الناس ابن كَيَغْلَغٍ وكافوراً وضبة. ولكنه هجاءٌ هادم مقذع بعثه الحقد والغل لا التلهي والسخرية[١٤١].

أما هجاؤه الأول فقد ذكر ديوانه أنه :بلغه وهو بدمشق أن إسحق بـــن كَيَغْلَـــغٍ يتوعَّده في بلاد الروم فقال[١٤٢].

أتاني كلامُ الجَاهِلُ ابن كَيَغْلَغٍ   يَجُـــوبُ حُزوناً بيننا وسُهولا

وليس جَميلاً عِرضُهُ فيَصُونُه   وليس جميلاً أن يكون جميلا

ويكـــذبُ مـــا أذللته بهجائِـــهِ   لقَدُ كانَ مَن قَبلِ الهِجَاءِ ذَليلا

فقد كان هذا الهجاء نتيجة للتهديد والتوعد الذي وجده من ابن كيغلـــغ ولـــيس هجاءً من أجل الهجاء فقط.

أما هجاؤه لضبة، فقد كان بقصيدة واحدة ،وذلك عندما تعرَّض له ضـــبة بـــن يزيد العيني بالشتم[١٤٣]. ومطلع القصيدة:

ما أنصف القوم ضبَّة   وأمُّه الطُـــــــــرْطُبَّة[١٤٤]

ولكنه قد أنكر إنشاد هذه القصيدة كما ذكر ابن جني حينما قرأهـــا عليـــه[١٤٥]. وهذا الإنكار ربما لما ورد فيها من بذيء الكلمات وفاحشها.

أما هجاء المتنبي لكافور فقد جاء في قصائد كثيرة وفي مناسبات مختلفة فقـــد هجاه في مصر وفي طريقه إلي الكوفة بل وما يزال يعرِّض به في شعره حتى عندما زار شيراز لسنة أربع وخمسين وثلثمائة.

ولعل السبب لهذا الهجاء يبدو واضحاً ،وهو أن كافوراً لم يعط المتنبي كما كان يتوقع منه ، فالمتنبي كان يؤمل نفسه بالولاية وألحَّ في الطلب بها أمام كافور، ولكنه خافه لأسباب ذكرناها في صفحات سابقة من هذا البحث، ونضيف إليها أن الشـــاعر

---

[١٤١]– ذكرى أبى الطيب ، عبد الوهاب عزام ، ص١٥٩.

[١٤٢]– ديوانه ، دار الجيل ، ص٢٣٣.

[١٤٣]– انظر: معجز أحمد، ٢٥١/٤.

[١٤٤]– ديوانه ، دار الجيل ، ص٥٧٤.

[١٤٥]– انظر: معجز أحمد، ٢٥١/٤.

عندما فارق سيف الدولة ،كان قد راهن على نفر ممن خالفه في اتجاه السير على أنه سينال ولاية في مصر وقد ذكر هذا في قوله.

وأُعلِمَ قَومَاً خَالفونِي فَشَرّقوا وغَرّبْتُ أنّي قَد ظَفَرْتُ وخَابُوا(١٤٦)

و خشي أن يشمت به هؤلاء ويشمت به أعداؤه ، ولكن لما خاب أمله بعد هذا الرهان ،صبَّ جام غضبه عليه ،فهجاه بشعرٍ نسيَ فيه أنه موجه إلي ملك وليس إلي رجل من عامة الناس، كما نَسِيَ فيه المروءة التي تحمل الإنسان على إحقاق الحق وحفظ الجميل، مهما بلغت المكائد، ونسي فيه أنه الشاعر العظيم الذي ولدته الكوفة ليملأ الدنيا ويشغل الناس، ونَسِيَ –أيضاً– طبيعة البيئة المصرية التي تعرف فقط الأمن والسلام والطمأنينة ،فإذا توفرت هذه الأشياء عند حاكم من حكامهم فلا يأبهون بالأجناس والألوان.

هذه الأسباب مجتمعة جعلت كثيراً من الدراسين يشكُّون في طبيعة العلاقة التي كانت بين الرجلين ،ولا بدّ أن شيئاً مخفياً كان بينهما أدى إلي كل هذا السباب والشتم، وهو الأمر الذي جعلنا نقول إن المتنبي إنما جاء طامعاً في الملك طامحاً فيه، فلما لم يستطع إلي ذلك سبيلاً اتبع الكلمة الجارحة النابية حتى ينتقم من عدوه، بل حتى يعرف الناس أن حاكمهم به كل هذه الصفات ،ومن ثم يثورون عليه حتى الإطاحة به.

وقد أرجع الباحثون هذا الهجاء إلي أسباب متفرقة من بينها: أن الإسلام لم يكن يشكل شيئاً في حياة الشاعر(١٤٧). وأن كافوراً لم يكن أهلاً لهذا الهجاء ولكنه استحقه بما وعد ومطل ثم أخلف(١٤٨). وأن المتنبي مدفوع إلي هذا الهجاء دفعاً لينال من كافور الذي خلع عليه عيون مدائحه ولم يحقق له وعده ولم ينله أربته(١٤٩).

١٤٦– ديوانه ، دار الجيل ، ص٤٨١

١٤٧– أبو الطيب في مصر والعراقين ، الشكعه ، ص٣٤٨.

١٤٨– ذكرى ابي الطيب ، عزام ــ ص١٥٩.

١٤٩– المتنبي بين ناقدين ، محمد عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٤، ص٣٤٨.

ويرى محمود محمد شاكر في هجائه لكافور ومصر وأهلها أن المتنبي: كـــان منكوباً في نفسه وآماله وقلبه وهواه وزاده القومُ كيداً وأثبت عليه الأسود كافور عداوة باغية[١٥٠].

أما الدكتور طه حسين فهو يرى القضية من زاوية أخرى وهي أن كافوراً كان السبب في هذه الأهاجى وذلك لأنه عرف المتنبي كما ينبغي أن يعرفه ووضعه فـــي الموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه ... فذنب كـــافور إذن أنـــه كـــان عـــاقلاً فطنـــاً لبيباً(١٥١).

أما الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب فهو يرى في شعر هجاء المتنبي لكـــافور أنه : شعر صنعه ليسمعه المصريون لروح النكتة فيه ،ولم يكن إلى ذلك سبيل، فكتمه حتى خرج[١٥٢].

والذي ذهب إليه هؤلاء النقاد لا يخرج عن دائرة الصواب، وذلك لأن المتنبي كان غير مهتم بالناحية الدينية التي تمنع الناس من الخوض في أعراض الناس ،كمـــا كان يخيل إليه أن كافوراً أخلفه ما وعده أياه ولم نجد نصاً يؤكد لنـــا هـــذا الوعـــد بالولاية ، ثم الحالة النفسية التي كانت قد إعترته يوم فارق مجلس ســـيف الدولـــة، و أمّل نفسه بالولاية عند كافور، ثم إن المتنبي علم أن المصريين شعب يرتـــاح إلـــي النكتة والفكاهة فأراد أن يقدم لهم شيئاً من شعره يصور لهم هـــذه النكتـــة والفكاهـــة ،ولعل الهدف الأساسي في هذا الهجاء هو الطموح السياسي الذي جاء بـــه المتنبـــي ولكن فطنة كافور وذكاءه حالا دون تحقيقها، من أجل ذلك كله صب عليه جام غضبه وهجاه بعدة قصائد.

وكان أول ما هجاه به هو قوله:[١٥٣]

---

[١٥٠]- المتنبي ، محمود محمد شاكر ، ص٣٧٠

[١٥١]- مع المتنبي، طه حسين ، ص٢٨٧

[١٥٢]- مع أبى الطيب ، عبد الله الطيب ، ص١٣٥.

[١٥٣]- ديوانه ، دار الجيل، ص٥٠٠

أُريك الرِّضَا لو أخفتِ النَّفْسُ خَافيا ومَا أنا عَن نَفسِي ولا عَنْكَ رَاضِيا
أمَيْنَاً وإخْلاقاً وغدراً وخسةً وجُبْناً ، أشَخْصاً لُحْتَ لِى أمْ مَخَازِيا
تَظُنّ ابتساماتِي رَجاءً وغَبْطَةً ومَا أنا إلا ضَاحِكٌ مِن رَجَائيا

يرى المعرى أن هذه الأبيات قيلت بعد أول قصيدة مدحه بها وهي قوله : كفى بك داءً ، وذلك عندما دخل على كافور فرأى أبو الطيب شقوقاً برجليه وقبحها[١٥٤].

ولكن في ذلك الزمان المبكر من لقائهما ،ما كان المتنبي ليجرؤ على هجاء كافور، ولم يكن هنالك سبب للهجاء، لأنهما التقيا لتوهما فلم يعرف كل واحد منهما أخاه على الوجه الصحيح، ثم إن القصيدة تشير إلي إخلاف الوعد أن كان هناك وعد في الحقيقة ،فهو يحتاج إلي زمن حتى يعرف أنه أوفي به أم أخلفه، وهذا لا يتأتى من أول وهلة و إنما يحتاج إلي زمان، لذلك نحن نرجح أن تكون هذه الأبيات قيلت في أواخر أيام المتنبي في مصر عندما بدأت الظنون تدب على قلب كافور.

وقد وصفه المتنبي في هذه الأبيات ببعض الصفات الذميمة وهى المَين الذي هو الكذب، و إخلاف الوعد وخسة الأصل والغدر والجبن . ويبدو أن المتنبي قد جاوز الصدق في هذه الأبيات وذلك لأن كتب التاريخ والأدب والتراجم قد صورت كافوراً بالرجل المتدين الشجاع القويُّ الأمين[١٥٥].

ثم ينتقل المتنبي إلى هجاء كافور ببعض الصفات الخلقية مثل غلظ جلد الكعبين والشقوق التي عليهما ولونه الأسود ، يقول:

وتَعْجِبُنِى رِجْلاكَ فِي النَّعل إنّنِى رَأَيتُك ذَا نَعْلٍ إذا كُنتَ حَافِيا
وإنكَ لا تَدْرِي ألونُكَ أسودٌ مِن الجَهلِ أمْ قدْ صَارَ أبيضَ صَافِيا
ويُذَكِرُنِي تَخْيِيطُ كعبِك شَقَهُ ومَشْيُكَ في ثوبٍ مِن الزَّيتِ عَارِيا

فقد وصفه بالجهل ، فهو من جهله يظن أنه أبيض مثل البيض الذين يخالطهم في حياته اليومية ولكنه أسود اللون وهذا البيت يدل على ضعف وأزعه الديني، وذلك

١٥٤- معجز أحمد ، ٣٢/٤
١٥٥- انظر: النجوم الزاهرة ،٣/٢/٤.

لأن اختلاف الألوان هـو آيـة مـن آيـات الله ولـيس مكانـاً للتنـدر والهجـاء والسخـرية،يقول تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّـمَوَاتِ والأَرْضِ واخْـتِلافُ أَلْسِـنَتِكُم وأَلْوَانِكُم"(١٥٦).

ثم يقول :إنَّ كعبَه كانت به شقوقٌ وأنه كان يمسحه بالزيت ،وهنا أيضاً كـان أبو الطيب يجهل طبيعة أفريقيا ذات الأمطار الغزيرة و الأرض الطينيـة اللزجـة ، حيث إن السير في الأوحال يعرّض جسم الإنسان وبالأخص رجلـه إلـي التشـقق، فيضطر إلي مسح الزيت حتى لا تتشقق، فإذا أراد أن يهجو كافوراً بهذه الأشياء فهو يجد نفسه قد هجا مجموعة كبيرة من الناس تتمتع بهذه الصفات.

ثم يختتم الأبيات بقوله(١٥٧):

ومثلُكَ يُؤتَى مِن بلادٍ بعيدةٍ لِيُضْحِكَ رَبّاتِ الحِدَادِ البَوَاكِيا

وهذه قمة الهجاء أن جعل الرجل أضحوكة بين الناس ،وكان المتنبي قد أشـار إلي هذا المعني عندما كان يمدح كافوراً .

وما طَرَبِى لمّا رَأيتُك بِدْعَةً فقَدْ كُنتُ أرجو أنْ أرَاكَ فأطْرَبُ(١٥٨)

حتى إن أبا الفتح ابن جنى قال معلقاً على البيت : لم تـزد علـى أن جعلتـه أبازنة(١٥٩) أي قرداً ثم هجاه بقطعة أخري يقول فيها وقد خرج من عنده(١٦٠)

أنْوَكُ مِن عبدٍ و من عرسِـــهِ مَنْ حكَّم العَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ

وإنما يظـــــــهر تَحْكِيمُه ليَحكمَ الإفساد في حِســهِ

أي الذي يرضى بحكم العبد يكون أشد حمقاً من العبد ومن أمراة العبـد وأن الذي يرضى بتحكيمه في الظاهر كما هو راض بتحكيمه في الباطن فقـد حقـق الناس فساد عقله.

١٥٦- سورة الروم الآية (٢٢)

١٥٧- ديوانه ، دار الجيل ، ص٥٠١

١٥٨- الصبح المنبي ،ص١٧٧.

١٥٩ - معجز أحمد ،٨٨/٤

١٦٠- ديوانه ص ٥٠٤

وهو في هذه الأبيات كأنه يحرِّض أهل مصر على أن لا يرتضوا بحكم كافور وإلا فهم أكثر حمقاً منه.

ثم يوجه اليه هجاءً مقزعاً يقول:

العــبدُ لا تَفْضُل ُأخْلاقُهُ   عنْ فرجِهِ المُنْتِن أو ضِرْسِهِ
لايُنْجِزَ المِيعَادَ فِي يومِه   ولايَعِى مــَا قَال فِــي أمْسِهِ(١٦١)

يقول: إن العبد إنما يحيا لبطنه وفرجه فإذا وعد لم يفِ وإذا قال لم يعِ ما قال ،كأنه ههنا يشير إلي الوهم الذي كان يدور في خلده ،من أن كافوراً وعده وعداً ولــم ينجزه وهو الولاية . ثم يضيف أن العبد الذي تقبض عليه يد النخاس لا يرجى منــه لأنه في جنس العبيد وإن خدعك بمنظره فانظر إلي جنسه يقول:

فلا ترْجَ الخَيرَ عِنْدَ امرىءٍ   مَرَّتْ يدُ النَّخَاسِ فِي رَأسِهِ
وإنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِي نَفسِه   بِحالِهِ فانظر إلــي جنسِه(١٦٢)

وفي كلمة جنسه يشير المتنبي إلي عنصر الإنسان أو لونه ، وبــذلك يكــون المتنبي شاعراً عنصرياً متأثراً بالشعوبية التي ظهرت في العصر العباسي.

ثم هجاه بمقطوعة أخري ،اعتبرها طه حسين من أجود هجائه لكــافور(١٦٣). وهي الميمية التي يقول فيها:

مِنْ أيّةِ الطُّرقِ يأتِي مثلُكَ الكَرَمُ   أيْنَ المَحَاجِمُ يا كَافورُ والجَلَمُ
جَاز الأُلِي مَلــَكَتْ كَفّــاكَ قَــدْرَهُم   فَعُرِّفــوا بِــكَ أنَّ الكَلــــْبَ فَوْقَهُم(١٦٤)

١٦١- ديوانه ، دار الجيل ،ص٥٠٤
١٦٢- المصدر السابق ، الصفحة
١٦٣- انظر: مع المتنبي. طه حسين، ص٣٣١.
١٦٤- ديوانه ، دار الجيل ، ص٥٠٢.

فهو يخاطب كافوراً أين أنت ومن أين يأتيك الكرم حتى تهبه للنـاس ،فـإن شأنك ليس الكرم و إنّما الحجامة والموسى، وأنَّ الكرام الـذين أنـت حكـم علـيهم عاقبهم الله بك لأنهم جاوزوا قدرهم فأذلهم الله بك.

ثم يلتفت المتنبي الي أهل مصر ويتناولهم بشئٍ من الهجاء وذلك لأنهم ارتضوا بكافور حاكماً عليهم وهم أحرار ، فهل هناك شجاع يتولي قتله ليريح الناس:

سادات ُكلِّ أُناسٍ منْ نُفوسِـهم وسَادةُ المُسْلِمين الأعـبدُ القزمُ
أغايةُ الدِّين أنْ تُحْفُوا شَواربَكم يا أمَّةٌ ضَحِكتْ منْ جَهلِها الأممُ
إلا فتـىً يُوردَ الهندِىّ هَـامَتَه كَيْمَا تَزُولُ شُكوكُ النَّاسِ والتُّهمُ
ما أقدرَ اللهَ أنْ يُخْـزِي خَليقتَـه ولا يُصـدّقُ قومـاً فـي الـذي زَعَمُوا[١٦٥]

فإنكم لا تعرفون من الدين إلا إحفاء الشوارب ، و إذا كنتم تعرفون غير ذلـك لقتلتم هذا اللئيم ، ولكن الله قادر أن يتولي قتله وإراحة الناس منه. وقد ذكر المعـري في شرحه عادة أهل مصر إحفاء الشوارب[١٦٦].

وتتوالي تجاوزات المتنبي في حق كافور ومصر التي أضـافت إليـه ثقافـة ورققت طبعة، ففي سنة خمسين وثلثمائة قبل رحيله من مصر بيوم واحد قال قصـيدة هجا فيها كافوراً، ومصر وهي قصيدته الدالية التي تُعد من أجمل ما قال في الهجـاء بل أجمل ما قيل في الهجاء في الشعر العربي وهي التي قالها في يـوم عرفـة[١٦٧]. يقول فيها[١٦٨].

عِيدٌ بِأيّ حَالٍ عُدتَ يَاعِيدُ بِمَا مَضَى أمْ لأمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ
أمَّا الأحِبَّةُ فالبيداءُ دُونَهم فَلَيْتَ دونَكَ بِيـداً دونَها بِـيدُ

١٦٥- ديوانه ص٥٠٢
١٦٦- معجز احمد ،١٦١/٤.
١٦٧- الصبح المنبى، ص١٢٤.
١٦٨- ديوانه ، دار الجيل، ص٥٠٦.

فهو يخاطب العيد الذي حلّ عليه وهو بمصر، هل جاء إليه بأمر جديد أم هو مثل الأعياد السابقة ، ثم يقول إنه بعيد من أحبابه فليته كان بعيداً من العيد أيضاً.

ثم يسترسل المتنبي في هجاء كافور ومصر:

إنِّي نَزَلتُ بِكَذّابِينَ ضَيْفُهُم ... عنْ القِرَي وعَنِ التّرْحَالِ مَحدودُ
جودُ الرِّجَالِ مِنْ الأيدِي وجَودُهُم ... مِن اللّسَانِ فَلا كَانوا ولا الجُودُ
وما يَقْبِضُ المَوتُ نَفساً مِن نُفوسِهم ... إلا وفِي يَدِه مِنْ نَتْنِهَا عُودُ[169]

فهو يصف كافوراً و أهل مصر بالكذب و البخل فهم لا يكرمونه و لا يتركونه يغادر،و لعل المتنبي يشير في هذه الأبيات إلى أنه كان مجبراً على الإقامة في مصر ، ثم يضيف إذا كان جود الناس من الأيدي فإنَّ هؤلاء جودهم في ألسنتهم بالوعد ولكنه ليس جوداً لانهم لا يفون بما وعدوا به فهل كان كافور و أهل مصر بخلاء؟.

ذكر الأتابكي في النجوم الزاهرة قوله: قال أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان : كان كافور شجاعاً مقداماً جواداً يفضل على الفحول[170]. وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس[171].

وقال ابن زولاق: كان كافور دينياً كريماً وسماطه في اليوم... مائتا خروف كبار ومائة خروف رميس ومائتان وخمسون أوزة وخمسمائة دجاجة و ألف طير من الحمام.[172]

ورجل ينفق من المال مثل هذا في يوم واحد لا يقال له بخيلاً ، لذلك فإن المتنبي قد جاوز عنصر الصدق في هذه الأبيات عندما اتهم الرجل بالكذب في القرى.

١٦٩- ديوانه ، دار الجيل ،ص٥٠٧

١٧٠- النجوم الزاهر، ٢/٤.

١٧١- المصدر السابق،٦/٤

١٧٢ - المصدر نفسه ٨/٤

وكان كافور يغدق على الشعراء ويقال إن إغداقه على الشعراء هو الذي حث المتنبي على السير إلي مصر، وذلك عندما أعطى الشاعر محمد بن عاصم ألف ديناراً مقابل قصيدة مدحه بها[١٧٣].

ثم يتجه المتنبى إلي مصر وأهلها بشئٍ من السباب يقول:-

أكلما أغتال عبدُ السوء سيده   أو خانه فله في مصر تمهيدُ
صَارَ الخَصِيُّ إمَامَ الآبقين بِها   فالحُرُّ مُستعبدٌ والعَبدُ معبودُ
نامتْ نواطيرُ مِصرٍ عنْ ثَعالِبها   فقد بَشِمْنَ ومَاتَفْنَى العَناقيدُ[١٧٤]

والمتنبي يشير في البيت الأول إلي حادثة لم تثبت في كتب التاريخ ولكنها جاءت في مقدمة ديوانه بشرح المعري، حيث ذكر المعرى :أن الأسود ــ ويعنى به كافوراً ــ قد سقي ربه سماً فقتله[١٧٥]. ثم يصف المتنبي كافوراً في البيت التالي بأنه خصى وأن الحر في مصر أصبح مستعبداً وصار العبد سيداً وقد ذكرت بعض المصادر أن كافوراً كان خصياً ، حيث ذكر صاحب حسن المحاضرة: " وكان كافور خصياً حبشياً"(١٧٦) ."ولم يبلغ أحد من الخصيان ما بلغ كافور"[١٧٧].،وقال عنه صاحب الصبح المنبي: " وكان كافور هذا عبدُ أسود خصى مثقوب الشفة السفلي".[١٧٨].

إذن المتنبي عرف بعض صفات كافور وأخذ يرددها، وإن كانت حادثة قتل سيده هذه لم تثبت في الكتب التاريخية، أما كونه خصياً فقد ثبت هذا تاريخياً، لذلك لم يكن المتنبي كاذباً في هذه الأبيات ولكن كلامه ههنا يدخل في دائرة الهجاء لأنه ذكر من الصفات ما يكرهها كافور وهذه هي الفنية.

١٧٣- وفيات الأعيان، ٤٢٥/٣.

١٧٤- ديوانه ، دار الجيل، ص٥٠٧.

١٧٥- معجز أحمد، ١٦/٤.

١٧٦- حسن المحاضر، ص١٤

١٧٧- المصدر السابق والصفحة

١٧٨- الصبح المنبى،ص١١٠

ثم يشير إلي أنَّ حرّاس مصر وملوكها قد أهملوها فتمكن منها العبيد الأراذل فجمعوا الأموال وتخموا من كثرتها."ولست أعرف أصدق في مصر ولا أبرع في تصورها من هذا البيت الأخير" (١٧٩)

ثم يضيف المتنبي قوله:

العَبدُ ليْسَ لِحُرٍّ صَالحٍ بأخٍ ... لو أنّه فِي ثِيابِ الحُرِّ مَولودُ
لا تَشْتَرِى العَبدَ إلا والعَصَا معَه ... إنّ العَبِيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ
ما كُنتُ أحْسَبُنِي أحْيا إلي زَمَنٍ ... يُسِيءُ بِي فِيه كَلْبُ وَهْوَ مَحْمُودُ(١٨٠)

أن الحر لا يصلح أن يكون العبد أخاه حتى إذا كان هذا العبد مولود مع الأحرار وهو هنا يشير إلي أنّ نشأة كافور مع أبناء الإخشيد وذكر المعرى :أن ابن الإخشيد كان يسمي كافوراً أخاه(١٨١).

ثم يقول أن العبد إنما يصلح بالعصا لذلك إذا كنت مشترياً عبداً فاشترِ معه عصا تم يخرج المتنبي عن الإشارة ويصف كافوراً بالكلب وهو الوصف الذي يجب إلا يقبله أحد مهما كانت الخصومة ، وذلك لأن الإنسان يجب أن يحترم إنسانية أخيه وهذه من الأشياء التي أشار إليها القرآن الكريم من أن الله قد فضل الإنسان على كثير من مخلوقاته،" ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وحَمَلْنَاهُم فِي البَرِّ والبَحْرِ ورَزَقْنَاهُم مِن الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمنْ خَلَقْنا تَفْضِيْلاً"(١٨٢).

ثم ينتقل المتنبي إلي نفي صفة الكرم عن كافور ويتساءل عن أين تعلَّم كافور هذه المكارم هل من المصريين وهم قومه البيض أم من آبائه الملوك أم يد النخاس هي التي علمته الكرم؟ يقول:

١٧٩- الصح المنبي، ص٣٣٤.
١٨٠- ديوانه ، دار الجيل، ص٥٠٧
١٨١- معجز أحمد ،١٧٢/٤
١٨٢- سورة الإسراء الآية (٧٠)

مَنْ عَلّمَ الأسودَ المَخْصّى مَكْرَمةً أقَوْمُهُ البِيضُ أمْ آباؤهُ الصِيدُ؟
أمْ أُذْنَه فِي يدِ النَّخَاسِ دَامِيةٍ؟ أمْ قَدْرُهُ وَهوَ بِالفِلْسِينِ مَرْدُودُ؟
أوْلَي اللِئامِ كُوَيفِيرٌ بِمَعذِرةٍ فِي كُلِّ يَومٍ وبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ
وذَاكَ أنَّ الفُحُولَ البيضَ عَاجِزَةٌ عَنِ الجَمِيلِ فَكَيفَ الخِصْيَةِ السُّودُ(١٨٣)

فهو يجد له العذر في تقديم المكارم ،وإنْ كان العذر نفسه لوم، والعذر هو أن السادة البيض قد لايكرمون فكيف بخصيٍّ، أسود وكأنه هنا يفضل البيض على السود ،وهذا إن دل ، يدل على نقصان في ثقافة الشاعر الدينية والإنسانية.

ثم ينتقل المتنبي إلي هجائه في قصيدة أخري يبدأها متسائلاً:-

أمَا فِي هَذِه الدُّنيا كَرِيمُ تَزُولُ به عَن القَلْبِ الهُمومُ؟
أمَا فِي هَذِه الدُّنيا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأهلِه الجَارُ المقيمُ؟(١٨٤)

ثم ينتقل إلي هجاء كافور:

تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ والعِبِدَّى عَلينَا والمَوالِي والصَّمِيمُ
فَمَا أدْرِي إذا دَاءٌ حَدِيثٌ أصَابَ النَّاسَ أمْ دَاءٌ قَدِيمُ
حَصَلْتُ بِأرْضِ مَصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأنَّ الحُرَّ بينَهُم يَتيمُ
كَأنَّ الأسْوَدَ اللابِي فِيهم غُرَابٌ حَوْلَه رَخَمٌ وبُومُ(١٨٥)

يقول إنّ الأمور في مصر قد اختلطت، حتى إنهم لا يميزون بين العبيد والبهائم،والأحرار والموالي، وهنا هجاء لأهل مصر الأحرار الذين ارتضوا واختلطوا بالعبيد ، ثم يتساءل هل هذا داء قديم بمصر قد أصاب الناس أم أنه داء حديث حدث في أيام كافور الإخشيدى ، ثم يصف مصر وكافوراً وبينهم، كأنما هو غراب حوله الرخم والبوم وكلها من شرار الطيور.

١٨٣- ديوانه ، دار الجيل ، ص٥٠٨.

١٨٤- ديوانه ، ص٥٠٣

١٨٥- ديوانه ص٥٠٣.

ثم يقف المتنبي مع نفسه ،تارة يمدح كافوراً وتارة يهجوه بقوله:

أَخَذْتُ بِمَدحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْواً ... مَقَالِــي للأُحَيْــمِقِ يَاحَلِيمُ
ولمَّا أنْ هَجَوتُ رَأيتُ عِيّاً ... مَقَالِي لابْنِ آوَى يا لئِــيمُ
فهلْ مِنْ عَاذِرٍ فِي ذَا وهَذا ... فَمَدْفُوعٌ إلـــي السُّقمِ السَّقِيمُ
إذا أَتَتْ الإساءةُ مِنْ وَضِيعٍ ... ولَمْ أَلُمَ المُسِيءَ فَمَنْ أَلومُ؟([١٨٦])

عندما مدحته استهزأتُ به فقلت له مع حمقه أنه حلــيم ، فلمــا أردت هجــاءه أصبحت عيِيّاً لأنه ألأَم من أن يقال له لئيم ، ولكن على الناس أن يعذروني على مدحه وهجائه لأنني وجدت نفسي مضطراً إلي ذلك. كأنه اضطر في مدحه لينــال عطايــاه ويتولي ولاية ، وهو مضطر في هذا الهجاء لأنه لم يجد ما هو أشــدَّ مــن الهجــاء فيهجوه به لذلك اضطر إليه اضطراراً.

وفي مقطوعة أخري يذكر المتنبي ذات الأوصاف التي تكررت فــي هجائــه مراراً، حيث يصفه بالسواد مرة وبأنه خصياً مرة ثانية ، وأنه واسع البطن يقول:-

وأســودُ أمّا القَلْــبُ مِنْــه فضَــيّقٌ ... نخيــبٌ وأمّا بطــنُهُ فرَحِيبُ
يَمــوتُ به غيــظاً علَى الدَّهْرِ أهْلُهُ ... كَما ماتَ غَيظاً فاتِكٌ وشَبِيبُ
إذا مَا عَدِمْتَ الأصلَ والعقلَ والنَّدى ... فَمَا لِحياةٍ فِي جَنابِكَ طِيبُ([١٨٧])

وقد أضاف المتنبي في هذه المقطوعة معنى جديداً وهو أن أهل الدهر يموتون غيظاً على كافور، وبهذا الغيظ مات كل من فاتك أبو شجاع وشبيب العقيلي ، ثم يذكر في آخر الأبيات، أنه ترك كافوراً لأنه عدم عنده عدة صفات، أولها الأصل وثانيهــا العقل وثالثها الندى. فإذا كانت هذه صفاته فلا يطيب معه العيش وعلــى المــرء أن يغادر . وقد غادر المتنبي مصر كما ذكرت الرواياتُ في يوم عيد الأضــحي ســنة

١٨٦- نفسه والصفحة

١٨٧- ديوانه دار الجيل ص٥١٣

خمسين وثلثمائة [١٨٨] وسار حتى دخل الكوفة في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثلثمائة[١٨٩].

فلما وصل الكوفة ،قال قصيدة افتخر فيها بنفسه ووصف منازل طريقه، وهجا فيها كافوراً والقصيدة مطلعها:

أَلا كُلُّ مَاشِيةِ الخَيْزَلَى فِدَى كُلِّ ماشِيةِ الهَيْذَبَى[١٩٠]

وقال في هجاء كافور :

ونَامَ الخُوَيْدِمُ عنْ لَيلِنا وقَدْ نامَ قَبلُ عَمىً لا كَرَى

وكان على قُرْبِنَا بَينَنا مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِه والعَمَى

لقَدْ كُنْتُ أحْسَبُ قَبلَ الخصى أنّ الرُّءوسَ مَقَرّ النُّهي

فَلمّا نَظرتُ إلي عَقلِه رَأيتُ النُّهى كُلَّها فِي الخُصَى([١٩١])

وصف كافوراً بالخويدم الذي غفل عنه بالغباء وليس بالنوم ،وكان المتنبي قريباً منه من حيث المسافة ، وكان بإمكانه إذا لم يكن غبياً وجاهلاً أن يقبض عليه، ولكن هذا الغباء أصبح مسافة شاسعةً بينهما. ووصفه مرة أخرى بالخصي ، وقال إنه كان يظن أن عقول الناس في رءوسهم ،ولكن عندما نظر إلي كافور علم أن العقول في الخصى،إذ أن الرجل يكون تفكيره حسب خصيته، إذا كانت صحيحة فهو لبيب وإذا كان مخصياً فهو الغبي ،ولعل كافوراً كان كذلك على رأيه.

ثم ينتقل مرة أخري إلي هجاء مصر وبعض رجالها:

وماذا بمِصْرَ مِن المُضْحِكاتِ ولكنَّه ضَحِكٌ كالبُكا

بِها نَبَطِي مِن أهلِ السّوَادِ يُدَرِّسُ أنسابَ أهلِ الفَلا[١٩٢]

١٨٨- انظر: الصبح المتنبي ، ص١٢٥

١٨٩- انظر: المصدر السابق ، ص١٢٧

١٩٠- ديوانه ص٥٠٩

١٩١- التبيان ،٤٣/١

١٩٢- ديوانه ، دار الجيل ، ص٥١٢

فالمتنبي ينكر أن يكون في مصر شئ غير المضحكات ،والمضــحكات عنــده كثيرة منها أن نبطيا من أهل السواد _ سواد العراق _، وكان يــدرس الأنســاب . و يقصد به ابن حنزابة الوزير [١٩٣]

وهذا التساؤل الذي طرحه المتنبي في قوله(وماذا بمصر مــن المضــحكات)جعل طه حسين يجيبه ويعدّد فضل مصر عليه. و طه حسين يرى أن لمصر علــى المتنبي فضلين ، فهي قد رققت غناءه وعلمته الحزن الطويل العميق والتأمل الــذي يكاد يرقي به إلى الفلسفة[١٩٤].

إذن مصر قد علمت المتنبي أشياء كثيرة ولكنه عندما ســخط علــى كــافور وبعض أهلها قال أقبح ما علم عنها وهو المضحكات التي يعرفها عن أهل مصر.

ثم يعود المتنبي مرة أخري إلي هجاء كافور:

وأسْوَدُ مِشْفَرُهُ نصفُهُ   يُقالُ لَهُ أنْتَ بَدرُ الدّجَي[١٩٥]

وهذه أيضاً من المضحكات التي أرادها المتنبي وهى أن هذا الأســود طويــل الشفاه ومع ذلك يقول له الناس أنت بدر الدجي:

ثم يضيف:

وشِعرٍ مَدَحْتُ بِه الكَرْكَــدَنّ   بَيــنَ القَرِيضِ وبَينَ الرُّقَى
فَمَا كانَ ذلــكَ مَدْحاً لــهُ   ولكنّهــ كانَ هَجْــوَ الوَرَى
وقَدْ ضَلَّ قومٌ بأصنَامِهــم   وأمّــا بزقّ رِيــاحٍ فَــلا
ومَنْ جَهِلَــتْ نَفْسُهُ قَــدْرَهُ   رَأي غَيرُهُ مِنه مَالا يَــرَى[١٩٦]

١٩٣- هو أبو الفضل ابن حنزابة وزير كافور، من العلماء الباحثين ، من أهل بغداد ، نزل مصر واستوزره بنو الإخشيد بها مدة أمارة كافور . له تأليف: أسماء الرجال والأنساب.

١٩٤- مع المتنبي ، ص٣٣٦.

١٩٥- ديوانه ، دار الجيل ، ص.٥١٢

٥- ديوانه ص٥١٢.

فهو يقرر أن الشعر الذي قاله في كافور ما هو إلا تعاويذ وأنه اضطر إليه اضطراراً ، لذلك شعره فيه بمثابة هجائه للناس جميعاً لأنهم هم الذين أتاحوا الفرصة لكافور حتى يمدح بهذه القصائد.

الباب الثالث

العضديات

الفصل الأول: مدحه لعضد الدولة

العضديات هى قصائد أبى الطيب المتنبي في عضد الدولة بن بويه بفـــارس ، وذلك لان أبا الطيب المتنبي عندما غادر مصر توجه إلى الكوفة ثم مـــن الكوفـــة ذهب الى بغداد ثم إنه اتخذ الليل جملاً وفارق بغداد متوجهاً إلى حضرة أبى الفضل بن العميد فورد أرَّجان وأحمد مورده (1) . وسار أبو الطيب من بعد ما ودع ابـــن العميد ومدحه ... قاصداً أبا شجاع عضد الدولة وهو بشيرا ز (2) .

وعضد الدولة هو أبو شجاع فناخُسرُو الملقب عضد الدولة بن ركن الدولـــة أبي على الحسن بن بويه الديلمى (3) تسلم عضد الدولة الملك من عمه عماد الدولة وقد عرفت أسرته بالملك ومنهم عز الدولة ابن عمه، وعمه معز الدولـــة وعمـــه ركن الدولة . وهؤلاء جميعاً لم يبلغ أحد منهم ما بلغه عضد الدولـــة مـــن ســـعة المملكة والاستيلاء على الملوك وممالكهم ، وقد امتد ملكه الى الموصـــل وبـــلاد الجزيرة ودانت له البلاد والعباد (4) ٠ وقصده الشعراء فـــي عصـــره ومـــدحوه بأحسن المدائح (5) .

ومن الشعراء الذين قصدوه : أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى ، وكـــان عين شعراء العراق وأنشده قصيدته البديعة التي منها :

إليكَ طَوَى عَرْضَ البَسِيطَةِ جاعِلُ   قُصَارَى المَطايا أنْ يَلُوحَ لَها القَصرُ(6)

١- يتيمه الدهر ١/ ١٥٢

٢- انظر السابق ، ٤/ ١٥٩و١٦٠

٣- وفيات الأعبان ص٤ /٥٠

٤- انظر السابق ، ٥١/٤

٥- معجز أحمد ،٤٢٣/٤

٦- وفيات الأعيان ٥٢/٤

وكان عالماً بالعربية وينظم الشعر ، ومن أشعاره ما أورده صاحب اليتيمة ومنهـا قصيدته التي فيها:

لَيسَ شَرَابُ الرَّاحِ إلا فِي المَطَرْ وغِنَاءٌ مِنْ جَوارٍ فِي السَّحَرْ (٧)

وكان فاضلاً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون ،وصنف له أبو إسحق الصابى كتاب (التاجي) كما صنف له أبو على الفارسي كتـاب (الإيضـاح)و(التكملـة) فـي النحو(٨) .

إذن لم يكن عضد الدولة ملكاً كعادة الملوك بل هو أديب يعرف الأدب ويعـرف فنوناً أخرى لذلك كان من الطبيعي أن يقصده العلماء والأدباء والشعراء ، لا سيما أبو الطيب المتنبي .

وذكر ابن خلكان أنه : "هو الذي أظهر قبر على بن أبى طالب رضى الله عنـه بالكوفة وبنى عليه المشهد الذي هناك" (٩).

فهل كان أبو الطيب المتنبي شيعياً يناصر الشيعة مثل أغلب أهل الكوفة ،أم لماذا قصد المتنبي عضد الدولة بشيراز ،هل كان يطمع في ملكه كما كان الأمر عند كافور أم كان يطمع في ولاية أو في مال يدره عليه ؟ .

فمن الناحية الدينية لم يثبت أن المتنبي كان شيعياً أو علوياً ، فقد ذكـرت بعـض المصادر أنه سجن في أول أمره لأنه ادعى العلوية (١٠) وإدِّعاء الشئ افتعاله . أمـا كونه طامعاً فى مال فهذا ما تنفيه مغادرته لسيف الدولة وكافور من بعده فلـو كـان طالب مال لكفاه ما كان يجده من سيف الدولة ومن بعده من كافور ،أما كونه طامعـاً في ولاية فلم يصرّح هو بذلك ،وقد سبق أن صرّح عند كافور بطلب الولاية في أكثر من قصيده .فإذا كان يطمع في ولاية لكان صرّح بها بهذا الطلب مثلمـا فعـل مـع

٧- بتتمية الدهر ١/ ٢٥٩

١- وفيات الأعيان ٥١/٤

٢ – المصدر السابق والصفحة

٣- انظر: ص (١٠) من هذا البحث

كافور، ومن المنطق كذلك ألا يكون طالب ملك، وذلك لأن طبيعة فارس ليست كطبيعة البيئة العربية، فإن كان قد فكر في هذا الأمر عند كافور لأنه كان يدّخر من الرجال من مثل فاتك المجنون وشبيب العقيلى وغيرهم فإنه لا يكاد يجد مثل هؤلاء بفارس ، أذن فهذا الطلب فيه من المجازفة بحيث إن ه يمكن أن يؤدى بحياته .

أذن ما الشيء الذي جاء المتنبي من أجله الى فارس ؟ ذكرنا في فصل سابق أن أبا الطيب المتنبي كان قد أراد من رحلته الى مصر القضاء على حكم كافور، ولكن هذه الخطة لم يكتب لها النجاح ،لأن معاونيه لاحقتهم المنية فمنهم من قضى نحبه وهو فاتك المجنون ،ومنهم من مات مقتولاً وهو شبيب العقيلي ، ثم خشى المتنبى أن يكشف أمره ففرّ من مصر إلى الكوفة ومنها إلى بغداد ثم أرجان وشيراز.

ذكر صاحب الصبح المنبى : " لما نجحت سفرتُه وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة ، ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتي ألف درهم ،إستأذنه في المسير عنها ،ليقضى حوائج في نفسه ، ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن يخلع عليه الخلع الخاصة ،وتعاد عليه صلته بالمال الكثير " ([1])

فما هى هذه التجارة التي ربحت بحضرة عضد الدولة ؟ ولماذا وصله عضد الدولة بمائتي ألف درهم ثم أمر أن يوصل بالمال الكثير وماهى الحوائج التي في نفس المتنبي والتي بريد قضاءها بكل هذا المال الكثير ؟.

فإذا كانت هذه التجارة هي الشعر فإن المتنبي لم يكثر منها عنده فكل قصائده التى قالها عند عضد الدولة لا تساوي أصابع اليدين . إذن هناك تجاره أخرى ،وهذه التجارة كما بدت لنا هى أن المتنبي كان ما يزال يطمع في ملك كافور ،وأنه إذا لم يستطع هو وأنصاره القضاء عليه فيجب أن يستعين بالملوك الأقوياء أمثال عضد الدولة ، وذلك لما علم أنَّ عضد الدولة ، كان أحد أقوى الملوك الذين ثاروا في منطقة فارس لذلك فقد أملى عليه المتنبي فكرة الإطاحة بحكم كافور ليحكم ــ بالأضافة الى ملكه الممتد ـــ أرض النيل ،وكان كل ملك يتمنى لو كانت هذه الدرة الزاهية من ملكه

---

١ – الصبح المنبي ، ص ١٦٧

،خاصة أن المتنبي قضى بها زهاء أربعة أعوام عرف فيها كل شئ .مداخلها ، ومخارجها ،وعدتها ، وعتادها.

ولما استطاع المتنبي إقناع هذا الملك ،أعطاه عضد الدولة مبلغاً من المال حتى يعود إلى الكوفة لإعداد المزيد من العدة لغزو مصر، وهذه هى الحوائج التي كان ينوى المتنبي قضاءها بالكوفة ،ثم يعود ثانية إلى عضد الدولة لتبدأ مرحلة التنفيذ .

إذن لو كان الأمر كذلك لماذا لم يأت المتنبي إلى عضد الدولة إلا بدعوة منه ولماذا قصد ابن العميد أولاً؟. فقد ورد في معجز أحمد: وجه أبو شجاع عضد الدولة بن ركن الدولة في طلب المتنبي (١٢)

كان أبو الطيب المتنبي من الذكاء بحيث كان يعرف كيف يتعامل مع الملوك ، فلو كان قصده مباشرة من أول مرة لأدخل الشك في نفس عضد الدولة ،لأن المتنبي كان شاعراً كبيراً عند ملك كبير قبيلئذٍ وهو كافور الإخشيدي ،وكانت الملوك يخشى بعضها بعضاً من الغدر والكيد ، لذلك رأى المتنبي أن ينزل أولاً عند ابن العميد وزيره ويمدحه بأجمل المدائح حتى يغرى بها عضد الدولة وقد فعل ، فلما طلبه عضد الدولة لم يتأخر في الإلتحاق به ومدحه وتواثق معه.

ولكن لم يكتب لهذه الخطة النجاح وذلك لأن كافوراً كان أيضاً يعرف كيف يحمى ملكه ، وكان قد عرف أن المتنبي عندما هرب منه لم يكتف بالهروب فقط وربما ألَّبَ عليه الملوك والأمراء أمثال سيف الدولة والخليفة العباسى في بغداد وربما عضد الدولة أيضاً ، لذلك أصبح يفكر في كيفية القضاء عليه ، فأخذ يبحث في الذي يستطيع أن يقوم له بهذا الدور . فوجد رجلاً يقال له فاتك الأسدى .

وهو فاتك بن أبى جهل بن فراس بن بداد (١٣) وهو خال ضبة وأخو والدته . وضبة هو ضبة بن يزيد العيني الذي هجاه أبو الطيب بقوله :

ما أنْصَفَ القومُ ضبَّة وأمَّه الطُرْطُبَّة

٢- معجز أحمد، ٤/،٣٢٣

١- الصبح المنبى ، ص ١٧٠و١٧١

وإنّــما قلــتُ ما قلــتُ   رَحــمَةَ لا مَــحَبّــة ([14])

فوجد كافور حنقاً في نفس فاتك من أبى الطيب، فيبدو أنه استغل هذا الغضب ليتخلص من أبى الطيب ، فجهّز فاتكاً بمجموعة من الأعراب فكمنوا له " قريباً من النعمانية وقتل معه ابنه ٠٠٠ فقتله الأعراب هناك وأخذوا ما معه " ([15]) والله أعلم.

وكان عضد الدولة قد بدأ إنفاذ رأي المتنبي بعد قتله ولكن يبدو أن وفاة كافور الإخشيدي سنة ست وخمسين وثلثمائة ([16]) أجّلت غزو مصر وذلك لأنّ ملكاً آخر غزاها وهو يتبع عضد الدولة على الأقل من ناحية المذهب الشيعي ٠ والملك هو المعز لدين الله العلوي فقد دخل مصر وملكها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ([17]) ٠

هذا ما كان من أمر عضد الدولة وزيارة المتنبي له سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وكان عضد الدولة قد سمع مدح المتنبي لكل من سيف الدولة بن حمدان وكافور الإخشيدي، فتمنى لو أن المتنبي مدحه أيضاً مثلما مدح أولئك ٠
وكانت أول قصيدة مدح بها أبو الطيب المتنبى عضد الدولة بشيراز هى قصيدته التي مطلعها ([18])

أوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلتِي وَاهَا ([19])   لِمَن نَأتْ والبَدِيلُ ذِكْرَاهَا

ثم مضى المتنبي في نسيب طويل ذكر فيه محبوبته ووصفها بأنها :

شَامِيةٌ طَالمَا خَلَــوتُ بِهَا   تُبْصِرُ فِي نَاظِرِى مُحَيّاهَا
فَقَبّلتْ نَاظِــرِي تُغَالِطُنِي   وإنّــما قَبّــلتْ بِــه فَاهَا

٢- المصدر السابق ، ص ١٧١
٣- ابن الاثير الكامل في التاريخ ، دار صادر ، ١٩٧٩، ٥٦٦/٨
٤ – انظر السابق ، ٨/ ٥٨٠
٥ – المصدر نفسه ، ٨، ٥٩٠
١- انظر: الصبح المنبى ، ص ١٦٠ ومعجز أحمد ٣٢٣/٤ ووفيات الأعيان ٥١/٤
٢- أوه : كلمة تقال على وجه التوجع ٠ وواها : كلمة تستعمل للتعجب

فَلَيــتُهَا لا تَــزَالُ آويةٌ   ولَيــتُه لا يــزَالُ مَــأواهَا ([20])

ولعله ها هنا أجاب أن زوجته كانت من الشام، ثم حدد لنا في الأبيات التالية مـن أي حواضر الشام كانت محبوبته يقول :

أحبُّ حِمصاً إلى خُنَاصِرة   وكُـلّ نَفـسٍ تُـحِبُّ مَحْيَاهَا
حَيثُ التَقَى خَدُها وتُفَاحَ لُبْــ   نَانَ وثَغْرِى عَلَــى حُمَيــّاهَا
وصِفْتُ بِــها مَصِيفَ بَادِيةٍ   شَتَوتُ بِالصَحْصَحَانِ مَشْتَاهَا ([21])

ثم بعد هذه المقدمة الغزلية الطويلة يدخل في مدح ممدوحه بقوله :

وقدْ رَأيْــتُ المُــلوكَ قَاطِــبةً   وَسِرْتُ حَتّــى رَأيتُ مَولاهَا
ومــَنْ مَنَــايَاهُــم بِــراحَــتِه   يَأمــُرَهَا فِيــهــم ويَنْهَــاها
أبَا شُجَاعٍ بِفَــارِسَ عَضُدَ الدَّوْ   لةِ فَنَّــاخُسْرَواً شِــهِنْــشَاهَــا

فقد مدحه بأنه ملك الملوك ،وأنه هو الذى منايا الناس بيده يأمرها وينهاها، ثـم ذكـر أسماء عضد الدولة فهو أبو شجاع وهو عضد الدولة وهو فناخسرو وهـو شاهنشـاه ،هذه الأسماء التي تدخل في نفس الإنسان اللذة عندما يذكرها :

أسامياً لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً   وإنّما لَــذَّةً ذَكــَرْنَاهَا ([22])

ذكر صاحب الصبح المنبي أنه : " قيل لما سمع سيف الدولة البيت (لقد رأيـت الملوك ٠٠) قال أتراه أدخلنا في هذه الجملة "([23])

ذكر المتنبي أن عضد الدولة هو مولى الملوك أو ملك الملوك، فهل كان محقاً في ما ذكر؟.

ذكر ابن خلكان بعد أن ذكر عدداً من حكام الفرس: "وهؤلاء كلهم مـع عظـم شأنهم وجلالة أقدارهم لم يبلغ أحدٌ منهم ما بلغه عضد الدولـة مـن سـعة المملكـة

٣- ديوانه ، دار الجيل ص ٥٣٧

٤- ديوانه ص ٥٣٨

[1] – ديوانه ص ٥٣٩

[2] – الصبح المنبي ، ص ١٦٠ ويتيمة الدهر ١٤٩/١

والإستيلاء على الملوك وممالكهم" ([24]) ٠ وذكر ابن الأثير في الكامل : أن عضد الدولة كان قد استولى على العراق وملك بنى حمدان وديار بكر وغيرها (٢٥) ٠

وهذه كما هو معروف ممالك تقع على أيدي عدد من الملوك والأمراء فيهم سيف الدولة بن حمدان الذي نزل عنده المتنبي حوالي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

وكان عضد الدولة لعظمته وامتداد ملكه لُقِبَ ملكاً "وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام " ([26]) ٠

وكان المتنبي قد رسم فى ذهنه صورة لمملكة شيراز ومجلس عضد الدولة ابن بويه وهى بالطبع صورة تخالف ما رآه فى مجلس كافور، ومن قبل فى مجلس سيف الدولة ، فلما قدم الى شيراز إلى مجلس عضد الدولة فى أول مجلس شاهده فيه ، قال عضد الدولة لأبى القاسم عبد العزيز بن يوسف : "اخرج واستوقفه واسأله كيف شاهد مجلسنا وأين الأمراء الذين لقيهم فى نفسه منا ؟ قال : فامتثلت ما أمرت به ولحقته ٠٠٠ فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أن قال : ما خدمت عيناى قلبى كاليوم " ([27]) ٠

ثم مضى المتنبى فى مدح عضد الدولة بقوله :

هو النَّفْسُ الذِى مَوَاهِبُهُ	أنْفَسُ أموالِه وأسْنَاهَا
لوْ فَطِنَتْ خَيلُهُ لَنائِلِهِ	لمْ يَرْضَهَا أنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا
لا تَجِد الخَمْرُ فى مَكارِمِه	إذا انْتَشَى خُلةً تلافَاهَا

ذكر العكبرى : قال أبو الفتح : "قال بعض خزان عضد الدولة : أمر له بألف دينار عدداً فلما أنشد هذا البيت (هو النفس الذى مواهبه) أمر أن تبدل بألف موازنة ، فأعطى ألف مثقال موازنة " ([28]) ٠

---

٣ – وفيات الأعيان ، ٥١/٤

٤ – انظر: الكامل لأبن الأثير ، ٦٤٨/٨-٦٩٢-٧٠٢

٥ – وفيات الأعيان ٥١/٤

٢٧ – محمود محمد شاكر ، المتنبي ، عن ترجمة المقريزي الفقرة ١٩

١ – التبيان في شرح الديوان ، ٤/ ٢٧٥

ووصف هذا الكرم بأنه كرم أصيل ،وليس بفعل الخمر التى ينتشى بها المرء فلا يدرى ما يقول ، ثم يؤكد المتنبى وصفه لعضد الدولة بأنه ملك الملوك وذلك بقوله :

فإنّما المَلكُ رَبٌّ مَملكةٍ   قَدْ فَعَــمَ الخَافِقَينِ رَيَّاهَا
مُبْتَسِمٌ والوجوهُ عابسةٌ   سلْمٌ العِدى عِنْدَه كَهيجَاهَا
النَّاسُ كَالعابِدينَ آلــهةً   وعَبْــدُه كالمُوَحِدِ اللــهَ (٢٩)

وفى هذا الأبيات كأنه يعرِّض بسيف الدولة وكافور، وذلك لأن حدود سـلطانهما أقل بكثير من مملكة عضد الدولة ، وفي البيت الأخير يصف المتنبي حياته عند كـل من سيف الدولة وكافور كأنما هي عبادة أصنام ،وأن عبادته لله قد بدأت منذ وصوله شيراز ٠

ثم مدحه بقصيدة أخرى وذكر فيها أبنيه أبا الفوارس وأبا دلف ، وقد أفتتح هذه القصيدة بذكر شعب بوّان (٣٠) ووصفه بأوصافِ رائعة تجلت فيها شاعرية المتنبـي وخياله يقول فيها :

مَغَانِي الشِّعبِ طِيباً فِي المَغانِي   بِمَنْزِلةِ الرَّبِيعِ مِـن الزَّمَانِ
ولكِـنِ الفَتَـى العَـرَبِي فِـيهَا   غَرِيبُ الوَجْهِ واليَدِ واللّسَانِ
ملاعبُ جِنَّـةٍ لَـوْ سَارَ فِيهـَا   سُلَيمَانَ لَسَـارَ بِتُرْجَمَـانِ(٣١)

فقد وصف أبو الطيب هذه الأمكنة بأنها أجمل أماكن الأرض ،مثلما الربيع أجمل فصول السنة ، وأراد أن يقول لنا إنَّ أهلها كانوا أعاجم فقال : إنَّ العربى فيها يبـدو غريب اللسان، أما غربة الوجه فيعنى بها اللون، وغربة اليد ربما قصد بها أن سلاح العرب كان يختلف عن سلاح الفرس وربما أراد أن العرب كذلك كانوا أكـرم مـن

٢– ديوانة ، دار الجيل ، ص ٥٤٠

٣–الشعب : المنفرج بين جبلين ٠ وبوّان : هو بوّان بن إيران من ولد سام بن نوح عليه السلام ، ويعتقد أن أهل فارس من نسل بوان هذا ٠

٤ – ديوانه ، دار الجيل ، ٥٤١

الفرس ، ولكننا نرجح المعنى الأول لأنَّ المتنبى كان أمام ممدوحه الذى وصفه من قبل بالكرم وهو بطبيعة الحال فارسى الأصل ٠

وبعد مقدمة طويلة في وصف الشعب تخلَّص أبو الطيب إلى مدح عضد الدولة بقوله :

فقلتُ إذا رَأيتُ أبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عن العِبَادِ وذَا المكانِ
فإنَّ النَّاسَ والدُّنيا طَرِيقٌ إلى مَن مَالَهُ فِي النَّاسِ ثانِ
لَقد عَلَّمْتَ نَفسِى القَولَ فِيهِم كَتَعْلِيمِ الطِّرَادِ بلا سِنَانِ
بِعَضُدِ الدَّولةِ امْتَنَعَتْ وعَزَّتْ ولَيسَ لِغَيرِ ذِى عَضُدٍ يدَانِ (٣٢)

إن هذا المكان المعروف بشعب بوان هو جنة الله في الأرض ولا يستطيع الإنسان مفارقته، ولكن لما رأى عضد الدولة نسي كل شئ لا سيما هذا الشعب، ثم يذكر أن الناس كلهم إنما هم وسيلة لهذه الغاية الكبرى التي ليس لها ثان وهى عضد الدولة ، وكأنه ههنا أيضاً يعرِّض بسيف الدولة وكافور وإن كان هذا المعنى قد استخدمه عندهما أيضاً فقد قال في كافور :

وقَضَى اللهُ يا كافُورُ أنّك أوّلٌ ولَيسَ بِقاضٍ أنْ يُرَى لك ثانِ (٣٣)

وقال في سيف الدولة :

ولو جَازَ الخُلودُ خَلدتَ فَرْداً ولكنْ لِيس للدُّنيا خَليلُ (٣٤)

وكان المتنبي معجباً باسم عضد الدولة لذلك فقد تصرف فيه بصورة لطيفة عندما قال إن البلاد قد امتنعت على أعدائها وعز سلطانها بعضدها الذي هو أبو شجاع وإذا لم يكن هناك عضد فلا يدان ،لأن اليدين تقومان على العضد وهذا معنى لطيف ، ثم يمضى أبو الطيب في هذا التصرف :

دعته بِمفزع الأعضاءِ منها ليومِ الحربِ بكرٍ أو عوانِ

---

١ – ديوانه ص ٥٤٣

٢ – التبيان ، ٤/ ٢٤٦

٣ – ديوانه ، دار الجيل ، ص٢٦٤

فما سَمّى كفنا خُسْرَ مُسْمٍ ولا يكنى كفنا خُسْرَ كاني (٣٥)

فإذا كانت الدولة تفزع إليه في حروبها فإن اليد إنما تفزع الى عضدها ، وهو ليس له نظير في الدنيا في اسمه وفى ملكه وسلطانه .ثم يمدح أبو الطيب المتنبي ابني عضد الدولة أبا دلف وأبا الفوارس يقول فيهما :

ولـمْ أرَ قَبلَه شِبْلَى هِزَبْرٍ كَشِبْلِيه ولا مُهْرَى رِهَانِ
أشدَّ تَنازُعاً لِكَريمِ أصلٍ وأشْبَهَ مَنظرٍ بأبٍ هِجانِ
وأكثرَ فِي مَجَالسِه استماعاً فلانٌ دَقّ رُمْحاً في فُلانِ
وأولُ رأيةٍ رأياً المعَالِى فقدْ عَلِقا بها قبلَ الأوانِ
وأولُ لفظةٍ فَهِمَا وقَالا أغاثةَ صَارخٍ أو فكَّ عانِ (٣٦)

وقد اتخذ المتنبي مدح ابني عضد الدولة مدحاً له لأنهما تجسيد لصفات وخصال عضد الدولة فهما أكثر شبهاً بوالدهما من حيث الأصل والكرم وهما قاما في مجلس لا يسمعان فيه إلا أخبار الشجعان والحرب وهو مجلس عضد الدولة الذى رأيا فيه المعالي وسمعا فيه الألفاظ النبيلة مثل إغاثة الصارخ وفك الأسير ثم يستطرد في مدحهما :

فعَاشَا عِيشةَ القَمَرينِ يَحْيَا بِضَوئِهِمَا ولا يَتَحاسَدانِ
ولا مَلَكاً سِوَى مُلكَ الأعادِى ولا ورِثَا سِوَى مَنْ يقْتلانِ
وكانا إبنا عَدوٍّ كاثَرَاهُ لَهُ يَاءَىْ حُروفِ أُنَيْسِيانِ (٣٧)

فيدعو لهما أن يعيشا مثل الشمس والقمر للناس ولا يختلفان ،وأن يدوم ملك أبيهما ولا يرثاه بل يرثا ملك الأعداء والذين يقتلونهما ، ثم يضيف وهما عندك زيادة لك في

---

١ – ديوانه ص ، ٥٤٣

٢ – ديوانه ص ، ٥٤٤، ٥٤٥

٣ – ديوانه ، ، ص ٥٤٥

كل خير وليس مثل ابنى العدو اللذين بزيادتهما يقل خير العدو مثل كلمة إنسان فـإذا أضفت لها يائين فإنّ معناها يقلّ وتكون تصغيراً ٠

ثم مدحه بقصيدة أخرى عندما انهزم وهسوذان ([٣٨]) في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وكان ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الري فهزمه وملـك بلـده وفى الديوان يمدحه ويذكر وقعة وهشوذان ابن محمد الكردي بالطرح :

إثْلِثْ فإنَّـا أيّـها الطَـلَلُ   نَبكِـى وتَرزِمُ تَحـتَنا الإبلُ
أوْلا فَلاعَتَـبٌ عَلَى طَـلَلٍ   إنَّ الطُّلـولَ لِمِثلِـها فُـعُلُ
لوْ كُنتَ تَنْطُقُ قلْتَ مُعتذراً   بِى غَيرَ ما بِكَ أيّها الرَّجُلُ([٣٩])

فبعد أن بدأ القصيدة بهذه المقدمة الطللية كعادة الشعراء القدامى مضى في مدح عضد الدولة بقوله :

مَلِكٌ إذا مَـا الرُّمْحُ أدْرَكَهُ   طَنَـبٌ ذَكَرْنـاه فيَعْتَـدِلُ
إنْ لمْ يَكنْ مِن قَبلِه عَجزُوا   عَمَّا يَسوسُ بـهِ فَقد غفلوا
حَتّى أتَى الدُّنيا ابن بَجْدَتِها   فَشَكا إلـيهِ السَّهْلُ والجَبلُ([٤٠])

فهو يبالغ في وصف عضد الدولة حتى يجعل منه رجلاً مهيباً لدى الرماح فاذا ما إعوج الرمح وذكر عضد الدولة يعتدل ، ثم يقول إنّ الملوك الذين قبلـه لا يعرفـون السياسة كما هى إمّا من عجز وإمّا من غفلة ،ولمّا أتى عضد الدولة فقد جـاء عالمـاً وخبيراً بها وبشئونها حتى إن الناس جميعاً كانوا يأتونه للمسألة مَنْ هم بالسهل ومَنْ هم بالجبل ٠ وهذه الأبيات وإن كان فيها مبالغة إلا أنها تدل على المقـدرة السياسـية العالية لهذا الرجل وهو عضد الدولة ٠

١- وهسوذان بن محمد الكردى، كان قد تمرد على عضد الدولة وخرج عليه.

٢ – ديوانه ، دار الجيل ، ص ٥٤٦

٣ – ديوانه ، ص ٥٤٧

ثم يحاول المتنبى أن يغرق في هذه المبالغة وإضفاء صفات مثالية على ممدوحه ولكن في الجملة لم يأت بمعانٍ جديدة فهى عين ما ظل يردده منذ زمن بعيد ٠ ومن ذلك قوله :

فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِه ... غُرَرٌ هِي الآياتُ والرُّسلُ
فإذا الخَمِيسُ أبَى السُّجودَ لَهُ ... سَجَدَتْ لَهُ فِيه القَنا الذُّبلُ
وإذا القُلوبُ أبَتْ حُكومَتَه ... رُضِيَتْ بِحُكْمِ سُيوفِه القللُ (٤١)

وهذه الأبيات تدل على أنّ هناك معارضة داخلية لحكم عضد الدولة غير أنه استطاع أن يقضى عليها بقوة السلاح والبطش والبأس الشديد ٠

ثم يوجه أبو الطيب الإشادة في هذه الأبيات إلى آل بويه قاطبة بقوله : -

لا يَسْتَحِي أحدٌ أنْ يُقالُ لَهُ ... نَضَلُوكَ آلُ بويهِ أو فَضَلوا
قَدَرُوا عَفَواً وعَدُوا وفَوا سُئِلُوا ... أغنَوا عَلوا أعْلوا ولوا عَدَلُوا
فَوقَ السَّماءِ وفَوقَ ما طَلَبوا ... فإذا أَرَادوا غَايةً نَزَلُوا
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُم صَوَارِمهم ... فإذا تَعَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلوا
لا يَشْهِرونَ عَلَى مُخَالِفِهم ... سَيفاً يقومُ مَقامَه العَذْلُ
فأبو عَلىٍّ مَنْ بِه قَهَروا ... وأبو شُجَاعٍ مَنْ به كَمُلوا (٤٢)

فهم الشجعان الذين يغلبون كل شجاع حتى إن الشجاع لا يستحي إذا هُزم منهم ، وعلى الرغم من هذه القوة فهم يعفون عند المقدرة ويوفون بعهدهم إذا عاهدوا ويغدقون على من يسألهم مالاً ويعدلون إذا حكموا ، لله درهم بسطوا العدل في أرضهم على الناس فهم لا يشهرون السيف على من يخالفهم في الرأي ٠ ثم يؤكد أن أبا على وهو والد أبى شجاع هو الذى قهر الملوك وبسط سلطان الدولة الذى تم واكتمل بأبى شجاع فناخسرو والذى يقرأ هذه الأبيات يجد عدلاً ووفاءً بالعهد وكرماً وإعلاءً للناس وقوة وحرية في الرأي ، وبهذه الأشياء جميعاً تقوم الدول والممالك ،

---

٤ – ديوانه ، ص ٥٤٨

١ – ديوانه ، ص ٥٤٩ ، ٥٥٠

والملك الذى يتّبع مثل هذا للناس ليس بملكٍ عادى وإنما هو خبير في الدين والسياسة والحرب .

ولعل هذه الأبيات –كذلك– تدل على أن قائلها كان من الذين ينشدون هذه الأشـــياء في الملوك من حرية ، وعدل وكرم وأمانة ، فكأنه قد فقد هذه الأشياء عند ملك سابق وهو كافور، لذلك يتمنى أن تكون هذه هى صفات هذا الملك الجديد وهو فناخســرو، والمتنبي عندما ينسب كل هذه الصفات لآل بويه إنما يعرّض بأهل مصر الذين ناموا عن الثعالب وتركوها تخرب كيفما شاءت .

وفى قصيدة أخرى مدحه بها عندما ما جاء الخبر بهزيمة وهسوذان بعد الكــرة الأولى ، افتتحها بذكر الخيال الذى ما درى الشاعر هل هو زائر أم عائد يقول : –

أزائرٌ يَا خَيالُ أمْ عَائِدْ؟ أمْ عِندَ مَولاكَ أنّنِي رَاقِدْ؟ (٤٣)

وبعد مقدمة طويلة يتخلص أبو الطيب إلى مدح عضد الدولة بصورة لطيفة بقوله :

طالَ بُكائِي عَلَــى تَذَكّــرِهَا وطُلْتَ حَتّــى كلاكُما واحِــدْ
ما بالُ هَــذِى النُّجومُ حَائِرةً كَأنَّــها العُمْيُ مالَهــا قَائِــدْ
أو عُصبْةٌ مِنْ مُلوكِ ناحِيةٍ أبـــو شُجاعٍ عَليهِــم واجِــدْ
إنْ هَرَبوا أُدرِكُوا وإنْ وَقَفوا خَشَوْا ذِهَابِ الطَّرِيفِ والتَالِدْ(٤٤)

هذه القصيدة هى أول قصيدة مقيدة القافية لأبى الطيب في فارس ، وعلى الرغم مــن أن مقدمتها كانت رائعة وجيدة التخلص فإنّ القارئ لها يشعر برتابة وملل ولعل هــذا هو الذى جعل بعض النقاد يقول بنظرية ضعف شعر أبى الطيب بفارس (٤٥)

ثم مدحه بأرجوزة طويلة بعد قفوله من دشت الأرزن (٤٦) من رحلة صيد لســنة أربع وخمسين وثلاثمائة، مطلعها :

---

١ – معجز أحمد ، ٣٧٦/٤

٢–المصدر السابق ، ٣٨٠/٤

٣ – انظر: أبو الطيب المتنبى في مصر والعراق ، ص ٤٧٩

٤–دشت الأرزن :موضع كثير الصيد تحف به الجبال على بعد فراسخ من شيراز ذهب الى صيد الأيائل بالجبال

ما أَجْدَرَ الأيامَ والليالِي		بأنْ تَقولَ مالَه ومالِي

وفى هذه الأرجوزة تذكر المتنبي عشقه القديم وهو الفخر بنفسه قبل مدح الممـــدوح ، وقد فعل هذا في قوله :

لا أنْ يَكونَ هَكَذا مَقالِى		فَتَىً بنيرَانِ الحُرُوبِ صَالِ

مِنْها شَرَابِى وبِها اغتسَالِى		لا تَخْطُرُ الفَحْشِاءُ لِى ببِالِي

ثم استطرد في مدح أبي شجاع ووصفه بأنه ساقى في كؤوس الموت وأنه قاتل الكرد الذين كانوا يتمردون على سلطانه فلما فرغ من هذا ذهب إلى صيد الأيائل بالجبال:

كَيــفَ لا وإنــّمَــا إدلالِــى		بِفَارِسَ المَجْــروحِ والشَّمــالِ

أبـــا شُجَاعٍ قاتــلِ الأبْطَالِ		سَاقِى كُؤوسِ المَوتِ والجِرْيَالِ

وَقتَــلَ الكُــرْدَ عَنِ القِتَالِ		حَتّــى اتَّقَــتْ بِالفَرِّ والإجْــفَالِ

فَــهالــِكٌ وطَائِـــعٌ وجالِـــى		واقْتَــنَصَ الفِرْسَانَ بالعــَوالِـــى

والعُتُــقِ المُحْــدَثَةِ الصِّقالِ		سَارَ لِصَــيدِ الوَحْشِ بِالجِبــَالِ (٤٧)

ثم يذكر معانى ذكرها من قبل وهى أن عضد الدولة كريم النسب من جهة خاله ومن جهة عمه ولكنه يفخر بنفسه قبل هؤلاء جميعاً

يا عَضُدَ الدَّولةِ والمَعَالِـــى		النَّسَبُ الحَلْىُ وأنْتَ الحَالِى

بالأبِ لا بِالشَّنْفِ والخَلْخَالِ		حَلْياً تحلَّى مِنْــكَ بِالجَمَالِ

....

فَخْرُ الفَتَى بِالنّفْسِ والأفعَالِ		مِنْ قَبلِه بِالعَمِّ والأخْــوَالِ (٤٨)

إذا كان المتنبى قد عاش حياة بدوية في الكوفة وحياة قريبة من البداوة فـــي كـــل الحواضر العربية التي زارها – إلاّ حياته في مصر –، فإنه في شيراز قد عاش حياة حضرية مدنية بكل ما تحمله مفردات هذه الحياة المدنية ، من احتفال بأيـــام محـــددة

---

١ – ديوانه ص٥٦٠,٥٦١

٢ – ديوانه ص٥٦٥

تعرف بالأعياد ينثر فيها الملكُ الورود على الصفوف وجموع الناس، والمغنيات يغنين بأجمل وأطرب الألحان ، وفى أحد هذه الأعياد ويسمى بيوم الجلسان، وصف المتنبى أبا شجاع " وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه " (٤٩) يقول في ذلك :

قَدْ صَدَقَ الوَرْدُ فِي الذِى زَعَمَا أنّكَ صَيَّرتَ نَثْرَهُ دِيَمَا
كأنّما مَائِجُ الهَوَاءِ بِهِ بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مَائِه عَنَمَا
ناثِرُهُ نَاثِرُ السّيُوفِ دَمَاً وكُلُّ قَولٍ يَقُولُهُ حِكَمَا
والخَيلُ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِها والنِّعَمَ السَّابِغاتِ والنِّقَمَا

فالمتنبى الذى كان يصف الخيل والليل والبيداء، أصبح في فارس يصف الورد وهو قد نثر على الجو وكان من قبل يصف الرماح وهى منثورة على الأعداء ، فقد أحدثت هذه الرحلة تحولاً كبيراً في فكر ولغة المتنبى ٠

٣ – ديوانه ، دار الجيل ، ص ٥٥٦

الفصل الثانى

رثاء عمةعضد الدولة

الرثاء هو بكاء الميت ومدحه ٠ يقول ابن رشيق " وليس بين الرثاء والمدح فرق ، إلا أنه يخلط بالرثاء شئ يدل على أن المقصود ميت (٥٠) ٠

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة ، مخلوطاً بالتلهف والأسف والإستعظام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً (٥١) ٠

وتجربة الرثاء في شعر أبى الطيب ليست جديدة فقد سبق له أن رثى جدته عندما غلب الفرح على قلبها فقتلها عندما كتب لها كتاباً (٥٢) ٠ فقال يرثيها :

أتاهَا كِتَابِــى بَعدَ يأسٍ وتَرْحــةٍ　　فَمَاتَتْ سُروراً بِــى فَمُــتُّ بها غَــمَّا

حَرَامٌ علَى قَلْبِى السُّرورَ فإنّــنِى　　أعِــدُّ الــذِى مَاتَتْ بِــه بَعــدَها سُــمَّا

فأصْبَحْتُ استَسْقِى الغَمَامَ لقبْــرِهَا　　وقــدْ كُنتُ استسقِى الوغَى والقَنا الصُمَّا

وكُنتُ قُبيلَ المَوتِ استعظمُ النَّوَى　　فقدْ صَارَتِ الصُغْرَى التِي كانتِ العُظْمَى(٥٣)

وله تجربة رثاء أخرى مع والدة سيف الدولة عندما توفيت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال يرثيها ويعزى سيف الدولة :

وهَــذا أولُ الناعينَ طُــرَّاً　　لأولِ مِيتةٍ فِي ذَا الجَلالِ

كأنَّ الموتَ لمْ يفجعْ بِنفْسٍ　　ولمْ يخطرْ لِمَخلوقٍ بِبَالِ (٥٤)

وقصيدته في رثاء أبى شجاع فاتك تعد من أجمل ما رثى به أبو الطيب المتنبى حيث صوّر حال الذين افتقدوا المرثى :

مَنْ لِلمَحَافِلِ والجَحَافِلِ والسُّــرَى　　فَقَــدَتْ بِفَقْدِكَ نَيّــراً لا يَطْلُعُ

ومَنِ اتخذتَ علَى الضِّيوفِ خليفةً　　ضَاعُوا ومِثْلُكَ لا يَكادُ يُضَيِّعُ (٥٥)

١- العمدة ، ١٤٧/٢

٥١ – المصدر السابق والصفحة

٥٢ – ديوانه ، دار الجيل ، ص ١٧٤

٥٣ – ديوانه، ص ١٧٥

٥٤ – ديوانه ، ص ٢٦٥

هذه صور لرثاء أبى الطيب المتنبى ، ولعل المتتبع لهذا الرثاء يجد أن أبا الطيب كان دائماً يظهر فيه شخصية القوى الذى يستطيع أن يعوّض ممدوحه ما يلاقى من أثر الفراق وألمه ، فمع جدته كان يقول :

ولو لمْ تَكونِى بِنتَ أكرمَ والدٍ   لكانَ أباكِ الضَّخْمَ كونُكِ لِى أمَّا

فيجب ألا تحزن جدته من نسب والدها الوضيع ما دام هو ولدها فإنها يكفيها فخراً. وفى قصيدة عزّى فيها سيف الدولة بعبدٍ له اسمه يَمَاكْ قال فيها :

لا يُحزنِ اللهُ الأميرَ فإنى   لآخذٌ مِن حَالاتِه بنصِيبِ (٥٦)

والرثاء لا يفتتح بالنسيب والغزل كما يفعل الشعراء في المدح وغيره ٠ قال ابن الكلى : لا أعرف مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أرَثَّ جَديدُ الحَبلِ مِنْ أمِّ مَعْبَدِ   بِعافيةٍ وأخْلَفْتِ كُلَّ مَوعِدِ (٥٧)

ويرى ابن رشيق أنه :" من أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أنْ يرثى طفلاً أو امرأةً ، لضيق الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات " (٥٨) . وكان قدر الله في أبى الطيب المتنبى أن يرثى النساء ، فقد رثى جدته ورثى أمّ سيف الدولة وأخته خولة ثم رثى عمة عضد الدولة بن بويه ،والرثاء عند أبى الطيب المتنبى كثيراً ما يأتى ممزوجاً بالحِكَم والأمثال والدعاء للميت والإستسقاء لقبره مثل قوله في رثاء جدته :

فأصبحتُ استسقِى الغمامَ لقبرِها   وقدْ كنتُ استسقِى الوغَى والقَنا الصُّمّا

ومن الحكم : قصيدته التي رثا بها والدة سيف الدولة :

ومَنْ لمْ يَعْشَقِ الدُّنيا قَديمَاً   ولكنْ لا سَبيلَ إلى الوِصالِ(٥٩)

ومن قوله كذلك في الحكمة في قصيدة رثى بها خولة أخت سيف الدولة

---

٥٥ – ديوانه، ص ٤٩٣

١–ديوانه،ص٣٢٢

٢–العمدة،١/١٥١–

٣–المصدر السابق،٢/١٥٤

٤–ديوانه ص٢٦٥

ومَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنيا ومُهْجَتِه   أقامَه الفِكْرُ بينَ العَجْــزِ والتَّعَــبِ
(٦٠)

ومن شعره الذى جرى مَجْرَى الأمثال قوله في رثاء أبى شجاع فاتك :

حتى رجعتُ وأقلامِى قَوائِلَ لَى   المَجْدِ للسَّيفِ ليسَ المَجْدُ للقلَمِ (٦١)

ومن الاستسقاء الذى في شعره الرثائى قوله في رثاء والدة سيف الدولة :

سَقَى مَثواكِ غادٍ فِي الغَوادِى   نَظيرَ نوالِ كَفَّكِ فِي النّوالِ(٦٢)

وقد ارتبط شعر الرثاء عند المتنبى بالحكمة والأمثال وطلب السقيا لقبر الميت والدعاء له ، لأن الشاعر يرى أن الموت هو انقطاع عن الحياة ومفارقة الأصدقاء والأقــارب ومثل هذا يصح أن يكون حكمة بالغة للناس ومثلاً سائراً يكون موعظة للناس ، أمــا طلب السقيا ، فربما كانوا يعتقدون أن القبر منزل ضيق شديد الحرارة ،لــذلك فهــم يطلبون السقيا لهذا القبر حتى يتبلل بالماء وتذهب عنه الحرارة الشديدة ٠

وقد رثا أبو الطيب المتنبى عمة عضد الدولة بقصيدة واحدة عندما وافتها المنية في بغداد مدينة السلام وقد استهل هذه القصيدة بأبيات تعزية للملك عضد الدولة يقول :

آخرُ مَا المَلكُ مُعَــزّى بِه   هَــذا الــذِى أثّــرَ فِــي قَلبِه
لا جَــزَعاً بلْ أنــفاً شَابَه   أنْ يقدرَ الدّهرُ علَى غصــبْه (٦٣)

فهو يعزيه ويدعو الله أن يكون هذا البلاء هو آخر ما يصيب الملك أبا شجاع ٠

ويعتقد المتنبى جازماً أن الدنيا هى التي جارت عليه وأخذت عمته ، وهى فعلت كل ذلك عن جهل منها بحقيقة هذا الملك فلو كانت تعرفه حق المعرفة لأخذها الحياء من الإقتراب منه ومن ذويه :

لو دَرَتِ الدُّنْيا بِمَا عِندَه   لاستَحَتِ الأيامُ مِنْ عَتْبِه

٥--ديوانه ص٤٣٦

١-ديوانه ص٤٩٧

٢- ديوانه ص ٢٦٦

٣-ديوانه ص٥٥٧

وكذلك ظنت الدنيا والأيام أن أقرباء الملك الذى يقطنون بعيداً عنه هم ليسوا أقربـــاءه لذلك سارعت بالأخذ منهم فأخذت عمته لأنها كانت تسكن في بغداد فلو علم الأعــداء أنه كلما إقترب الإنسان من أبى شجاع فإنه ينأى عن الموت فقد فعلوا :

لعَلّها تَحْسَــبَ أنّ الــذِى   لَيسَ لَدَيهِ لَيسَ مِــنْ حِزْبِهِ
وأنّ مَــنْ بَغْدادُ دارٌ لــهُ   لَيسَ مُقيماً فِي ذُراً عَضْبِه
وأنَّ جـــدَّ المَرْءِ أوطَانُه   مَنْ لَيسَ مِنهْا لَيسَ مِنْ صُلْبِه
أخَافُ أنْ تَفطَنُ أعْداؤه   فيَجْفلوا خــَوفاً إلــى قُرْبِه (٦٤)

ثم يتحول أبو الطيب الى حكمة استوحاها من تجربته وخبرته في الحياة وقد صاغها صياغة رائعة من ناحية الألفاظ والكلمات وهذه الحكمة تشير من طرف خفي إلى أنه بدأ يحس إحساس الإنسان الذى قد يفارق الناس في أى وقت ولحظـــة ، لــذلك فهــو يستسلم لهذا الأمر وهو الموت الذى يريح الجسم مما أصابها من تعب الحياة التي كلها شظف وإعجاب بالنفس وتيه وتكبر :

لابــدَّ للإنسانِ مِــنْ ضَجْعَةٍ   لا تقْلِبَ المُضْجِعَ عَنْ جَنْبِه
يَنسَى بِها مَا كَانَ مِــنْ عُجْبِه   ومَا أذَاقَ الَموت مــنْ كَرْبِه
نَحنُ بَنــوالمَوتَى فَــمَا بَالُــنا   نَعَافُ مَا لابُدَّ مــِنْ شــُرْبِهِ(٦٥)

هذه الحكمة الرائعة البالغة التي صاغها المتنبى في هذه المرثية تشير إلى أنه بدأ يراجع مما كان ناله من علم ومعرفة في ما مضى من زمانه عندما كان يدرس فـــي مدرسة العلويين الشيعة في الكوفة حيث كانوا يدرسون العلوم الدينية التي تقــول إن الدنيا هى طريق إلى الآخرة وإن الناس سيموتون مهما بلغوا من عمر ٠

وأعتقد أن هذه الأفكار التى بثها المتنبى فى هذه القصيدة كان سيقولها حتى إذا لم تمت عمة عضد الدولة وذلك لأنه منذ قدومه شيراز بدأت تتغير لهجته ولعلــه أدرك منذ وصوله أرض فارس أن مخاطر جمة تتهدده لذلك مال إلى الحكمة والتأمل وذلك

١- ديوانه ص٥٥٧

٢- ديوانه ص٥٥٧

منذ أول قصيدة قالها بشيراز حيث ذكر مفارقة الإنسان للجنة كمفارقته هو لهذه الأرض الجميلة الخضراء ٠

مناسبة هذه القصيدة التى رثى بها عمة عضد الدولة جعلته يتكلم بأمور دينية ردها بعض مفسري ديوانه إلى الحكمة والفلسفة ففى قوله :

فَهذِه الأرْواحُ مِنْ جَوِه   وهَذِه الأجْسامُ مِن تُرْبِه

قال العكبري :" إن الإنسان مركب من هذين ، من جوهر لطيف وجوهر كثيف ، فالأرواح من الجوّ،والأجسام من الأرض فجعل اللطيف من الهواء والكثيف من التراب.."(٦٦)

وهذا هو قول الحكيم واللطائف سماوية ، والكثائف أرضية (٦٧)

وهذه ليست من الفلسفة فى شئ وإنَّما هى حقائق علمية حيث إن الانسان يتكون من روح وجسد فالروح تصعد إلى السماء عندما تقبض والجسد يدفن فى الأرض ٠

ويسترسل أبو الطيب فى هذه الحكم بقوله :

يموتُ رَاعِي الضَأنِ فِى جَهلِه   مَوتة جَالِينوسَ فِى طِبِّه

ورُبَّما زَادَ علَى عُمْرِه   وزَادَ فِى الأمْنِ عَلَى سِرْبِه

ففى هذين البيتين يقرر أبو الطيب أن الموت لا يفرق بين إنسان وآخر وأنَّ كُلَّ الناس يموتون ، فراعي الضأن على احتقاره يموت وجالينوس الطبيب الذى يعالج المرضى وربما يعتقد بعض المرضى أنَّه يحميهم من الموت فهو نفسه يموت ، وربما عمر راعى الضأن على هذا الجهل ثم يضيف أنَّ الناس إذا علموا هذه الحقيقة وأنَّ كل إنسان إلى الزوال فعندئذٍ يكون الجبان الذى يخشى الحرب مثل الشجاع الذى يخوض غمار الوغى فإذا كان الأمر كذلك فعلى الإنسان ألاّ يجبن:

وغايةُ المُفْرِطِ فِي سلِمِه   كَغَايةِ المُفُرطِ فِي حَرْبِه

والمتنبى ها هنا مُؤمن كامل الإيمان فهذا البيت ما هو إلاَّ تصوير للآية : " إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ " (٦٨) ٠ وقوله تعالى " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ " (٦٩) ٠

---

٦٦ ـ التبيان ٢١٢/١
٦٧ ـ التبيان ٢١٢/١

ثم يدخل المتنبى في رثاء عمة عضد الدولة بعد هذه المقدمة الطويلة المملوءة بالحكم والمواعظ :

استَغْفِرُ اللهَ لِشِخْصٍ مَضَى كَأنَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنبِه
وكانَ مَنْ عدّد إحْسانَه كأنَّه أفرَطَ فِي سَبِه
يُرِيدُ مِنْ حُبِّ العُلَى عَيْشَهُ ولا يُرِيدُ العَيْشَ مِنْ حُبِّه
يَحْسَبُهُ دافِنُهُ وَحْدِهِ ومَجْدُه فِي القَبْرِ مِن صَحْبِه
ويُظْهَرُ التذْكِيرُ فِي ذِكْرِه ويُسْتَرُ التَّأنِيثُ فِي حُجْبِه

هذه الأبيات الخمسة تمثل الفكرة التي قامت عليها القصيدة وهى الرثاء ، على أن هذه الأبيات سبقت بثمانية عشر بيتاً وهذا يدل من ناحيةٍ على ما ذهب إليه ابن رشيق في قوله : "من أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو أمرأة " (٧٠)
فقد وصف المتنبى المرثية بأنها لا ذنب لها إلا الندى وهى تنفق في خفاء حتى إذا ذكر الناس إحسانها أفرطوا في سبّها ، فهى وإن دفنت فليست وحدها، وإنَّما المجد الذى صنعته سيظل مرافقها في تلك الحياة الطويلة ، هذه المرأة التي هى امرأة في حقيقتها ولكنها رجل من حيث ما تقدم من أعمال ٠

وهذه المعانى ذكرها المتنبى من قبل عندما رثى والدة سيف الدولة وأخته خولة (٧١) ثم يختم القصيدة بمدح عضد الدولة ويعزيه بقوله :

يَدْخُلُ صَبَرُ المَرْءِ فِي مَدْحِه ويَدْخُلُ الإشفاقُ فِي ثَلْبِه
مِثْلُكَ يَثْنِى الحُزنَ عَن صَوبِه ويَسْتَرِدّ الدَّمْعَ عَن غَرْبِه

فالصبر مدح للإنسان والإشفاق ذم له ، فمثلك يصير حتى ييأس الحزن منه ويجف عنه الدمع ٠

٢- سورة الزمر الآية ٣٠
٣- - سورة آل عمران من الآية ١٨٥
١- العمدة ١٥٤/٢
٢- ديوانه ص٢٦٥

الفصل الثالث

وداعه عضد الدولة

وصل أبو الطيب المتنبى إلى شيراز بفارس سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ([72]) وهذه المصادر لم تذكر في أيِّ شهرٍ أتى ولكن المستشرق(بلاشير) أشار إلى أنَّ ذلك كان في شهر صفر وظل هناك حتى غادره في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ([73]) ٠

و(بلاشير) إنما يقصد أن يؤرخ لكل الفترة التي قضاها أبو الطيب بفارس منذ أن دخل أرَّجان على ابن العميد ٠ ولكن بعض المراجع حددت الفترة التي قضاها أبو الطيب بشيراز عند عضد الدولة بثلاثة أشهر ، فقد أورد البرقوقى:" أنشد قصيدة الوداع في شعبان سنة أربع وخمسين " ([74]) ٠

وهذا يعنى أنّ أبا الطيب دخل شيراز في جمادى الأول سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ٠ وبالقياس على ما قاله المتنبى فى عضد الدولة حيث بلغت قصائده فيه ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وهذا يفسر من ناحية أخرى مدى إعجاب الشاعر بممدوحه ٠

وكنا قد أشرنا في مبحث سابق إلى أن أبا الطيب كان يطلب من عضد الدولة أن يعينه على القضاء على حكم كافور ، وربما كان هناك اتصال بين عضد الدولة وأبى الطيب حتى قبل وصول أبى الطيب شيراز ، فقد ذكر صاحب إيضاح المشكل :" أن عضد الدولة سأله عن مسيره من مصر " ([75]) ٠

ولعل عضد الدولة قد فكر بكل جد في مصر حيث إن ه كان قد عين وزيراً يجلس معه لمعرفة الطريق المؤدية إلى مصر ، فقد ذكر صاحب ايضاح المشكل " وكان

١- انظر: معجز أحمد ٣٢٣/٤والتبيان ٢٦٩/٤

٢- انظر: بلاشير ،ص٢٣٣

٣- البرقوتى ، ٦٤/١

٤- المصدر السابق ٧٧/١

وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف اليه ، وحفظ المنازل والمناهل من مصر الى الكوفة ويعرفها منه " ([٧٦]) ٠

قد كتب لرحلة أبي الطيب إلى عضد الدولة التوفيق والنجاح ، فأقفل راجعاً الى الكوفة لتنفيذ ما تبقى من مخطط وقال قصيدة يودع بها عضد الدولة بالعودة اليه، ولعل طبيعة الأمور كانت تشير إلى أنَّ الصلة بينهما أصبحت قوية تحتم التزاور بينهما لا سيما بعد القضاء على حكم كافور،لذلك فقد عبرت بعض المصادر عن هذه الرحلة بعبارات النجاح والربح ([٧٧]) ٠

والقصيدة التي قالها أبو الطيب بهذه المناسبة تعد من غرر شعره في فارس افتتحها بقوله مخاطباً عضد الدولة :

فِدىً لَكَ مَنْ يُقَصِرُ عَنْ مَدَاكَا   فَلا مَلِكٌ إذَنْ إلا فَدَاكَا

ولوْ قُلْنا فِدىً لَكَ مَنْ يُسَاوِى   دَعَونَا بِالبَقاءَ لِمَن قَلاكَا ([٧٨])

ففى معنى البيت الأول قال أبو الفتح بين جنى : "إن أجيبت هذه الدعوة ، فداك كل الملوك ، لأنهم يقصرون عن مداك ، وقال الخطيب: إنما يريد الدعاء اى يفديك من يقصر عن مداك ([٧٩])

والبيت فيه دعاء أى يفديك كل من يقصر عن أن يصل مداك وعندئذ فكل الملوك يفدونك لأنهم أقل منك مكانة ورفعة وملكاً ٠وقد افتتح أبو الطيب هذه القصيدة الوداعية بالدعاء للمدوح المودع لعل الله يقبل هذا الدعاء ، وهو من جهة ثانية يعرّض بكافور ويشير من طرف خفى إلى أنه دون هذا الملك ٠

ولا يسترسل أبو الطيب في هذه المقدمة وإنما يدخل مباشرة بعد سبعة أبيات الى موضوعه الذى هو وداع عضد الدولة ، وربما كان أبو الطيب على عجلة من أمره

٥- المصدر نفسه ٧٨/١

١- انظر: يتيمة الدهر ٢٧٤/١ والصبح المنبى ص١٦٧

٢- ديوانه ص٥٥٦

٣- التبيان ٣٨٦/٤

وذلك لأنه يريد الإسراع إلى الكوفة للقيام بمهمة الإعداد للقضاء على كافور ، لـذلك لم يطل في مقدمة هذه القصيدة كما فعل في غيرها من قصائده في عضد الدولة ٠

ويبدو أن العلاقة بين عضد الدولة وأبى الطيب كانت قد توطـدت إلـى أقصـى مراحلها ، وليست على شيءٍ من السوء كما يعتقد بعض الدارسـين ، حيـث أشـار محمود محمد شاكر إلى أن الرّجلين ــ أبا الطيب وعضد الدولة ــ " كانا يتخادعان وأنهما كانا في الباطن عدوين لا يأمن أحدهما جانب صاحبه " (٨٠) ٠

ثم يمضى أبو الطيب في توديع صاحبه على أحسن ما يكون الوداع بكلمـات لا تصدر إلا من رجل حاذق شاكر حافظ للجميل يقول :

أرَوحُ وقَدْ خَتَمْتَ علَى فُؤادِى ... بِحُبكَ أنْ يَحِلَّ به سِوَاكَا
وقَـدْ حَمّلْتَنِى شُكْـرَاً طَويلاً ... ثَقِيلاً لا أُطِيقُ بِه حَرَاكَا
أُحَاذرُ أنْ يَشُقّ علَى المَطَايا ... فَلا تَمْشِي بِـه إلا سِوَاكَا

فعضد الدولة قد ختم على قلب صاحبه بالحب حتى إن قلبه لا يحتمل أحداً غيره ، وقد حمله مالاً ووعداً وشكراً طويلاً ثقيلاً حتى إنه لا يستطيع به الحراك ، وإنْ دلّ هذا ، يدل على كثرة ما أغدق عليه من نعم ومال ٠ ذكر صاحب اليتيمة: "أنَّ عضد الدولة " أمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ويقاد عليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمـال الكثير " (٨١) ٠

فهذه الخلع والحملان والمال الكثير جعلت أبا الطيب يخشى ، ليس ألا يحملها هو ، بل حتى مطاياه قد يثقلها هذا الحمل الثقيل فلا تستطيع السير وهو في أشد الحاجـة الى سرعة المشى ٠

لعـلَّ اللـهَ يَـجْعَلَـهُ رَحِـيلاً ... يُعِينُ علَى الإقامَةِ فِي ذُرَاكَا
ولو أنّى استطَعتُ خَفَضْتُ طَرْفِى ... فَلَمْ أُبْـصِرْ بِـه حَتّى أرَاكَا

٤- المتنبى ،محمود شاكر ص٣٨٧

١- يتيمة الدهر ٢٧٥/١

فهو يتمنى من الله أن يجعل هذا الرحيل سبب في الأوبة إليه والإقامة إلى جانبه ، وكان من الإشفاق على الرجوع يتمنى لو أنه وجد نفسه عند عضد الدولة على غمضة عين .

أرَى أسَفِي ومَا سِــرْنَا بَعِيداً　　فَكَيفَ إذا غَدا السَّــيرُ ابْتِرَاكَا
وهَذا الشَّوقُ قَبلَ البَينِ سَيفٌ　　فَهَا أنَا مَا ضَرَبْتُ وقَــدْ أحَاكَا
إذا التَّوْدِيعُ أعْرَضَ قَالَ قَلْبِى　　عَليكَ الصَّمتَ لا صَاحَبْتَ فَاكَا

ما أظنُّ أنَّ أحداً من الناس وُدع بمثل هذه الأبيات ، فإنَّهم ما زالــوا علـــى أطــراف مملكته وقد بدأ الشوق يغالبه فكيف تكون حاله عندما يكون الســير شــديداً بعيــداً ، فالشوق قبل الفراق مثل السيف الذى يقطع قبل أنْ يعمل به:

ولــولا أنّ أكْثــَرَ مَا تَمَنّى　　مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ ولا مُــنَاكَا
قدِ اسْتَشفَيتَ مِــن دَاءٍ بداءٍ　　فأقْتَلُ مَا أعَلّكَ ما شَفَاكَا

وهذان البيتان يدلان على أن أبا الطيب كان يعتقد أن السفر عن الممدوح داء والبعد عن الحبيب داء وأيهما لبّى فهو مشفٍ لطرف ومعلٌ للآخر .

ثم يذكر أبو الطيب أهله وأحبابه بالكوفة وهو مشتاق لرؤيتهم فإذا تمت هذه الرؤية فقد تذهب عنه بعض ما كان يلاقيه من فراق عضد الدولة ، فإذا كان محبوبه بالكوفة حزيناً لفراقه فإن عضد الدولة كان مسروراً بلقائه والعكس صحيح .

ثم يقف أبو الطيب قليلاً عند هذا المحبوب الذى بالكوفة ،فهو سيُسر أيما ســرور برؤية ، هذا المحبوب الذى هو عذب الرضاب وقد آلَ على نفسه ألا يمس الطيب بعد فراق حبيبه ، وكان طاهراً عفيفاً ، فهو ما يزال يذكرنا ليل نهار :

فَكتَمْ دُونَ الثَّوِيــةِ مِــن حَزِينٍ　　يَقــولُ لهُ قُدُومِى ذَا بِذَاكَا
ومِنْ عَذْبِ الرِّضَابِ إذا أنَخْنَا　　يُقَبِلُ رِجْلَ تَرْوَكَ والورَاكَا
يُحَرِّم أنْ يَمِــسَ الطِّيب بَعدِى　　وقَدْ عَبَقَ العَبِيرُ به وصَاكَا
ويَمنَــعُ ثَغْرَه مِــنْ كُلِّ صَبٍّ　　ويَمْنَحه البَشــَامَةَ والأرَاكَا
يُحَــدِثُ مُقْلَتَــيه النَّومُ عنّــى　　فَلَيتَ النَّومَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا

ثم ينتقل أبو الطيب مرة أخرى ويذكر ممدوحه بعد أن وقف برهة مع محبوبته:

وكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ ليَسَ يَدْرِى أيَعْجِبُ مِنْ ثَنائِى أمْ عُلاكَا
وذَاكَ النَّشرُ عِرْضُك كانَ مِسكاَ وذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِى والمَدَاكَا
ولا تَحْمَدُهما واحْـمَد هُمَـاماً إذا لــمْ يُسمِ حَامِدُهُ عَــناكَا
أغَرَّ لَــهُ شِمَــائِلَ مِــنْ أبيــهِ غــداً يَلْقَى بَنُــوكَ بِها أبَاكَا

فإنى قد أثنيتُ عليك كثيراً في شعري، وأنت رجل كريم عالي الهمة رفيع المنزلـة ، فالذي يسمع شعري فيك يطرب ولكن هل طربه هذا من جودة شعرى أم من عــلاك وسموك؟.

أن الذى يعرف أبا الطيب المتنبى قبل وصوله عضد الدولة ثم يسمع بيته (وكَمْ طَرِبِ المسامِعِ) يعرف أنّ تحولاً كبيراً قد طرأ على هذا الشاعر الضخم ، فهو لم يتواضع بشعره عند سيف الدولة بل كان يقول في مجلسه ويخاطبه :

سَيَعْلَمُ الجَمْعُ مِمّنْ ضَمّ مَجْلِسُنا بِأنّنِى خَيــرُ مَــنْ تَسعَى بِــه قَدمُ
الخَيلُ والليلُ والبــيداءُ تَعْرِفُنِى والسّيفُ والرّمحُ والقُرْطَاسُ والقَلمُ([٨٢])

وفى قصيدة له بعد رجوعه من مصر إلى الكوفة يضع نفسه موضع الإنسان الذى يجب أن تعلمه كل الحواضر العربية :

لِتَعلَمَ مِصرُ وَمَنْ بِالعِراقِ وَمَنْ بِالعَواصِمِ أنّى الفَتَى
وأنّى وَفَيْتُ وأنّى أبَيْــتُ وأنَى عَتَوتُ عَلى مَنْ عَتَا ([٨٣])

فالذى في مصر يقصد به كافوراً ،والذى بالعراق ربما يقصد بهــم مجموعــة مــن الأُمراء الذين في العراق ،ولعله يقصد الخليفة العباسى بشئ من التحديد، أما العواصم فهى كثيرة يومئذٍ منها دمشق وحلب وبغداد وشيراز وغيرها ٠

١- ديوانه ص٣٣٢

٢- ديوانه ص٥١١

فإنَّ الذى يقرأ كل هذه الأشعار ويقرأ "وكم طرب المسامع " يجد أن أبا الطيب قد تواضع بل ترك أسلوبه القديم في الشعر ذلك الأسلوب الذى يرى فيه نفسه قبل الممدوح ٠

ثم يصف أبو الطيب عضد الدولة ، بأنه كان صحيح الود ولا يدعيه ، وليس لدعواه حقيقة ، وذلك لأنك تستطيع بسهولة أن تعرف دموع المدعى البكاء من الأنسان الذى يبكى حقيقة :

وفِى الأحْبَابِ مُخْتَصٌّ بوجْدٍ   وآخرُ يدّعِى مَعَه اشْتِرَاكَا
إذا اشْتَبَهَتْ دُموعٌ في خُدودٍ   تَبينَ مَّنْ بكَى مِمن تَباكَى

ثم يشعر أبو الطيب المتنبى ببعد المسافة بين شيراز والكوفة بل لعله بدأ يحس إحساساً داخلياً بالخطر الذى ينتظره ، لذلك قال بيتين تطير منهما أصحابه :

فَزُلْ يَا بُعدُ عَنْ أيدِى ركَابٍ   لَها وَقْعُ الأسِنّةِ فِي حَشَاكَا
وأياً شِئْـتِ يَا طُرُقِى فَكُونِى   أذَاةً أو نَـجَاةً أو هَـلاكَا

حتى إن عضد الدولة قال :" تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك "([٨٤]) ٠

ولكن يبدو أن شاعرنا كان مملوءاً حماساً في أن يقطع هذه المسافة الطويلة بأسرع ما يكون ٠

فَلَوْ سِرْنَا وفِى تَشْرِينَ خَمْسٌ   رَأونِي قَبلَ أنْ يَرَوا السِّمَاكَا([٨٥])

فلو سار شاعرنا في خامس شهر تشرين فإنه سيصل إلى الكوفة قبل طلوع نجم السماك ، الذى يظهر قبل منتصف شهر تشرين ([٨٦]) ومعنى هذا إذا سار في رضىً من عضد الدولة ، فإن ذلك يقيه الأعداء والطعان ويكون له سلاحاً ٠

٣- التبيان ٣٩٥/٤

٢- السماك نجم يظهر فى الثالث عشر من تشرين الاول

٣- انظر: معجز أحمد ٤٢٢/٤

ثم يختم أبو الطيب هذه القصيدة ببيت يدل على مدى تأثره بهذا الفــراق ، وماذا يقول لربه لو أنه سأله لماذا فارقت هذا الرجل وفيه من الصفات ما فيه :

حَيِيّاً مِنْ آلهِى أنْ يَرانِى   وقَدْ فارَقْتُ دَارَكَ واصْطَفَاكا

ثم خرج شاعرنا متوجهاًنحو العراق " بحسن حال ووفور مال "([٨٧]) حتــى إذا قرب من بغداد وخرج من دير العاقول ، خرج عليه فرسان مــن أســد وشيبان فقُتل بين الصافية ودير العاقول في رمضان سنة أربع وخمســين وثلاثمائة وقتل معه عبده وقتل ابنه بعده ([٨٨]) ٠

وهؤلاء الفرسان هم الذين أشرنا إليهم في مبحث سابق من أنَّ كافوراً ربما كان قد جهزهم لقتل أبى الطيب لما حدث بينهما من جفوة وهجاء ، وقد استطاع أن يقضــى عليه وينال منه ٠

ولكن حياة أبى الطيب المتنبى الفعلية قد بدأت بعد قتله ، فهذا الشعر الــذى تركــه والذكرى الخالــدة لــه قــد خلدتــه فــي النــاس وســيظل خالــداً إلــى الأبــد ٠

٤- يتيمة الدهر، ١/ ٢٧٦ -

٥- معجز احمد ، ٤/ ٤٢٥

الباب الرابع

دراسة فنية

الفصل الأول الالفاظ والمعاني

أولاً : **الألفاظ:-**

قضية اللفظ والمعنى قضية قديمة التناول عند اللغويين والبلاغيين والنقاد جميعاً. فقد أطالوا الحديث عنها ، إطالة تناصر اللفظ وأخرى تناصر المعنى وثالثة ترى أن الأمر ليس لهذا ولا لذاك وإنما لكليهما جميعاَ.

وكان أول من تكلم من القدماء عن هذة القضية الجاحظ فى كتابه (الحيوان) حيث ذكر أنّ :" المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتمييز اللفظ وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك" (١)

وظاهر من كلام الجاحظ أنه كان يفضل اللفظ على المعنى لأنَّ المعانى مشتركة بين الناس جميعاً وجودة اللفظ وتخيره وتميزه هو الذى يؤثر فى فصاحه الكلام .

وفى (دلائل الاعجاز) أورد (عبد القاهر الجرجانى) كلاماَ كثيراَ يفهم منه أنه كان يفضل المعنى أولاَ ، ثم تجاوز ذلك الى نظرية النظم ، فقد تساءل الجرجانى " مافي اللفظ لولا المعنى ؟ وهل الكلام إلا بمعناه (٢) ثم أضاف: وهل يقع فى وهم _ وأن جهد – أن تتفاضل الكلمتان المفردتان ، من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم " (٣)

١- الجاحظ ، الحيوان،الموسوعة الشعرية،٢٠٠١م،ص١١٦٥

٢- عبد القاهر الجرجانى ، دلائل الاعجاز ، مطبعة الخانجى بالقاهرة ، ط ٥ ٢٠٠٤م ص ٢٥٢

٣- المصدر السابق ، ص٤٤

و(أبو هلال العسكرى)يرى أن الكلام : " يحسن بتخير ألفاظه وإبدال بعضها من بعض ، وأن ذلك يوجب التئام الكلام ، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته وأن أمكن مع ذلك منظوماً من حروف سهلة المخارج كان أحسن له " [٤]

وابن رشيق القيروانى يُعرّف اللفظ – فى كتابه العمدة – من خلال المعنى فيقول : " اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته " ([٥])

فابن رشيق بهذا الكلام أنما يريد أنّ من زعم أنّ للفظ فضلاً دون المعنى فقد أبطل وكذلك من زعم أنّ للمعنى فضلاً دون اللفظ ، إنَّما يقوى بعضها بعضاً ، وهذا أشبه بكلام عبد القاهر الجرجانى.

وابن الأثير يرى أنّ الفضل إنَّما يعود للسبك ويقول فى ذلك : " إنك ترى أن اللفظتين تدلان على معنى واحد ، وكلاما حسن فى الاستعمال ، وهما على وزن وعدة واحدة ، إلا أنه لايحسن هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما فى موضع السبك" ([٦])ويقول ابن خلدون فى مقدمته : "فصناعة الكلام – نظماً ونثراً . إنما هي في الألفاظ لا المعاني ،وإنّما المعاني تبع لها وهي أصل"([٧]) .

هذه صورة لبعض أقوال القدماء فى قضية اللفظ والمعنى ، فقد وقف بعضهم

– كما رأينا – إلى جانب اللفظ وبعضهم الآخر إلى جانب المعنى وحاول بعضهم أن يساوي بين اللفظ والمعنى ، فقال إنّ اللفظ جسم روحه المعنى ، فلا

---

٤ – أبو هلال العسكرى ، كتاب الصناعتين ، دار الكتب العلمية ط ٢ بيروت ، ٩٨٩م ص ٥٥

٥- العمدة ، ١٢٤/١

٦- ابن الإثير ، المثل السائر ،١٦٦/١

٧ – ابن خلدون،المقدمة،ص٣٣٠

معنى لجسم بلا روح ولا معنى لروح بلا جسم ، وهذا هو الرأى الذى نميل إليه وذلك لأنّ الالفاظ هى التي تنقل المعانى ، وأن المعانى هى التى تبرز رونق الألفاظ .

وإذا رجعنا إلى شعر شاعرنا فى كافورياته وعضدياته ، نجده قد مال الى ألفاظ متعددة أملتها عليه طبيعة الظرف الذى كان يعيشه، وكذلك أن معانيه كانت ملائمة للظرف الذى هو فيه ، فبنظرة إلى كافورياته وعضدياته نجده قد استخدم ألفاظاً حضارية ، وأخرى مدنية وثالثة حوشية غريبة ، ورابعة بدوية أعرابية وهذا كله أملته عليه طبيعة الحياة التى عاشها .

ففى أول قصيدة مدح بها كافور أملت عليه ظروف هذه القصيدة أن يذكر ألفاظ الحب والمودة والوفاء والجود يقول:

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبلَ حُبِّكَ مَنْ نَأى   وقَدْ كانَ غَداراً فَكنْ أنتَ وَافياَ

فذكر لفظ (حببتك) و (حُبّك) و(وَافياً) وقد أملت عليه طبيعة هذا الاستقبال أن يذكر مفردات الحب والوفاء.

وفيها أيضاً ذكر مفردات الكرم والشفاء وكلمة (بحر) التي تدل على الكرم يقول:

إذا الجودُ لم يَرزقْ خلاصاً منْ الأذَى   فَلا الحَمدُ مَكسوباً ولا المَالُ باقِيا

وللنـفسِ أخْـلاقٌ تَـدُلّ عَـلى الفَتى   أكـانَ سَخاءً مَـا أتـى تساخيا

فذكر (الجُود) و (الحَمد) و (السّخاء).

ووراء هذه الألفاظ التي استخدمها ، هنالك معاني سامية يريد أبو الطيب إيصالها إلى الممدوح ،وهى أنه يجب أن يحبه ويكرمه ويغدق عليه ، لذلك فقد شبهه بالبحر ،وهذا معنى قديم في الشعر العربي يقول أبو الطيب:

ولكـنّ بالفِسطاطِ (بَحرا)أزرته   حَياتي ونُصحِي والهَوى والقَوافِيا

وهذا المعني ليس جديداً في شعر أبى الطيب فقد سبق أن شبه علـى بـن منصور الحاجب بالبحر في قوله :

كالبّحرِ يقذفُ للقريبِ جواهراَ   جُوداَ ويبعث للبعيدِ سحائبا[٨]

٨- ديوانه ، دار الجيل ص ١١١

ومن الألفاظ والمعاني التي استخدمها الشاعر فى هذة القصيدة وهى تدل على المدينة والعلم والمعرفة قوله :

وتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى يَرَينَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوص كَمَا هِيَا

وهذا البيت يدل على أن شاعرنا كان له معرفة ودراية بمفردات العلوم والعدسات التي تقرب الأشياء للناظرين فتبدوا كأنها في متناول يد الإنسان .

ومفردة (إنسان العين) هذه من الألفاظ العلمية التي تستخدم عند علماء تشريح العين ، ويبدو أن شاعرنا كان على معرفة أو علم بهذه العلوم وقد ذكر هذه المفردة فى قوله يمدح كافوراَ:

وجَاءَتْ بنَا إنْسَانَ عَينِ زَمَانِه وَخَلَتْ بَياضاً خَلْفَها ومَآقِيا

وقد تعددت آراء من شرح ديوان المتنبي في معنى هذا البيت . يقول الخطيب : شبه الناس ببياض العين ، لأنه لا ينتفع به فى النظر ، وجعل كافوراَ إنسان العين لأن الخاصية فيه[٩] . وقال الواحدى : "جعله إنسان عين الزمان، كناية عن سواد لونه"[١٠]. وقال ابن الشجري : "ما مدح أسود بأحسن من هذا"[١١] .

ومن ألفاظ الحضارة الدينية ذكر المتنبي كلمات (جرس ومناجاة) وهذه تدل على أن شاعرنا كان على علم بالديانة المسيحية التي تقوم على قرع الأجراس والمناجاة .

ومن المفردات التي تدل على الوعورة والخشونة والتي ذكرها شاعرنا في قصيدته هذه (الشناخيب والمروري والهجير) في قوله :

لَقِيتُ المَرُورَى والشَّنَاخِيبَ دُونَه و جُبتُ هَجِيراً يَتْرُكَ الماءَ صَادِيا

ومما يلاحظ هنا أن أبا الطيب عندما يتحدث عن معنى رقيق هين لين يتناول من الكلمات والألفاظ ما هو هين ولكن وعندما يتناول معنىً خشناً وعراً يتناول من

٩- التبيان ، ٢٧٨/٤، ٢٨٨

١٠- المصدر السابق والصفحة

١١- المصدر نفسه والصفحة

الكلمات والألفاظ ما هو خشن ووعرٌ وهذا ما فعله فى قوله : (لقيت المـــرورى والشناخيب)، فالذي يسمع جرس الكلمات، يحس أنها وعرة فى معناهـــا قبـــل أن يدرك هذا المعنى . وفى البيت أراد شاعرنا أن يقول أنه تعرض لمخاطر جمة في سبيل الوصول إلى ممدوحه فعبر عن سوء الطريق بهذه الكلمات.

وهذا الأمر يدخل فيما أشار إليه البلاغيون : من أن لكـــل مقـــام مقـــال وأن المفردات والألفاظ يجب أن تكون جارية مع معانيها . ذكر ابن الأثير فـــي هـــذا الصدد قوله : " لن يستغنى الأديب في تأليف كلامه عن ثلاثة أشياء :-

أولها: اختيار الألفاظ المفردة ، وحكم ذلك حكم اللآلى المبددة ، فأنهـــا تتخيـــر وتنتقى قبل النظم .

ثانيها : نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، كي لايجىء الكلام قلقاَ نافراَ عن مواضعه .

ثالثهـــا:الغـــرض المقصـــود مـــن الكـــلام علـــى اخـــتلاف أنواعـــه .

فهذه ثلاثة أشياء لابد من العناية بها وهى الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام نظماَ ونثراَ"(١٢)

وفى قصيدة أخرى مدح بها كافوراً ذكر أبو الطيب من المعاني والألفـــاظ التي تدل على أنه تأثر في هذه القصيدة بمعاني القرآن الكريم والسنة النبويـــة ففـــى قصيدته التي مطلعها

إنّـــمَا التَّهْنِـــئَاتُ لِلأكفَاءِ ولِمـــَنْ يُدَنّى مِنْ البُعَدَاءِ(١٣)

ذكر قوله :

ولو أنَّ الذي يَخِرُّمِنْ الأمْوا هِ فِيها مِـــن فِضْةٍ بِيضاءِ

١٢- المثل السائر ، ص ٥٦

١٣- ديوانه ص٤٤٦

ومن الألفاظ التي تدل على المدنية والحضارة التي ذكرها في هذه القصيدة لفظة (الآجّر)وهو الطين المطبوخ الذي يستخدم للبناء فى المدن والحواضر وليس فى البوادي ، وقد ذكر هذه اللفظة في قوله :

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدّيَارُ ولوْ كَا   نَ نُجُوماً (آجّر) هَذا البِناءِ

وكذلك من الألفاظ التي تدل على المدينة لفظة (بساتين) التي هي ألأماكن التي يتنزه فيها أهل الحضر وقد ذكرها المتنبي في قوله :

وبَسَاتِينَكَ الجِيَادِ ومَاتَحْـ   ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيةٍ سَمْرَاءِ

والمعنى الذى يريده من هذا البيت هو أنّ ممدوحه كان يتنزهبالنظر الى الخيول المسرجة وعليها فرساناً يلبسون الدروع والسلاح .

وفى قصيدة أخرى ذكر شاعرنا أنّ أهل الحضر يجلبون الحسن بالتطرية وما يستخدمون من أدوات زينة يقول:-

حُسْنُ الحَضَارَةِ مَجلْوبٌ بتَطْرِيةٍ   وفِى البَدَاوَةِ حُسْنٌ غَير مَجْلوبِ(١٤)

وقد أشار في هذه القصيدة أيضا إلى شىء آخر يعد من أهم مفردات المدنية، وخاصة عند الملوك وهو الخاتم الذي تختم به الرسائل :-

يصرّفُ الأمرَ فِيها طينُ خاتمِه   ولوْ تَطَلّسَ مِنه كُلّ مَكْتوبِ

ومن الألفاظ التي تدل على المدينة أيضا كلمة (ربة القرط) والقرط حلق تتخذه نساء المدن للزينة وقد أشار إليه أبو الطيب فى قوله:

وما رَبةُ القُرْطِ المُليحِ مَكانُه   بأجزعَ من رَبّ الحُسامِ المُصممِ(١٥)

ومعنى البيت أنه عندما رحل بكى عليه الناس جميعاً نساؤهم ورجالهم .

و السياسة من مفردات المدنية والحكام وقد استخدمها شاعرنا بقوله :-

---

١٤ ـ ديوانه ص٤٤٩

١٥ – ديوانه ص٤٥٩

إذا مَنعَتْ مِنك السّياسةُ نفسَها   فَقِفْ وقفةً قُدامَهُ تتَعلَمِ

ومعنى البيت أن كافوراً كان داهيةً وسياسياً بارعاً حتى إن الناس يتعلمون السياسة منه.

وهناك صورة من صور المدنية ذكرها أبو الطيب فى شعره ، وهى أن الناس فى الحضر كانوا يشربون الخمر فى مجالس ويطربون للمغنين يقول :

أبا المِسك هلْ فى الكأسِ فضلٌ أنَالُه   فأنّى أُغنّى مُنذ ُحِينٍ وتَشربُ([16])

وهذه الصورة لم تكن عند العرب ولكنها عُرفت فى فارس فى الجاهلية ،وكانت فارس تعيش حياة مدنية عندما زارها الشاعر أبوبصير ميمون بن قيس الأعشى ، وقد وصف فى شعره مجلساً للشراب على طريقة أهل فارس فى قوله :-

يَطوفُ بها سَاقٍ علينا متومٌ   خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يزَالُ مُفَدَّمَا([17])

والمتنبي كان بليغاً في معانيه وألفاظه، عندما وجه خطاباً رشيقاً لمدوحه على طريقة أهل الحضر. ذكر الثعالبى . "أن البليغ من يحوك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني "([18]) والمتنبي في الأبيات التالية حاك كلامه على حسب أمانيه وخاط الفاظه على قدود معانيه يقول:

فأنْ لمْ يكنْ إلا أبو المِسْكِ أوْ هُمُ   فإنّكَ أحْلَى فِي فُؤادِي وأعذبُ

وكُلُّ أمرئٍ يُولَى الجَميل محببُ   وكُلُّ مَكانٍ يُنبتُ العزَّ طَيبُ

فقد وازن الشاعر بين ممدوحه وأهله ثم أختار ممدوحه لأنه يولى الجميل والإنسان إذا كان يصنع جميلاً للناس فهو لاشك محبوب لديهم كالمكان الذي ينبت العز فهو طيب أيضاَ.

ومن المعانى اللطيفة التى أشار إليها أبو الطيب تعجبه من حذق الإنسان وتطوره وتقدمه فهو يسابق الأيام والزمان ويلاحقه يقول :-

---

١٦ - ديوانه ص٤٦٨

٣- ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسين ،مكتبة الآداب بالجماميز،ص ٢٩٣

٤ - العمدة ١٢٨/١

كُلّمَا أنْبتَ الزّمانُ قَناةً   رَكّبَ المَرءُ فِى القِناةِ سِنان([19])

وفي إشارة إلى الاغتيال أو اغتيال شبيب العقيلي استخدم أسلوباً رائعاً لإيصال هذا المعتى،يقول:

أتته المنايا من طريقِ خفيةٍ   على كُلّ سمعٍ حوله وعيانِ

فهو لم يمت حتف أنفه ولم يمت في قتال وإنما أغتيل.

ومن المعاني التي تأثرفيها أبو الطيب بالقرآن الكريم والسنة النبوية قوله:

أعزَّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ   وخير جليسٍ في الزَّمانِ كتابُ

فالإسلام دين مدنية وهو يدعو إلى العلم ،ففي حديث(الرسول صلى الله عليه وسلم):"أطلبوا العلم ولو بالصين،فإنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم"([20])،والقرآن الكريم في أول نزوله كان قد دعا إلى القراءة في قوله تعالى:"إقْرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ "([21]). وهناك آيات أشارت صراحة إلى الكتابة والقراءة وأدواتهما،من مثل قوله تعالى:"ن والقَلَمِ وَمَايَسْطُرُونَ"([22])، وقوله تعالى :"والطُّورِ وكِتَابٍ مَسْطُورٍ،فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ"([23]).

وفي قصيدة أخرى لم يكن المتنبي يذكر مفردات المدنية فحسب بل تأثر بسلوكها،يقول:

فَلَمّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبّاً   جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بابتِسَامٍ

وذلك لأن من شيم أهل الحضرأنهم في أكثر حالاتهم لا يصادمون بل تجدهم يهادنون في كل شيءٍ ويخادعون،وقد صنع شاعرنا هذا الصنيع حتى يجاري المدنية.

---

١٩ – ديوانه ص٤٧٤

٢٠ – ابن عبد البر،جامع بيان العلم وفضله،تحقيق أبي الأشبال الزهيري،دار ابن الجوزي،ط١، ١٩٩٤م،٢٨/١

٢١ – سورة الفلق الآية (١)

٢٢ – سورة القلم الآية(١)

٢٣ – سورة الطور الآيات(١-٣)

ومن الألفاظ التي تشير إلى حياة الترف والنعيم وهي بلا شكٍّ حياة أهل الحضر "الطارف والحشايا" التي ذكرها في قصيدة (الحمّى):

بذَلتُ لها المَطارِفَ والحَشَايا   فَعَافتْها وبَاتَتْ فِي عِظَامِي([٢٤])

وفى إشارة إلى الحضارة المصرية القديمة ذكر أبو الطيب الاهرامات التي بمصر وذلك في سياق رثائه لأبى شجاع فاتك يقول:

أيْنَ الذي الهرمانُ([٢٥]) منْ بُنيانِه   ما قومُه ما يومُه ما المصرعُ

تتخلفُ الآثارُ عنْ أصحابِها   حِيناً ويُدركُها الفَناءُ فتَتبعُ([٢٦])

في إشارة إلى آثار أبى شجاع وآثار فراعنة مصر التي ما تزال ماثلة للعيان . والأبيات تدل دلاله واضحة على أن شاعرنا كان قد وقف متنزها على اهرامات مصر وأعجب بها ، وهذا يدل من ناحية أخرى أن شاعرنا كان يتسمتع بروح مدنية أيضا.

وفى سياق متصل ذكر أبو الطيب المتنبي حضارات إنسانية عريقة، فقد ذكر كسرى الفرس وقيصر الروم وتبع العرب ،وهذه كلها تشير إلى الحضارات التي سادت في المنطقة العربية أو المنطقة القريبة منها.

ومن المعاني التي استخدمها وهى تشير إلى المدنية. إشارته إلى أن مثل كافور يؤتى به من بلاد بعيدة ليضحك الناس ، وهذا المعنى يشير به إلى الملاهي والمجتمعات التي يجتمع بها أهل المدينة للترفيه والنزهة يقول :

ومثُلكَ يُؤتَى مِنْ بلادٍ بعيدةٍ   لِيُضْحِكَ رَبَاتِ الحِدادِ البَوَاكِيا([٢٧])

وفى قصيدة أخرى أشار المتنبي إلى عادة أو ثقافة من ثقافات أهل مصر وهى قص الشارب.

أغاية الدينِ أنْ تُحفُوا شَوارِبَكُم   ياأمةٌ ضَحِكَتْ من جَهْلِها الأمَمُ([٢٨])

---

٢٤ - ديوانه ص٤٨٤

٢٥- ذكر الواحدى أن احدهما قبر شداد بن عاد والأخر قبر إرم ذات العماد

٢٦ - ديوانه ص٤٩١

٢٧ - ديوانه ص٥٠١

فإذا كان أبو الطيب في مدح كافور قد ذكر من المعاني التي تشير إلى الكرم والجود والسؤدد ،فإنه في هجائه له قد عكس هذه المعاني، فأصبح كافور مخلفاً للوعد ،غداراً وجباناً ،فما هو إلا مجموعة من المخازي:

أميناً وأخلاقاً وغدراً وخسةً وجبناً أشخصاً لُحتَ لِي أم مخَازِيا([٢٩])

وأنه مثقوب المشفر ، مشقوق الكعبين يمشى فى ثوب من الزيت وهذه كلها صفات العبيد:

ويُذَكِرُنِى تَخَييطُ كَعْبِكَ شَقّه ومَشْيُكَ فى ثوبٍ من الزيتِ عارِيا([٣٠])

والألفاظ التي صاحبت معانيه في أهاجيه لكافور كثيرة منها كلمة (الأسود)

كأنَّ (الأسودَ) اللابِىّ فِيهِم غُـرَابٌ حَـولهُ رَخَـمٌ وبُـومُ([٣١])

إنّكَ لاتَدْرِى ألونُكَ (أسـودٌ) مِنْ الجَهلِ أمْ قدْ صَارَ أبيضَ صَافِيا

وقوله :-

إنّ ذَا (الأسْوَدَ) المَثقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُـهُ ذِي العَضَـارِيطُ الرَّعَادِيدُ([٣٢])

وقوله:

مَنْ علّمَ الأسودَ المَخْصِـىّ مكرُمَـةً أقَومُـه البِـيضُ أم أبـاؤه الصِيدُ([٣٣])

وقوله:

---

٢٨ – ديوانه ص٥٠٢

٢٩ –ديوانه ص٥٠٠

٣٠ – ديوانه ص٥٠٠

٣١ – ديوانه ص٥٠٣

٣٢ – ديوانه ص٥٠٨

٣٣ – ديوانه ص٥٠٨

(وأسْودٌ) (مِشفرُه) نِصــفُه		يُقالُ له أنــتَ بــدرُ الدُّجَى([٣٤])

وقوله:

وأسْودٌ أمّا القلبُ منه فَضيقٌ		نَخــيبٌ وأمّا بطنهُ فرَحيبُ([٣٥])

ففي هذه الأبيات ذكر لفظة (أسود) وهى كما تفهم من هذه الأبيات وصمة من العار. وقد بدا المتنبي في هذه الأبيات صغيراً أمام الإنسانية إن كان يرى أن سواد البشرة منقصة للإنسان .

ومن الألفاظ التي جاءت مصاحبة لهجائه كافورا لفظة (عبــد أو عبيــد) وكذلك لفظة (كَلْب) ولفظة (خَصِى) وكلها عنده تأتى بمعنى ذليــل أو حقيــر أو عديم الإنسانية يقول وهو يذكر كلمة (كلب):

جَازَ الأُلى مَلَكَتْ كَفَاكَ قَدْرَهَمُ		فعُرّفوا بِك أنْ (الكَلْبَ) فَوقَهَّمُ

سَاداتُ كُلِّ أناسٍ مِن نُفوسِهمُ		وسَادةُ المُسلمينَ (الأَعْبُدُ) القَزِمُ([٣٦])

ويقول في قصيدة أخرى:

تشابهتِ البَهائِمُ و (العِبَدّى)		عَلينَا والمــَوالِى والصَمِــيمُ([٣٧])

وفى قصيدة ثالثة:

أنْوَكُ مِنْ (عَبدٍ) ومِنْ عِرسِه		مَنْ حَكّم (العَــبدَ) عَلَى نَفْسِه([٣٨])

ومن قصيدة أخرى يذكر كلمة (خَصِى) وكذلك كلمة (عَبْد) في إشارة إلى كافور الإخشيدي :

أكُلَما اغْتَالَ (عَبدُ) السُّوءِ سَيدَهُ		أو خَانَه فَله فِــي مِصرْ تَمْــهِيدُ

صَارَ (الخَصِيُّ) إمامَ الآبقينَ بِها		فَــالحُرُّ مُسْــتَعبدٌ و (العَبــدُ) مَعْبودُ([٣٩])

---

٣٤ – ديوانه ص٥١٢

٣٥ – ديوانه ص٥١٣

٣٦ – ديوانه ص٥٠٢

٣٧ – ديوانه ص٥٠٣

٣٨ – ديوانه ص٥٠٤

وفيها :

لا تَشْتَرِ (العَبدَ) إلا والعَصَي مَعَه   أنّ (العَبِــيدَ) لأنْجَاسٌ مَنَا كِيــدُ
مَا كُنــتُ أحْسَبُنِي أحْيا إلــى زمنٍ   يَسِيءُ بِي فِيه (عَبدٌ) وهْوَ مَحمُودُ

وفيها:

وذَاكَ أنّ الفُحولَ البيضَ عَاجِزةٌ   عَنِ الجَمِيلِ فَكَيْفَ (الخِصيْيَةُ) السّودُ

ومن الألفاظ التي جاءت بمعنى (عبد) كلمة خادم وقد استخدمها المتنبي في قصيدته التي قالها يوم أن وصل الكوفة يقول :

ونامَ (الخُويدِمُ) عَن لَيلِنا   وقَد نَامَ قبلُ عَمَىً لا كَرَى([40])

والمتنبي في استخدامه لهذه الألفاظ كان يراعى الجرس الذي تتركه الكلمة على أذن المستمع لتؤدى معنىً لفظياً وآخر جرسياً وقد استخدم كلمة (كَرْكَدَنْ) في إشارة الى كافور الرجل الأسود الضخم :

وشِعرٍ مَدَحْتُ بِه (الكَرْكَدَنّ)[41]   بَــينَ القَرِيــضِ وبَينَ الرُّقَى

ومن الألفاظ التي أتت مصاحبة لهجاء كافور كلمة (ضَحِك) ومشتقاتها ، وهذه الكلمة ترد عنده دائماً بمعنى السخرية والتهكم والإذلال ومن ذلك قوله :

تَظُنّ ابْتسَامَاتي رَجاءً وغَبْطَةً   ومَا أنَا إلاّ (ضَاحِكٌ) مِن رَجَائِيا

وفيها:

ومِثْلُــكَ يُؤتَى مِنْ بِلادٍ بَعيدةٍ   (لِيُضْحِكَ) رَباتِ الحِــدادِ البَوَاكِيا

ففي البيت الأول يضحك المتنبي على حظه الذي أوقعه عند هــذا الرجــل (الأسْوَد) وفى البيت الثاني أراد المتنبي أن منظر كافور فيه من غرابة الخِلقــة حتى إنه يوتى به ليضحك الثكالى .

وفى قصيدة أخرى يقول مخاطباً أهل مصر لأنهم ارتضوا حكم كافور :-

---

٣٩ – ديوانه ص٥٠٨

٤٠ – ديوانه ص٥١١

٤١– الكركدن :حيوان ضخم الجثة وهو وحيد القرن

أغايةُ الدينِ أنْ تُحفوا شَوارِبَكم   يا أمةٌ (ضَحِكَتْ) مِن جَهلِها الأُمَمُ

فالأمم جميعاً في رأيه تسخر من أهل مصر ،لأنهم قبلوا بكافور حاكماً علـيهم ولأنهم يحفون شواربهم ويظنون أنهم متمسكون بالدين ، وفى حقيقة الأمـر لا يعرفون من الدين إلا قصّ الشارب ،وهنا إشارة الي قول الرسول (ص) : (أحفُوا الشَوارِبَ واعْفُوا اللحى) [٤٢]

وفى قصيدته التي قالها يوم أن دخل الكوفة نسب المضحكات جميعاًالى مصـر بقوله :

وماذا بِمصرَ مِن(المُضْحِكاتِ)   ولكنــّه (ضَحِكٌ) كالبُـكَا

ثم في أبيات لاحقة ذكر لنا هذة المضحكات فى قوله:

بِهَا نَبَطِيٌّ مِنْ أهْلِ السـّوادِ[٤٣]   يُدَرِسُ أنْسَابَ أهـلِ الفَـلا

في إشارة الى أبى الفضل بن حنزابة وزير كافور.ومن هذه المضحكات :

وأســودٌ مِشْفَـرُهُ نِصــفُـهُ   يُقَـالُ لــهُ أنـتَ بدرُ الدُّجَى

ومنها أيضا

وشِعرٍ مَدَحْتُ بِهِ الكَرْكَدَنّ   بَيــنَ القَرِيضِ وبــينَ الرُّقَـى

فهذه هي (المضحكات) التي يقصدها المتنبي في أهل مصر ، فأمّا الأولى فهي ليست مضحكة، فعلم الأنساب مثل سائر العلوم فالذي يحذق فيه يدرسـه مهمـا كان عنصره، أما قوله في الثانية أنّ الناس يقولون لكافور (بدر الدّجى)، فهذ مضحكة فعلاً إذا كان وجه الشبه اللون، أما إذا كانوا يقصـدون علـو شـأنه ومكانته فهو كذلك .

أما شعره الذي مدح به كافوراً فأنه منسوب إليه جيداً كان أم رديئـاً ، لأن السهم منسوب إلى راميه.

٤٢- النسائى ،سنن النسائى ،دار الفكر بيروت،ط١، ١٩٣٠، ١٨٢/٨

٤٣- يقصد به سواد العراق وهو هنا يشير إلى أبى الفضل بن حنزابة

أماالألفاظ التى استخدمها أبو الطيب فى كافورياته والتي تشير إلى الحــرب وأدواتها فهي كثيرة، ففى أولى قصائده في مدح كافور ذكر أبو الطيب (الحسام) و (الرماح) وهما من أهم أدوات الحرب في ذلك الزمان يقول :

إذا كُنتَ تَرْضَى أنْ تَعِيشَ بِذلةٍ فَلا تَسْتَعِدنّ (الحُسام) اليَمانِيا

ولا تَستَطِيلنّ (الرِّماحَ) لِغارةٍ ولاتَستَجِيدَنّ العِــتاقَ المَذاكِــيا

وهو في هذين البيتين يشير إلى أن الأنسان إذا أراد عزة وكرامة، فيجــب أن يجهز نفسه بكامل عتادها ، وأن العزة لاتكون إلا بالقوة ، أما إذا لم ترد ذلك فما عليك بالسيوف و الرماح .فكأنه يشير إلى أنه أراد حياة عزة لذلك تــرك ســيف الدولة و اتجه الى كافور الاخشيدى .

وفى هذه القصيدة ذكر أيضاً (الجِياد) و(القَنا) وهما من أدوات المعركــة ووسائلها أيضاً يقول :

(وجُرْدَاً) مَدَدْنا بَينَ آذانِها القنا فَبِتْنَ خِفَافاً يَتّبِعنَ (العَوَالِيا)

و (العوالى) والرماح و(الإبادة) أيضا من مفردات الحرب ،وقــد ذكرالإبـــادة في هذه القصيدة أيضاً :

(يَبِيدُ) عَداوَاتِ البُغاةِ بلُطْفِه فَإنْ لمْ تبدْ مِنهم أبادَ الأعَادِيا

فهو يقتل العداوات باللطف قبل أن يحتاج إلى إبادة الأعداء أنفسهم .

كذلك ذكر كلمة (جيش) والجيش هم جماعة المقاتلين وهذة لفظة ذات صلة بالحرب وأمورها وكذلك ذكر كلمة (غازي) فــي ذات الســياق يقــول:

. فقدْ تَهَبُ (الجَيشَ) الذِي جَاء غَازياً لِسَائِلك الفَرْدِ الذِي جَاء عَافِيا

وفى خلال ذكره لمفردات الحرب ذكر كلمة (أيام) التي يقصد بها الوقائع:

وما كنتَ مِمنْ أدْرَكَ المُلكً بالمُنَى ولكِــنْ (بأيامٍ) أشبنَ النّواصِيا

وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى (وذكرهم بأيام الله)[٤٤] المعارك التي وقعت في الأمم السابقة.

٤٤- سورة إبراهيم من الآية ٥

ومن ألفاظ الحرب التي استخدمها لفظة (أسْمَر) التي يريد بها الــرمح ذي اللــون الأسمر:

وأسمرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاه وارداً ويَرضَاك فِــي ايرادِه الخَيــلَ سَاقيا

كتائب ما انفكت تجوسُ عَــمائِراً مِن الأرضِ قدْ جاستْ إليهــا فَيافِيا

فأبو الطيب في هذه القصيدة كان ما يزال متأثراً بحياته ألسابقة عند سيف الدولة وهى حياة حرب ومعركة وقتال ، كذلك فقد أكثر من مفردات المعــارك والقتال ، حتى يخيل للمرء أن هذه القصيدة من القصائد التي قالها في المعركة.

وفى قصيدة أخرى ذكر الجياد وما تحمل من أناس مدججين بالسلاح :

وبَساتِينُك الجِــيادُ ومَاتَحــ مِــلُ مــن سَمْهَرية سَمــرَاء

ويذكر الرمح ثانية في قوله :

يَخُطُ كُلّ طَوِيلِ الرّمحِ حَامِله مِن سَرجِ كُلّ طَوِيلِ البَاعِ يَعبُوبِ

وذكر الكتائب ثانية في قوله :

أضَرَّتْ شَجَاعَتُه أقْصَى كتائبِه عَلى الحِمَامِ فَما موتٌ بِمرْهوبِ

لأنهم قد تعودوا القتال .ويذكر أبو الطيب (السيف) و (الصارم الهندي) وكلها من مفردات المعركة والقتال:

إذا كُنتَ فِي شَكٍّ مِن السّيفِ فابلهُ فإمــّا تَنَــفّــيه وإمــّا تُعدُه

وما الصارمُ الهندي إلاّ كَغَــيرِه إذا لــمْ يفارقُه النّجادُ وغمدُه

وهو في هذين البيتين يشير إلى نفسه ، وذلك في سياق إلحاحه بطلب ولايــة في ملك كافور ، فوصف نفسه بالسيف والصارم الهنــدي ، الــذي لأتعــرف مضاءه إلا بعد تجريبه .

وفى قصيدة أخرى ذكر أبو الطيب من مفــردات المعركــة بــل ذكــر المعركة بعينها ونتيجتها وخسائرها :

رَمَى واتّقَى رَمْيٍّ ومِن دُونَ ما اتّقَى هَوَىً كاسرٌ كَفِّى وقَوْسِي وأسْهُمِي

وفى هذه القصيدة ذكر أيضا (السمهري المقوم) و(الخيل) و(الخميس العرمرم)

وأهْوَى مِن الفِتْيَانِ كُلّ سَمَيْذَعٍ نَجِـيبٌ كَصَـــدرِ (السّمْهَرِي المُقَوّمِ)

خَطَتْ تَحتَه العِيسُ الفَلاةَ وخَالَطَتْ بِه (الخَيلُ) كَبّاتِ (الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ)

فهو يريد الفتى الصلب كثير الأسفار كثير خوض المعارك حتي أن الخيل قد خالطت به الجيش الجرّار.

ثم يذكر (البيض والسّمر) في قصيدة أخرى وهى التي قالها في الصلح بين كافور والأمير أبى القاسم بن الإخشيد يقول مخاطباً كافور

نِلتَ مَالا يُنالُ(بالبِيضِ والسّمرِ) وصُنْتَ الأرواحَ فِي الأجسادِ

فهو يريد أن رأيك السديد هو الذي أوصلك إلى نتيجـة طيبـة لا تكـاد تبلغهـا بالسيوف والرماح والقتال ، والنتيجة هي الصلح الذي حقن الدماء.وذكر البـيض أيضاً في قصيدة أخرى يمدح بها كافوراً يقول :

ثناهم وبرقُ (البِيضِ) فِي البِيض صادقٌ عَليهم وبَرْقُ البِيضِ في البيضِ خُلّبُ

سَلَلتَ سـيوفاً عَلـّمَتْ كُـلّ حَاطِـبٍ عَلَى كُلّ عُودٍ كَيفَ يدعو ويَخطبُ

وفي قصيدته التي ذكر فيها أمر قتل شبيب العقيلي، ذكر كل ما يخص الحـرب من سيف ورماح وقتل وسلاح وقنا يقول :

برغمِ شَبيبٍ فَارَقَ (السّيفُ) كَـفّه وكانَا علَـى العِلاتِ يَصْطَحِبانِ

كأنَّ رِقابَ النّاسِ قالتْ (لِسَيفِهِ) رَفِيقـُك قَيسـِيٌّ وأنـتَ يَـمانِ

نَفَي وَقعَ إطرافِ الرّماحِ (بِرُمْحِهِ) ولمْ يـخشَ وقعَ النّجمِ والدبرانِ

ولمْ يَدْرِ إنّ (المَـوتَ) تَحتَ شواتِه مُـعَارَ جنـاحٍ مُحْسن الطَيرَانِ

وقَدْ قتَـلَ الأقرانَ حَتّـى (قَـتَلْتَه) بأضْعَفَ قـرنٍ فـى أذلّ مكانِ

أتَتَه (المَنايا) مِـنْ طَرِيقٍ خَـفِيةٍ علَـى كُـلّ سَـمعٍ حَولَـه وعِـيانِ

ولو سَلَكَتْ طُرقَ السّلاحِ لــرَدّها بِطُــــولِ يَمــــينٍ واتّسَـــاعِ جَـــنَانِ

وليس عجباً أن يذكر هذه الألفاظ فى قصيدة واحدة لأن المقام مقــام حــرب وقتال ، ولكنه بإكثاره من هذه الكلمات ، كأنه يريد أن يقول لكافور إنــك لــم تستخدم كل هذه الأسلحة لقتله وإنما قتلته غدراً .

وفى قصيدته التى مدح بها أبا شجاع فاتك ذكر من ألفاظ الحرب (الســيف)و (الغارات) و(الصوارم) و(البيض والسمر) يقول :

القاتلُ (السّيفَ) فِى جِسمِ القتيلِ بهِ و(للسيوفِ) كمَا للنّاسِ آجالُ

....

تَغِيرُ عَــنه علَــى الغــارَاتِ هَيْــبتُه ومَالَه بأقاصِى الأرضِ إهــمَالُ
تُفْرِى (صَوارِمُه) الساعاتِ عَبَطَ دَمٍ كأنّــها السّــاعُ نزّالٌ وقُــفّالُ

....

أمْضَى الفَرِيقين فِــى أقرانِه ظُبَةً و(البِيضُ)هاديةٌ و(السُّمرُ) ضُلالُ

ومفردات الحرب والمعركة والقتال لأتغيب عن شعر أبى الطيب المتنبي ،حتــى إذا كان المقام مقام رثاء وبكاء على ميت ، ففى قصيدته التى رثى بها أبا شــجاع فاتك ، وصفه بأنه (أسرع فارسٍ طعنةً) يقول :

قد كانَ أسرعُ فارسٍ فِى طَعنةٍ فَرساً ولكــنّ المــنيةَ أســرَعُ
لاقَلّبَــتْ أيدِي الفَوَارِسِ بَعــدَه رَحِماَ ولا حَمَلَتْ جواداً أربعُ

وفى قصيدته التى قالها بالكوفه ويرثى فيها فاتك ويذكر سيره من مصــر ذكر لمفردات المعركة والقتل فالقصيدة عبارة عن معركة دائرة الرحى ، فقد ذكر فيها خيله وهى مسرجة وعليها غلمان شجعان ملثمون بعمائم سود يحملون سيوف بيض، كأنهم من أهل الجاهلية بأساً وشدة يقول :

تُبْــرِى لَهُــنّ نَعــامُ الدَّوّ مُســــْرَجَةً تُعَــارِضُ الجَــــدلَ المُرْخــاةِ باللُجَــمِ

فِى غِلْمَةٍ أَخْطَروا أرْوَاحَــهم ورَضُوا   بما لقــينَ رِضَى الأيسارِ بالزلَمِ
تَبْــدو لَــنا كُــلّما ألــقوا عَمَائِمــَهــم   عَــمَائمُ خُــلِقَتْ سُــوداً بِـــــلا لُثَــمِ
قَــدْ بَلَــغوا بِقَــنَاهُم فــَوقَ طَــاقــَتِهِ   ولَيسَ يَبْلُغُ مـــَـا فِــيهِم مِـــن الهِــمَمِ
فِــــى الجَــاهِلِــيّةِ الاّ أنّ أنــفَسَهُــم   مِــن طِيبِهنّ بِه فِــى الأشْــهُرِ الحُرُمِ

وفى قصائده الكافورية هذه أكثر أبو الطيب من ذكر الخيل والإبل وما يتصل بها من دابة وحيوان مفترس ، وقد ذكر الخيل في أول قصيدة مدح بها كافور في قوله :

ولاتَسْتَطِيلَنّ الرِّماحَ لِغارةٍ   ولاتَسْتَجيدَنّ (العِتاقَ المَذَاكِيا)

ومعنى البيت لاتسطلين الرماح ولا تتخذ الخيل الكرام إذا كنت ترضى بذل الحياة ،والخيل عنده دائماً مقترنة بالعزة فقد ورد فى الحديث : (الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة) (٤٥) وذكر (الأسد) فى هذه القصيدة بقوله :

فما يَنْفَعُ (الأُسدَ) الحَياءَ مِن الطّوَى ولاتُتّقَى حَتّــى تَكونَ ضَوارِيا

والأسد عنده دائماً مقترنة بالقوة وسرعة الانقضاض والشجاعة، وكذلك ذكر الخيل فى قوله :

وجُرْداً مَدَدنَا بَينَ آذانِها القَنا   فَبِــتْنَ خِــفافاً يَتّبِعــْنَ العــوَالِيا

وكذلك قوله :

وقُدْتَ إليهَا كُلَّ أجْرَدَ سَابحٍ   يُؤذيكَ غَضْبَاناً ويُثْــنيكَ رَاضِيا

فهو في البيت الأول يقصد أنه أعد خيلا جردا حتى يصل بها إلى ديار ممدوحه كافور ،أما البيت الثاني فيقصد به أن كافور كان يتخذ من الخيول

٤٥- سنن النسائى ،٢١٥/٦

الجرداء التي تسبح في الجو من سرعتها ، فهي تذهب به إلى أرض المعركة غضباناً وتؤوب به وهو فرح بالانتصار .

وذكرُ الخيل عند أبى الطيب يأتي لاثنين لا ثالث لهما ،إما للقوة والانتصار والصلابة، وإما أنها نعمة من نعم الله وفيها من الجمال والبهاء ما فيهـا، ومما ذكرها به أبو الطيب للقوة والصلابة قوله :

نَجُرُّ القَنا الخَطِّى حَولَ قِبَابِه   وتَرْدَى بِنَا قُبُّ الرِّبَاطِ وجُرْدُهُ

أى تحمل القنا والرماح ونحن نمتطى هذه الخيول الجرداء الصلبة ،ونطـوف بها، حول قبابه، وهو فى خلال حديثه عن الخيل الصلبة يردد أنه يهـوى من الفتيان القوى الصلب الذي يمتطى هذه الخيول ويهـاجم بهـا الجيـوش الجرارة :

وفى سياق الحديث عن ممدوحه كافور وأنه شجاع ، يذكر الخيل ويقول إنه ليس هناك من يقف أمام هذه الخيول إلا رجل مثل كافور :

ومِنْ مِثْلِ كَافُورٍ إذا الخَيلُ أحْجَمَتْ   وكَانَ قَلِيلاً مِنْ يَقُول لها اقْدِمِي

فقوة ممدوحه وشجاعته تجعله يأمر الخيل بالأقـدام علـى الـرغم مـن قوتهـا وصلابتها.

وفى إشارة لطيفة إلى الخيل والأبل معاً وأنها قوية استطاع بها أن يصـل إلى ممدوحه ساق أبو الطيب هذه الأبيات :

ولا نَبَحَتْ (خَيلِي) كِلابُ قَبَائِلٍ   كأنَّ بِها فِـي اللَيْل حَمْلاتِ دَيْـلَمِ
ولا اتبعتْ آثارَنا عَينُ قَائِـفٌ   فَلَمْ تَرَ إلاّ (حَافِراً) فوقَ(مَنْسَمِ)
وسَمَنا بِهَا البَيْدَاءَ حَتّى تَغَمَّرَتْ   مِن النِّيلِ واسْتَذْرَتْ بِظِلِ المُقَطَمِ

فكلاب القبائل كانت تنبح خيله حتى كأنها أعداء من الديلم ،وإذا أراد مـن يقـفُ الآثار أن يتتبع إثرنا فلا يرى إلا حافراً فوق منسم ،في إشارة إلـى الحصـان بالحافر والى الجمل بالمنسم ،وصارت هذه الإبل والخيل بكل قوة وصلابة حتى بلغت جبل المقطم عند النيل فشربت من مائه .

وفى إشارة إلى جمال صورة الخيل ومنظرها يقول:

لَكَ الحَيَوانُ الرَّاكبُ(الخيلَ) كله وإنْ كَانَ بَالنِيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ

وفى القصيدة ثانية يجمع أبو الطيب بين صفتى الجمال والقوة في فرسه، فهو أغرّ جميل وله صدر رحب ، وهو قوى لأنّ جلده متسع ويستطيع به أن يصرع الوحش مهما كانت قوته ، يقول وهو يصف رحلته إلى ممدوحه على فرس له :

وعَينِي إلى أذْنَى (أغَرّ) كأنّه مِن اللّيلِ باقٍ بَينَ عَينَيه كَوْكَبُ

له فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِه فِي إهَابِه تَجِيءُ عَلَى صَدرٍ رَحِيبٍ وتَذْهَبُ

شَقَقْتُ بِه الظُّلْمَاءَ أدْنِى عِنَانَه فَيَطْغَى وَأُرْخِيه مِرَاراً فَيَلعَبُ

ومَا(الخَيلُ) إلاّ كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وإنْ كَثُرَتْ فِى عَينِ مَنْ لا يُجَرِبُ

والخيل كلها ليست خيل فمنها ماهو أصيل ومنها ماهو دون ذلك فهى كالأصدقاء الذين هم كثر ولكنهم قليلون فى الشدة .

وذكر الخيل للقوة والجمال فى قوله :

أعَزَّ مَكانٍ فِي الدُّنا سَرْجُ(سَابِحٍ) وخَيرُ جَلِيسٍ فى الزَّمَانِ كِتَابُ

فالفارس على ظهر فرسه يبدو كامل الهيئة من حيث العتاد وكذلك من حيث البهاء والجمال.

وفى مطلع قصيدته التى مدح بها أبا شجاع فاتك ذكر الخيل على أنها نعمة من النعم وهى تماثل المال وبها تكتمل سعادة الإنسان وحاله يقول:

لا(خَيلَ) عِنْدَكَ تُهْدِيهَا ولا مَالُ فَلْيُسْعِدُ النُّطْقُ إنْ لمْ تُسْعِدِ الحَالُ

وفى قصيدة أخرى شبه الخيل بالنعام فى قوله :

تُبْرِى لَهَنّ نَعَامُ الدَّوّ مُسْرَجَة تُعَارِضُ الجُدُلَ المُرْخَاةِ بِاللّجُمِ

فهى كالنعام لعلو أعناقها وسرعتها وإشرافها(٤٦)

وفى قصيدته التي ذكر فيها العيد وهجا بها كافوراً أشار الى الخيل والإبل بقوله :

٤٦- التبيان ، ١٥٦/٤

لَوْلا العُلا لمْ تَجُبْ بِى مَا أجُوبُ بِها (وجْنَاءُ)حَرْفٍ وَلا(جَرْدَاءُ) قَيْدُودُ

فلولا طلب المعالى لم تقطع بى الفلاة ناقة ولافرس(٤٧) .

ويلاحظ مما سبق أنه لم يذكر (الخيل) فى سياق هجائه لكافور إلا فى بيت واحد وهو قوله : (لولا العلا) أما في مديحه فقد ذكر الخيل في أبيات كثيرة ، فكأنه لم يرد أن يدخل بهذه الخيول بيوت اللئام، وإنما فقط بيوت الكرام فقد ذكرها في مدحه لكافور عندما كان يظنه شهماً نبيلاً ،ولكن لما تبين له خلاف ما كان يظن إمتنع عن ذكر المكارم عنده بما فيها الخيل.

ومن الألفاظ التي أكثر من ذكرها في كافورياته لفظة(أبى المسك) وهى كنية كافور وقد ذكرها أبو الطيب ثلاث عشرة مرة وكلها في قصائد المدح ولم يذكرها البتة في قصائد الهجاء وكان أول ذكره لهذه الكنية فى قصيدة التى قالها في مدح كافور و مطلعها :

كَفَي بِكَ دَاءً أنْ تَرَي المَوتَ شَافِيا وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يَكُنَّ أمَانِيَا

وأول بيتٍ ذكر فيه كنية (أبى المسك) هو قوله :

أبَا المِسْكِ ذَا الوجْهُ الذِى كُنتُ تَائقاً إليهِ وذَا اليومُ الذِي كُنتُ رَاجِيا

يقول : كنت مشتاقاً الى وجهك ، راجياً لهذا الوقت فقصدتك ،فافعل أنت ما يليق بك.

وقد رأي أبو العلاء في معجز أحمد : "أنّ هذا بالهزءِ أولى ، مع قبح كافور وسواد وجهه" (٤٨) وقال أبو الفتح بن جني : "وهذا البيت يتأولُ فيه الهجاء " (٤٩)

ولقب أبى المسك لقبه به أبو الطيب المتنبى ،وكأنه يشير به الي كلمة (كافور) التي تعني نوعاً من الأشجار ذكية الرائحه فهى كالمسك ، والذى يؤكد ما ذهبنا اليه قوله :

٤٧- المصدر السابق ، ٢/ ٤٠

٤٨- معجز أحمد،٢٦/٤

٤٩- التبيان ، ٢٨٩/٤

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لا أَبَا المِسْكِ وَحْدَه   وكُلَّ سَحَابٍ لاأَخُصُّ الغَوَادِيا

وفى قصيدة أخرى ذكر هذة الكنية فى قول:

إنَّما يَفْخَرُ الكَرِيمُ أبو المِسْـ   كِ بِمَـا يَبْتَنِى مِـن العـُلْياءِ

وفي قصيدة أخري

أبو المِسْكِ لايَفْنَي بَذنْبِكَ عَفْوه   ولكِنّــه يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِـقْدُهُ

فهو كثير العفو قليل الحقد .ثم رُبطت عنده في بيت أخر فى قصيدة أخرى بـالكرام والخيل يقول:

فِدَىً لأَبِى المِسْكِ الكِرَامُ فإنَّها   سَوَابِـقُ خَـيلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَـمِ

فالكرام حوله مثل الخيول التى تهتدى بالجواد الأدهم.

وفى بيت لاحق فى قصيدة أخرى يربط اللفظة بالرجاء يقول :

أبَاالمِسْكِ أرْجُومِنكَ نَصْراً عَلَى العِدَى   وآمُـلُ عِـزّاً يَخْضِـبُ البِـيضَ بِالدمِ

فهو الملك الذى ينصر المظلوم ويهب العز للذليل.

وفى قصيدة أخرى يعلن خضوع الناس لهذا الرجل :

أجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أبِى المِسْـ   كِ وذَلَّـتْ لَـهُ رِقَـابُ العِبَادِ

وفى قصيدة أخرى يقرن أبو الطيب هذه اللفظة (أبا المسك) بالطلب يقول:

أبَا المِسْكِ هَلْ فِى الكَأسِ فَضْلٌ أنَالُه   فَإنِّى أُغَنِّى مُنـذُ حِيـنٍ وتَشْرَبُ

وفى بيت آخر من هذه القصيدة يفاضل بينه وبين غيره ثم يختاره:

فإنْ لَـمْ يَكُنْ إلاّ أبو المِسْكُ   أوهُمُ فإنَّكَ أحْلَى فِى فُؤَادِى وأعَذَبُ

وفى قصيدة أخرى يضيف الى هذه اللفظة كلمة (الهُمام) يقول :

عِندَ الهُمَامِ أبِى المِسْكِ الذِي غَرِقَتْ   فِى جُودِهِ مُضَرُ الحَمْرَاءِ واليَمَنُ

فهو يصفه بالكرم الذى إمتد شمالاً إلي مضر وجنوباً الى اليمن.وفي قصـيدة أخـرى يضيف هذه اللفظة إلي كلمة (بحر)، وكلمة بحر تستخدم مجازاً للكرم ، يقول :

وبَحْرُ أبِي المِسْكِ الخِضَمُّ الذِي لَهُ   عَلَـى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وعُبَابُ

وفى آخِرِ استعمال لهذه اللفظة ربطها بالشجاعة في ميدان الحرب :

. وأكْثَرُ مَا تَلقَي أبَا المِسْكِ بـِذْلَةً إذا لـمْ تَصُـنْ إلاّ الحَدِيدَ ثِيابُ

فهو لايلبس الدروع فى وقت الحرب ،علي الرغم من أنّ الناس يلبسونها ،وذلك لشجاعته ولأنه كان لايخشي الحرب.

ومن الألفاظ التي كان كثيراً مايرددها هي اسم الإشارة (ذا) وقد أشار إلى هذا الثعالبى في (يتيمة الدهر) بقوله : قال القاضى : "وهي ضعيفة في صنعه الشعر ، دالة علي التكلف" (٥٠)

و (ذا) اسم اشارة للقريب وهي من الألفاظ التي لاتستخدم كثيراً في الشعر، ولكن قد تستخدم في بعض المواقع فتستحسن،"وربما وافقت موضعاً تليق به فاكتسبت قبولاً " (٥١)

المواضع التى ذكر فيها كلمة (ذا) في كافورياته هي :

أبا المِسْكِ (ذا) الوجْهُ الذِى كُنتُ تَائِقا إليهِ و(ذا)اليومُ الذِى كنتُ رَاجِيا

وقوله:

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوقَ والشَّوقُ أغْلَبُ وأعْجَبُ مِنْ (ذا) الهَجْرِوالوَصْلُ أعْجَبُ

وقوله:

أُرِيدُ مِن زَمَنِى (ذا) أنْ يُبَلّغُنِى ما ليسَ يَبْلُغُه مِن نَفسِه الزَّمَنُ

وقوله:

يُضَاحِكُ فِى (ذا) العِيدِ كُلٌّ حَبِيبَه حِذائِى وأبْكِى مَنْ أُحِبُ وأنْدُبُ

وقوله:

ولمْ أرْجُ إلاّ أهْلَ (ذَاك) ومَن يُرِد مَوَاطِرَ مِن غَيرِ السَّحَائِبِ يَظْلْمِ

وقوله:

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنا(ذَا) الزّمَانا وعَنَاهُم مِن شَأنِه ما عَنَانَا

٥٠- يتيمة الدهر ، ١/ ٢٠٢

٥١- المصدر السابق ص٢٠٣

وقوله:

وتَعْجِبُنِى رِجْلاكَ فِى النَّعلِ أنّنِى 		رَأيتُكَ (ذَا) نَعْلٍ إذا كُنتَ حَافِيا

وقوله:

فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِى (ذا) وفِى (ذا) 		فَمَدَفوعٌ إلـــى السُّقمِ السَّقِــيمُ

وقوله:

ولَو كَانَ (ذا) الآكلُ أزْوَادَنا 		ضَيَفـــاً لأوْسَعَـــنـــاهُ إحْـــسَانا

وقوله:

وإنَّ (ذا) الأسودَ المثْقوبَ مِشْفَرُهُ 		تُطِيعَه(ذِى) العَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ

وقوله:

ضَرَبْتُ بِها التِّيهَ ضَرْبَ القِمَارِ 		إمَّـــا لِـــهـــَذا وإمَّـــا (لِـــــذَا)

وقوله:

وَعَدْتُ (ذَا النَّصْلَ) مَن تَعرَّضَهُ 		وخِفْتُ لمَّا اعْتَرَضْتَ إخْلافَا

وقد علق عليها الثعالبي علي لسان القاضي بقوله : "فهو –كما تراه – ســـخافة وضعف " (٥٢)

هذا رأي الثعالبي ولكن الشاعر قد استخدم (ذا) في بعض هذه المواضع استخداماً لاغنى عنه ، فإذا نحن أبدلناها بكلمة أخرى قد لاتؤدي المعني بصورة جيـــدة وهـــذه المقدرة لاتتوفر إلا عند شاعرحاذق ماهر مثل أبي الطيب .

هذا ما كان من أمر الفاظه في الكافوريات ،أمّا في العضديات فقـــد اســـتخدم كثيراً من الألفاظ التي استخدمها في الكافوريات مثل مفردات الحرب وآلآتها، من سيوف ورماح وخيل وغيرها ، ولكن تميزت العضديات ببعض الألفاظ التي لم تكن كثيرة الورود في الكافوريات مثل ذكر الورد والماء والخمر ومفردات الطبيعة وأسماء الحيوانات من غير الدواب والأسود .

فمما ذكره من الورود ومفردات الجمال :الأغصان والجمان و الثمر فى قوله:

٥٢- يتيمة الدهر، ص٢٠٤

تَنْــفُضُ (الأغصانُ) فِيها   عَلَى أعْرَافِها مِثلَ (الجُمَانِ)

....

لَهَا (ثَمَــرٌ) تُشِيرَ إليكَ مِنْهُ   بِأشْــرِبةٍ وَقَــفْــنَ بَلا أوَانِ

وقد ذكر الورد فى قوله :

قَدْ صَدَقَ (الوَرْدُ) فِي الذِى زَعَمَا   أنَّــكَ صَيَّــرْتَ نَثْــرَه دِيَمَا

....

فَلْيُرِنَا (الوَرَدُ) إنْ شَــكا يــدَه   أحسنَ مِـــنه من جُودِها سَلِمَا

وذكر المروج فى قوله:

بَينَ (المُرُوجِ) الفِيحِ والأغْيَالِ   مُجَاوِرَ الخِنْــزِيرِ للرِئْبَـــالِ

وقد ذكرأبو الطيب (الماء)وجمعها على أمواه فى قوله:

و(أمْوَاهٌ) تَصِلّ بِها حَصَاهَا   صَلِيلَ الحَلى فِى أيدِى الغَوَانِى

وكذلك فى قوله :

لَقِينَنا والحمولُ سائــرةٌ   وَهــنَّ دُرٌّ فَذُبْــنَ (أمْوَاهَا)

وذكر المطر بمرادفه وهو كلمة (سبل) يقول:

يَشْتَاقُ مِن يدِه الِـــى (سَبَلٍ)   شَوْقَاً إليهِ يُنْــبِتُ الأَسَلُ

(سَبَلٌ) تَطُولُ المُكْرَمَاتُ بِه   والمَجْدُ لا الحوذان والنَّفلُ

وذكر الديم ومفردها ديمة وهو المطر الغزير:

(أنَّكَ صَيَّرتَ نَثْرَه دِيَمَا)

وذكر الماء مفرداً فى قوله :

و(ماءُ) كُــلِّ مُسْبِلٍ هَطّالِ   يَاأقْــدَرَ السُّفَارِ والقُــفَّالِ

وقد ذكر أبو الطيب فى العضديات كثيراً من مفردات الطبيعة ،فقد ذكر الحمام وهو يغني،والشمس وهى تلقى بأشعتها على الأشــجار ،وذكــر النــدّ والبخــور ،وذكــر المتنزهات والربيع يقول :

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيباً فِى المَغَانِى   بِمَنزِلةِ الرَّبيعِ مِــن الزَّمَانِ

وفيها:

إذا غَنَّى(الحَمَامُ الوُرْقُ) فِيها   أجَابَتَه أغَانِـــيُّ القِـــيَانِ

وذكر الندّ والبخور فى قوله:

يَلَنْجُوجِى مَا رُفِعَتْ لِضَيَفٍ   بِـــهِ النِّيرَانُ (نَدِّىُّ الدُّخَانِ)

وذكر أشعة الشمس وهى تظهر بين الأشجار:

وألقَى الشَّرْقُ مِنها فِى ثِيابِى   دَنَانِيراً تفــرُّ مِـــن البَنَانِ

وقد أكثر أبو الطيب فى عضدياته من ذكر الحيوانات البرية والجبلية ،فذكر الخنذير والدب والغزال والأوعال وغيرها يقول :

بين المروجِ الفيـــحِ والأغـــيالِ   مجاورُ (الخِـــنزيرِ للرئبـــالِ)

دانِى(الخَنَانِيصَ([٥٣]) مِن الأشبالِ)   مُشْتَرِفِ (الدبَّ) علَى (الغَزَالِ)

....

لِسَائِرِ الجسمِ مـــِن الخَبَالِ   وأوفتِ الفُدْرُ([٥٤]) مِن (الأوعَالِ)

نَوَافرَ الضِّبَابِ و الأوْرَالِ([٥٥])   والخَاضِباتِ الرُّبْدِ([٥٦]) والرِّئالِ

....

والظَبْيِ والخَنْسَاءِ والذَّيَّالِ   يَسْمَعنَ مِنْ أخْبَارِه الأزْوَالِ([٥٧])

وقد مال أبو الطيب في عضدياته إلي إستعمال الغريب الوحشي من الألفاظ . " وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجري علي رســـومهم فـــي اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ... حصل كلامه بين طرفي نقـــيض وتعـــرض لاعتراض الطاعنين"([٥٨])

٥٣- الخنانيص جمع خنوص:ولد الخنزير

٥٤- الفدر جمع فدور وهو المسن من الأوعال

٥٥- الأورال جمع ورل :وهو الضب الصحراوى

٥٦- الخاضبات :ذكور النعام تحمر أرجلها فى الربيع ،أما الربد فهى النعام التى عليها غبرة. والرئال :فراخ النعام

٥٧- الخنساء :البقرة الحشية.الذيال :الثور الوحشى .الأزوال :الظريفة المعجبة.

ومما أغرب فيه أبو الطيب قوله:

وما أرضَي لمُقْلتِه بِحلمٍ إذا انْتبَهَتْ تَوَهَمَه(ابتشاكا)

قال الثعالبي : "الابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوي هذا البيت" (٥٩)

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض :

(أُرُوضُ) النّاسِ مِن تُرْبٍ وخَوفٍ وأرْضُ أبِي شُجاعٍ فِي أمانِ(٦٠)

وكان أبو الطيب المتنبي بارعاً في استخدام سائر الألفاظ، وهو يعرف كيف يحول سبيلها إلي جهةٍ أخري ،فمن ذلك أنه يستعمل ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب الجد "وهو أيضاً مما لم يسبق إليه وتفرد به، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام" (٦١)

ومن ذلك قوله في قصيدته (مغاني الشعب):

حَمَـي أطْرَافَ فَارِسَ شَمـرِيٌّ يَحُضُ علَـي التبَاقِي والتَّفَانِي

بِضَربٍ هاجَ أضـرَابَ المَنَـايا سِوَي ضَربَ المَثَالثِ والمَثانِي

كـأنَّ دمَ الجَمَـاجِمِ فـِي العَناصِـي(٦٢) كَسَـا البُلْـدانَ رِيـشَ الحَيْـقَطَانِ(٦٣)

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلوبُ العِشْقِ فِيـها لِمَا خَافَتْ مِن الحَدَقِ الحِسَانِ

هذا وقد كسا أبو الطيب المتنبي ألفاظه بمعانٍ بهية ،جعلت من شعره إماماً بين الشعر عامة، وهذا إن دل أنما يدل علي مقدرة هذا الشاعر وعلمه وإطلاعه علـي اسرار اللغة العربية .

٥٨- يتيمة الدهر،ص١٩٦

٥٩- المصدر السابق والصفحة

٦٠- يتيمة الدهر، ص١٩٨

٦١- نفسه ص٢٣٩

٦٢- العناصى جمع عنصوة :الشعر فى نواحى الرأس

٦٣- الحيقطان :ذكر الدراج وريشه مختلف الألوان.

ومن قلائد أبي الطيب إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة والرمى بالظرف والملح كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه وبين مدح كافور وقد قصده في بيت واحد:

فراقٌ ومَن فارقتَ غَيرُ مذممِ وأمٌّ ومَن يَممتَ خَيرُ مُيممِ(٦٤)

ومنها كذلك قوله في مدح كافور والتعريض والقدح في سيف الدولة :

قالوا هَجَرتَ إليهِ الغَيثَ قُلتُ لَهُم إلي غُيوثِ يديهِ والشَّآبيبِ

إلي الذِي تَهَبُ الدولاتِ راحَتُه ولا يَمُنُّ على آثارِ موهوبِ

ولايَروعُ بِمغدورٍ بِه أحداً ولايُفَزِّعُ مَوفوراً بِمنْكوبِ

يأيّها المَلكُ الغَانِي بِتَسمِيةٍ فِي الشَّرقِ والغَرْبِ عَن نعتٍ وتَلقيبِ

يعني أنه مستغنٍ عن الألقاب مثل سيف الدولة وغيرها .

ثانياً : المعاني

الغرض من الكلام : ترجمة الخواطر والإبانة عما في النفس ، ليتم التفاهم والتعاون بين الناس علي مافيه صلاح معاشهم ومعادهم ، ولا يتحقق هذا إلاَّ بفهم معناه ، ووضوح دلالته ، وإلاَّ كان أصواتاً مبهمة ، غامضة كأصوات العجماوات ، فلا كلام بغير معنى مفهوم(٦٥)

والغرض من الكلام هو الإفهام وإدراك المعاني لذلك فقد عرَّف أبو الفتح عثمان بن جنى اللغة بأنها :" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (٦٦)

والقصيدة العربية أياً كان غرضها فهي مجموعة أفكار ومعانى، هذه الافكار ليست مجر د معانى وأفكار تقريرية كما هو الشأن في الأفكار الفلسفية أو

٦٤- الصبح المنبي ص٤٥٧

٦٥- عباس حسن ، المتنبي وشوقي ، ص ١٧٦

٦٦- أبوالفتح بن جنى ،الخصائص،دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ٢٠٠١م،٨٧/١

العلمية ، بل هى أفكار ومعانى نابعة من خلال وجدان الشاعر متأثرة بما يتأثر به الشاعر من مشاعر وتأثيرات نفسية .

والكلام الأدبى ـ لاسيما الشعر ـ يحتاج الي صفات كثيرة تكسبه تمكيناً للنفوس وتغلغلاً في أعماقها ، وقوة في التأثير ومن هذه الصفات : طرافة المعنى واستقامته ، ووفاؤه بما يراد منه ، ومناسبته للغرض والعصر الذي قيل فيه ... إلى براعة الخيال وشيوع العاطفه (٦٧)

" فقد أرادوا من المعانى الطريفة ما كان من استعمال الخاصة وأشباههم ولم يزع بين العامة ومن إليهم " (٦٨) والكلام الطريف هو الكلام الذى به براعة في الابتكار وجمال العبارة والإبداع.

وقصدوا من استقامة المعنى تماسك أجزائه ، فلا يقع بينهما تعارض أو تناقض أو تفكك . وقصدو من وفائه أن يكون شاملاً موضوعه ، مستوعباً إلى حد محدود – عناصره وأدلته العقلية والشعرية التي ترضي الفكر والعاطفة معاً من غير استقصاء دقيق يحيل الشعر فلسفة جافة أو بحثاً عقلياً جامداً(٦٩).

وبراعة الخيال أرادوا بها قدرته علي أن يخلق صوراً حسية لها نظائر مركبة في عقل الشاعر تخرج بكل براعة وإقتدار ، أما مناسبة الكلام لغرضه فالمقصود من ذلك أن يكون المديح أو الرثاء أو غير ذلك من أغراض الشعر على قدر ماوضع له من ألفاظ ومعانى ، فلا يستعمل معني في غير غرضه.

لذلك فقد كان القدماء يفضلون من الشعر ما كان سهل اللفظ قريب المعنى . يقول ا بن خلدون في مقدمته : " أن الشعر لايكون سهلاً إلا إذا كانت معانيه

٦٧- المتنبي وشوقي ص ١٧٦

٦٨- المصدر السابق والصفحة

٦٩- المتنبى وشوقى ،ص١٧٧

تسبق ألفاظه إلي الذهن ولهذا كان شيوخنا – رحمهم الله – يعيبون شعر ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس ، لكثرة معانيه ، وازدحامها في البيت الواحد " (٧٠)

وكثير من شعر أبى الطيب المتنبى يجري علي هذه الصفات التي ذكرها ، وأبو الطيب نفسه يعرف أن شعره يجري علي هذا النسق مما جعله يفخر به عند أقرانه وعند الأدباء عامة ، فكان مما نسمعه منه قوله :" أين أنت من قولي كذا .... وأين أنت عن قولي كذا ..." (٧١)

وكثير من النقاد شهد لأبي الطيب بالبراعة والسبق فى كثير من المعاني، ذكر العكبري : "وقد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره مما تخرق العقول منها" (٧٢)

وأبوالعباس النامى أحد معاصريه من الشعراء كان يقول عنه :"كان قد بقي فى الشعر زاوية دخلها المتنبي وكنت أشتهي أن أكون سبقته الي معنيين قالهما ماسبق اليهما" (٧٣)

وبنظرة إلي كافورياته وعضدياته تجد كثيراً من هذه المعانى الطريفة النادرة المستقيمة التي لم يسبق إليها أحد ومن ذلك قصيدته التي وصف فيها الحمي التي أصابته وهو بمصر والتي يقول فيها :

وزَائِـرَتِي كأنَّ بِـها حَيـاءً	فَلَيسَ تَزورَ إلاَّ فِي الظَّلامِ
بَذَلْتُ لَها المَطَارِفَ والحَشَايَا	فَعَافَتْهَا وبَاتَتْ فِـي عِظَامِي
يَضِيقُ الجَلْدُ عَنْ نَفْسِي وعَنْهَا	فَتُوسِـعَه بِأنـوَاعِ السِّـقَـامِ
كأنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدَها فَتَجْرِي	مَدَامِعُـهَا بِأرْبَعَـةٍ سِجَـامِ
أُرَاقِبُ وَقتَها مِنْ غَيرِ شَـوقٍ	مُرَاقَـبةَ المَشُوقِ المُسْتَهَـامِ (٧٤)

٧٠- مقدمة ابن خلدون ، باب صناعة الشعر ص٣٢٨

٧١- معجم الادباء ١٨/ ١٦٦،١٦٧

٧٢- التبيان ١٦١/١

٧٣- الصبح المنبي،ص٨٠

٧٤- ديوانه ، ٤٨٤

فقد علّق عليها الجرجانى بعد أن ذكر معظم أبياتها بقوله :"وهذ القصيدة كلها مختارة لا يعلم لأحد في معانيها مثلها وأن الأبيات التي وصف فيها الحمي أفراد قد اخترع أكثر معانيها وسهل في ألفاظها فجاءت مطبوعة مصنوعة" (٧٥) وقد علق عليه ابن الشجرى:"ما مدح أسود بأحسن من هذا "(٧٦)

ولم يكتفِ الجرجاني بهذا التعليق بل ذكر أبياتاً كثيرة من شعر المتنبي علي أنها من مبتكراته ثم علّق عليها بقوله:

"وأمثال ذلك أن طلبته هداك الي موضعه،وإذا التمسته دلك على نفسه"(٧٧)

ومن ذلك قول أبي الطيب في قصيدته التي مدح بها كافوراً وبدأها بالتغزل بالأعرابيات

أزَورُهم وسَوادُ اللّيلِ يَشْفَعُ لِي وأنْثَنِي وبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي(٧٨)

فقد علّق عليه الثعالبي فى اليتيمة بقوله :" وقد وقع التنبيه علي حسن هذا البيت فى شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه وكونه أمير شعره "(٧٩) وزاد العكبرى : "وهذا البيت قد جمع بين الزيارة والانثناء والانصراف وبين السواد والبياض،والليل والصبح، والشفاعة والإغراء وبين لي وبي"(٨٠)

وقد ذكر(العكبرى) في (التبيان) عدداً كبيراً من أبيات المتنبي بعد قوله آنف الذكر: "وقد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره وهى مما تخرق العقول منها ..."(٨١) وقد ذكر العكبري سبعة عشر ومائة

٧٥- الوساطة ، ص ١٢١

٧٦- التبيان ،٢٨٨/٤

٧٧ - الوساطة ص ١٥٩

٧٨- ديوانه ص٤٤٨

٧٩- يتيمة الدهر ،٢٢٠/١

٨٠- التبيان ص ١٦١/١

٨١- السابق والصفحة

بيت في هذا الصدد، وقد جاء مايقارب ربعها من قصائد الكافوريات والعضديات وهذا إن دل ،يدل علي أن المتنبي كان قد أعمل فكره وصب عصـارة خبرتـه السابقة في هذه القصائد التي تعد من متأخرات قصائده وهذه الأبيات هي قوله:

أزورُهم وسَوادُ الليلِ يشفعُ لِي وأنثَنِي وبياضُ الصُّبحِ يُغْرِى بِي([٨٢])

وقوله :

فَجَاءتْ بِنا إنسانَ عينِ زمانِه وخَلَتْ بَياضاً خَلْفَها ومَآقِيا ([٨٣])

وقوله :

وذاكَ أنَّ الفُحولَ البِيضَ عاجزةٌ عنِ الجميلِ فكيفَ الخِصيْةُالسودُ([٨٤])

وقوله:

كأنَّ كُلَّ سُؤالٍ فِي مِسامِعِه قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أجْفانِ يَعقوبِ([٨٥])

وقوله :

أبَي خُلقُ الدُّنيا حَـبيباً تُدِيمَه فَـما طَلَبِي مِنها حَبيـباً تَـرُدُّه ([٨٦]

وقوله:

إذا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ مَايَعْتادُه مِن تَوَهُمِ ([٨٧])

وقوله :

و كُلُّ امْرِىءٍ يُولِي الجَميلَ مُحَبَبُ وكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طِيـبُ ([٨٨])

وقوله:

٨٢- ديوانه ص ٤٤٨

٨٣- ديوانه ص ٤٤٣

٨٤- ديوانه ص ٥٠٨

٨٥- ديوانه ص٤٥١

٨٦- ديوانه ص٤٥٣

٨٧-ديوانه ص ٤٥٩

٨٨- ديوانه ص٤٦٨

مَاكُلُّ مَايَتَمَنَّي المَرْءُ يُدْرِكُه   تأتِي الرِّياحُ بِما لاتَشْتَهِي السُّفُنُ [89]

وقوله :

ومَرادُ النُّفوسِ أصْغَرُ مِنْ أنْ   نتَعَـادَي فِيـهِ أو نَتَفَانَي([90])

وقوله :

غَيرَ أنَّ الفَتَي يُلاقِي المَنَايا   كَالِحَاتٍ ولا يُلاقِي الهَوَانَا ([91])

وقوله:

إذا لمْ يَكُنْ مِنْ المَوتِ بُدٌّ   فَمِن العَارِ أنْ تَموتَ جَبَانَاً ([92])

وقوله :

ولَوْ أنَّ الحَياةَ تَبْقَى لِحَيٍّ   لَعَدَدْنَا أضلَّـنا الشُّجْعَانا ([93])

وقوله :

ولمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبَّاً   جَزَيتُ عَلَي ابتسامٍ بِابتسامِ ([94])

ومابعدها

وقوله :

لَوْلا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُم   الجُودُ يُفْقِرُ والإقْدَامُ قَتَّالُ ([95])

ومابعدها

وقوله:

أنِّي لأجبن مِنْ فِراقِ أحِبَّتِي   وتَحُسُّ نَفسِي بِالحِمامِ فأشْجَعُ ([96])

٨٩- ديوانه ص٤٧٢

٩٠- ديوانه ص٤٧٤

٩١-ديوانه ص٤٧٤

٩٢- ديوانه ص٤٧٤

٩٣- ديوانه ص٤٧٤

٩٤- ديوانه ص٤٨٣

٩٥-ديوانه ص٤٩٠

٩٦- ديوانه ص٤٩١

وقوله :

نَحنُ بَنو المَوتَي فَمَا بَالُنا　　　نَعافُ مَا لابُدَّ مِنْ شُرْبِه (٩٧)

وفيها :

يَموتُ رَاعِى الضَّأنِ فِي جَهلِه　　　مَوتةَ جَالينوسِ فِي طِبِّه(٩٨)

يلاحظ فيما ذكرنا من أبيات على أنها من المعانى التى لم يسبق إليها من قبل ،وأحصينا عددها وقلنا إن مايقارب ربعها كان من الكافوريات والعضديات ، والحق يقال إن أكثر من تسعة أعشار ماذكرنا هو من الكافوريات ، وهذا يجعلنا نقول أنّ المتنبي كان في مصر أكثر صفاء ذهن وأكثر إطلاعاً وإجادة من أي وقت مضى، هذا إذا قارنا بين المدة التي قضاها في مصر و ما قبلها من سنين ، فضلاً عن أن المدة التي قضاها بفارس كانت قصيرة، إذا قورنت بأيّ رحلة قام بها أبو الطيب من قبل لذلك كان من الطبيعي أنْ تقل معانيه في هذه الفترة ،التي كان قد شغل فيها أبو الطيب بالتدبير للاطاحة بكافور والإعداد لذلك .

ومن المعاني التي استخدمها أبو الطيب في كافوريا ته وعضديات:

الحكمة وضرب المثل :

تكاد تتفق كلمة كثيرة من النقاد علي أن أبا الطيب من أبرع الشعراء في الاهتداء إلي الحكمة وفي ضرب المثل في مختلف المناسبات الإنسانية (٩٩)

وكان أبو الطيب قد أرسل أمثالاً كثيرة في كافورياته وعضدياته "ومن بدائعه إرسال الأمثال في أنصاف الأبيات "(١٠٠) ومن هذة الأمثال قوله:

(ومن قصد البحر استغل السواقيا) (١٠١)

٩٧- ديوانه ص٥٥٧

٩٨- ديوانه ص٥٥٨

٩٩- المتنبى بين ناقديه ،ص ١٢٥

١٠٠- الصبح المنبى ، ص ٤٣٨

١٠١- ديوانه ص٤٤٣

وقوله:

(وخير جليس في الزّمان كتاب) ([١٠٢])

ما أظنُّ أنّ أحداً من الأولين والآخرين من الشعراء قال مثل هذا المثل البارع

وقوله:

(إن النُّفوسَ عَدَدُ الآجالِ) ([١٠٣])

(ومنها ارسال المثالين في مصراعى البيت الواحد) ([١٠٤]) ومن ذلك قوله:

وكُلُّ امرىءٍ يُولِي الجميلَ مُحبَّبُ وكُلّ مَكانٍ يُنبتُ العِزَّ طَيِّبُ([١٠٥])

وقوله :

كَفَى بِكَ دَاءً أنْ تَرَى المَوتَ شَافِيا وحَسبُ المَنَايا أنْ يكُنّ أمَانِيا([١٠٦])

وقوله :

لاتَشْتَرِ العَبدَ إلاّ والعَصَا مَعه إنَّ العبيدَ لأنْجَاسٌ منَاكِيدُ([١٠٧])

هذه الأبيات مما ذكرها الثعالبي علي أنها جاء بها المثل في مصراعي البيت وهى كثيرة غير أننا قصرنا الأمر علي الأمثال التي جاءت في الكافوريات والعضديات .

والحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به . (والحكمة تعبير دقيق موجز عن تجربة من التجارب الإنسانيه العامة ، يتضمن تفسيراً لها) ([١٠٨])

١٠٢- ديوانه ص٤٧٩

١٠٣- ديوانه ص٥٦٢

١٠٤- يتيمة الدهر ١/ ٢٥٠

١٠٥- ديوانه ص ٤٦٨

١٠٦- ديوانه ص٤٤١

١٠٧- ديوانه ص ٥٠٧

١٠٨-المتنبى بين ناقديه ، ص ١٢٥

والحكمة أياً كانت فهى قادرة على التغيير عن معاني سامية تعالج الكثير من القضايا الإجتماعية . ولبراعة المتنبى في إرسال الحكم والأمثال وتخير ألفاظها ومعانيها فقد ظلت حكمه وأمثاله رغم تطاول الزمان دون تغيير، بل إنها اشتهرت في ألسن الناس حتّى أصبحت من مفردات كلام الكثير منهم في أغراضه اليومية .

وقد ساق الثعالبى ومن بعده البديعي عدداً من الأبيات في إرسال الأمثال والاستملاء والموعظة والحكمة وشكوى الدهر مع التصرف في حسن كل ذلك (١٠٩)

ومن ذلك قول أبي الطيب :-

ماكل ما يتمني المرءُ يُدركه ... تجري الرياحُ بمالا تشتهِي السُفنُ(١١٠)

وقوله :

تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ ... عمّا مَضى منها وما يُتوقّعُ(١١١)
ولمِن يُغالط في الحقائقِ نفسَه ... ويَسومُها طلبَ المُحالِ فتطمعُ

وقوله :

وأتعبُ خلقِ اللهِ من زاد همُّهُ ... وقصّر عمّا تشتهِي النّفس وجْدُهُ
فلا يَنحلِلْ في المَجْدِ مالُك كلُه ... فَينحلَّ مجدٌ كانَ بالمالِ عقْدُهُ
ودَبِّرهُ تدبيرَ الذِى المَجْدُ كفُّه ... إذا حَارَب الأعداءَ والمالُ زندُهُ
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مالَ في الدُّنيا لِمنْ قلّ مجدُهُ
إذا كنتَ في شكٍّ من السّيفِ فابلهُ ... فإمّا تَنَفّيه وإمّا تُعِدُهُ
وما الصارمُ الهنديُّ إلاّ كغيرِه ... إذا لمْ يفارقه النّجادُ وغِمدُهُ(١١٢)

١٠٩- يتيمة الدهر ٢٦٢,٢٥١/١و الصبح المنبى ،ص ٤٤١و٤٥٢

١١٠- ديوانه ص ٤٧٢

١١١- ديوانه ص٤٩١

١١٢- ديوانه ص٤٥٦

فهو في هذه الأبيات يقرر أنّ أتعاب الإنسان تكثر كلما زاد همُّه وقصّر وجده ،ثم يرسل النصائح في حكمة بالغة الي كافور ،بأنْ لايبذل كل ماله في طلب المجد لأنَّ طلب المجد بالمال فيه من المجازفة بحيث إن ه يضيع كل المال ،وإنما عليه أن يدبر هذا المال ، لأن المال بالمجد والمجد بالمال ، ثم يوصيه بأنْ يتخذ أسلوب الموازنة فيما يشك فيه ثم يتخذ القرار بعد ذلك .

وقوله :

لولا المَشَقّةُ سادَ النَّاسُ كلُّهم   الجُودُ يُفقِرُ والإقدامُ قَتّالُ
وقَلّمَا يبلغُ الإنسانُ غَايتَه   مَا كلُّ ماشيةٍ بالرِّجلِ شِملالُ
إنَّا لَفِى زمنٍ تركُ القبيحِ بهِ   منْ أكثرِ النّاسِ إحسانٌ وإجمالُ
ذكرُ الفَتَى عمْرُه الثانِى وحاجَتُه   ماقاتَه ، وفضولُ النّاسِ أشغالُ(١١٣)

ثم علق علي كل هذه الأبيات التي في الحكمة والموعظة والأمثال بقوله: "وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لايصدر مثلها إلاّ عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة " (١١٤)

ويلاحظ أيضاً أنَّ الأبيات التي اختارها الثعالبي وقال إنهامن فرائد أبي الطيب ولاتصدر إلا عن فضل باهر وقدرة علي الأبداع ، علي الرغم من أنها اشتملت علي شعر أبي الطيب في مراحل حياته المختلفة إلاَّ أنَّ شعره من هذا النوع والذي قاله في مصر كان أكثر شمولاً لهذه المعاني في القصيدة الواحدة ، حيث إن ه ذكر سته أبيات كلها فرائد من قصيدة واحدة وهي قوله : " وأتعب خلق الله ..." وهذا لم يحدث في أىِّ من قصائده في مراحله المختلفة .

ومن معاني أبي الطيب :مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب مع الإحسان والإبداع (هو مذهب له تفرد به ، واستكثر من سلوكه اقتداراً منه وتبحراً

١١٣- ديوانه ص٤٩٠

١١٤- يتيمة الدهر ،٢٥٩/١

في الألفاظ والمعاني ، ورفعاً بنفسه عن درجة الشعراء تدريجاً لها إلى مماثلة الملوك في مثل قوله لكافور:

وما أن بالباغِي علَى الحبِّ رشوةً ضعيفُ هوى يبغِى عليه ثوابُ
وماشـــئتَ إلا أنْ أدلّ عَواذلِـــي علَى أنّ رأى فِي هواكَ صوابُ
وأعلم قوماً خالــفونِى وشرّقــوا وغَربتُ أنِّي قدْ ظفرتُ وخابوا
إذا نلتُ منكَ الودَّ فالــمالُ هيّــنٌ وكلّ الذِي فوقَ الترابِ ترابُ (١١٥)

فهذا الحديث كأنه حديث إخوان بين الرجل وصديقه ، فهو يقول لـــه : أنـــا لاأحبـــك بمقابل وإنما هذا الهوى والحب هو في سبيل الإصابة في رأي وأردت بذلك أنْ أخبر مجموعة أخرى من الشعراء ذهبوا لملوك الشرق، فخابوا وأنا عندك قد ظفرت بمـــا أردته ، فالذى أطلبه هو حبك وكل شئٍ بعده يهون .

ومن ذلك أيضاً قوله وقد أهداه مهراً أسوداً :

فَلَوْ لمْ تَكُنْ فِي مِصرَ ماسِرتُ نَحْوَها بِقلْبِ المَشُـــوقِ المُســـتهامِ المُتـــيمِ (١١٦)

فكأنّه يخاطب حبيباً له بمفردات الشوق والحب والهيام .

وكذلك قوله لعضد الدوله :

أروحُ وقدْ خَتمَتَ علَـــى فُؤادِي بحُبِك أنْ يحلَّ بهِ سِواكَا
فلوأنّي أستطعتُ خفضتُ طرفِي فلمْ أبصرْ بهِ حتّى أراكَا(١١٧)

هذا خطاب الأحباب للأحباب : إنَّك ختمتَ على هذا الفؤاد فليس فيه سواك ، وأنا إذا كنت أستطيع ذلك فلا انظر إلى أحد قبل أن أراك ، فهي عبارات تقال علـــى لســـان المحبين الذين قتلهم الوجد.

١١٥- المصدر السابق ، ٢٣٧/١

١١٦- ديوانه ص٤٦١

١١٧- ديوانه ص٥٦٦

ومن حسن إبداعه وتصرفه في معاني الشعر الخروج عن طريق الشعر إلـــي طريق الفلسفة في مثل قوله :

تمتّعْ منْ سهادٍ أو رقادٍ ولا تأملْ كرىً تحْتَ الرِّجامِ
فإنْ لثالثِ الحالينِ مَعنًى سِوى مَعني انتباهِكَ والمنامِ

قال ابن جني : "أرجو أن لا يكون أراد بذلك نومة القبر لا انتباه لها" ([118])

١١٨- يتيمة الدهر ٢١٥/١

الفصل الثانى

الأساليب

الأسلوب هو الطريقة التي يتبعها الأديب في صياغة أفكاره وترتيبها ترتيبا ًيجعل هذه الأفكار واضحة للمتلقي من ناحية المعني واللفظ . يقول عبد القاهر الجرجاني عن الأسلوب "هو الضرب من النظم والطريقة فيه " ([119])

والدراسة الإسلوبية هي تلك الدراسة التي تتخذ الخصائص الجمالية للأساليب والسمات التي سببت إطمئنان النفس لها مجالاً للدراسة والبحث ([120]) . وذكر الجرجاني في الوساطة كلاماً عن الأسلوب يفهم منه أنه يقصد بالأسلوب مطابقة الكلام لمقتضي الحال ([121]) . أي : أن لغة الشاعر في المديح يجب أن تختلف عن لغته في الرثاء وكذلك الحال في الهجاء والتغزل .

والأسلوب عند كثير من النقاد هو أن يكون الكلام سليماً وسهلاً وناصعاً ومستوياً في تقاسيمه وتعادل أطرافه : يقول أبو هلال لعسكري :" الكلام – أيدك الله ـــ يحسن بسلامته ونصاعته وتخير لفظه وإصابة معناه ، وجودة مطالعه ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعادل أطرافه وتشابه أعجازه بهواديه ، وموافقة مآخيره لمباديه " ([122])

ويقول ابن طباطبا العلوى " فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعانى ، الحسنة الرصف ، السلسلة الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ولا تكلف فى معانيها .... "([123])

١١٩- دلائل الأعجاز ، ص٣٠٥

١٢٠- المتنبى بين ناقديه ، ص٨٣

١٢١- الوساطة ،ص ٢٤

١٢٢- كتاب الصناعتين ،لأبى هلال العسكرى ،دار الكتب العلمية ،١٩٨١م،ط١٢، ص٦٩

١٢٣-ابن طباطبا، عيار الشعر ،الموسوعة الشعرية٢٠٠١م، ص٨٠

وقد تميز شاعرنا في كافورياته وعضدياته بكثير مما قاله هؤلاء من حيث السلاسة والسهولة وتخير الألفاظ والمعاني ، وقد حدا هذا الشيء في أسلوبه الي قول بعضهم أن شعره في مصر وفارس أضعف بكثير من شعره الذي سبق هذا التاريخ ([124])

وقد اتبع أبو الطيب المتنبي في كافورياته وعضدياته أساليب مختلفة ، وفق مقتضيات القصيدة والحال التي أنشدت فيها ، ففي أول قصيدة مدح بها كافوراً صوّر أبو الطيب الطريق من حلب الي مصر تصويراً بارعاً جعلنا نحس بوعورة وخشونة الطريق ونشعر بشدة الحر في هجير الصيف ،فى قوله :

لقيتُ المَرُورَى والشَّناخِيبَ دونَـــه وجبـتُ هَجيـراً يَتـركَ الَمـاءَ صادِيا([125])

فالذي يقرأ هذا البيت يعرف أن الطبيعة كانت قاسية بين مصر وحلب والحجارة تملأ كل مكان . وهذا هو الواقع ، والذي سمع كلمات مثل المروري والشناخيب والهجير وإن لم يعلم معناها يحس بصوتها وشدتها.

وفي مناسبة أخرى قريبة من هذه وضع شاعرنا كلمات وألفاظ واستخدم أسلوباً ،يحس به القاري أن طبيعة الحياة سهلة هينة ،وذلك في قصيدته التي وصف بها شعب بوّان ومدح بها عضد الدولة في فارس حيث ذكر الشاعر أسلوباً مغايراً لما سبق ،يقول:

غَدَونَا تَنْـفُضَ الأغْصـَانُ فِيـها عَلَي أعْرَافِها مِثْلَ الجُـمَانِ
فَسِرْتُ وقَـدْ حَجَبْنَ الشَّمس عنِّي وجِئْنَ مِن الضِّياءِ بَما كفَانِي
وألقَي الشَّرْقُ مِنها فِـي ثِـيابِي دَنانِيراً تَفِـرُّ مِـن البَـنانِ

١٢٤- انظر ابو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ،ص٥٠٦

١٢٥- ديوانه ص ٤٤٤

لَهـــا ثَمــَرٌ تُشــِيرُ إلـــيكَ مِـــنه   بأشربةٍ وَقَــفْنَ بِلا أوَانِ([126])

فالألفاظ سهلة هينة تجعلنا نحس بسهولة الحيـــاة وجمـــال الطبيعـــة والمياة المتدفقة الجارية ، ولعل طبيعة فارس تؤيد ما ذهبنا اليه .ثم اســـتمع الي هذه القصيدة والتي إذا عرضت علي ناقد يعرف أساليب الشعر والشعراء لقال إن قائلها مريض وهي قوله:

ذَرَانِـــي والفــَلاةَ بِلا دَليـــلٍ   ووَجْهِي والهَجــِيرَ بِلا لِثَامِ
فأنَّـــي اسْتَـــرِيحُ بِـــذي وهَذا   وأتعـــبُ بالإناخةِ والمـــقامِ
عيونُ رَواحِلِي إنْ حِرْتُ عَينِي   وكُـــلُّ بُغَامِ رَازِحةٍ بُـــغَامِي
فـــَقَـــدْ أرِدُ المِياهَ بِغيـــرِ هادٍ   سِوى عَدِّي لَها بَــرْقَ الغَمَـــامِ
([127])

فالمريض يحس بالوحدة مهما اجتمع حوله الناس، ويجد نفسه راغبـــاً في الإستظلال بكل ظل ، وهو عندما يسمع أنّ أنساناً قضي بمـــرض مـــا فيظن أن الذي فيه قاتله ، لذلك فهو لايستطيع القيام بأي شـــيء حتـــي المـــاء ينتظره انتظاراً.

فالأسلوب الذي اتخذه شاعرنا يعبر عن هـــذا الضـــعف وهـــذا الحـــزن العميق والمصير المجهول .

وكان أبو الطيب المتنبي قد استخدم أسلوب (تحقير نفسه) فـــي قصـــائده التي مدح بها كافوراً الأخشيدي ، فكان يري نفسه ضعيفاً مهينا جاء مستتجداً بكافور وملكه يقول:

وغَيرَ كَثيرٍ أنْ يَزورَكَ رَاجلٌ   فَيَرجَعُ مَلْكاً للعِراقَين وَالِيا
فقَدْ تَهبُ الجيشَ الذِي جَاء غازِياً   لسَـــائِلك الفـــرْدِ الـــذِي جَـــاء عَافِيا([128])

١٢٦- ديوانه ص ٥٤١

١٢٧- ديوانه ص ٤٨٢

فوصف نفسه بالإنسان الذي جاء راجلاً وهو يبحث عن المعروف ،فما أذل الإنسان عندما يأتي بهذة الصورة .

وفي قصيدة أخري يتخذ الأسلوب نفسه فيصف نفسه بالأنسان قليل الزاد منهوك القوي جاء يبحث عن الجاه يقول:

يارَجَاءَ العُيونِ فِي كلِّ أرْضٍ لمْ يَكُنْ غَيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائِي
ولقدْ أفَنتِ المَفَاوِزُ خَيلِي قبلَ أنْ نلتقِي وزَادِي ومَائِي
فأرْمِ بِي مَا أرَدتَ مِنِّي فَإنِّي أسدُ القلبِ آدمِي الرواءِ (١٢٩)

ثم يجعل من نفسه غلاماً لكافور يلعب بالقسي أمام داره كما يفعل الغلمان يقول :

أنَا اليومَ مِن غِلمانِه فِي عَشِيرةٍ لَنا وَالدٌ مِنه يُفَدّيه وَلْدُهَ
فَمِنْ مالِهِ مَالُ الكَبيرِ وَنفْسُهُ ومِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ ومَهْدُهُ
نَجُرّ القَنا الخَطِّي حَولَ قِبابِه وتَرْدَى بنا قُبُّ الرِّباطِ وجُرْدُهُ
ونَمْتَحِنَ النُّشَابَ فِي كُلِّ وابلٍ دَوِيُّ القِسِيّ الفَارِسِية رَعْدُهُ(١٣٠)

فهل كان أبو الطيب يحس هذا الإحساس أم أنه أسلوب فقط اتخذه لاستمالة كافور ليس أكثر؟.

وفي قصيدة أخري ، يرى نفسه ضعيفاً لايملك إلاّ أن يطلب من كافور أن ينتصر له من أعدائه وأن يبدل شقاءه نعمة يقول :

أبَاالمِسْكِ أرْجُو مِنكَ نَصْراً علَي العِدَى وآملُ عِزّاً يَخْضِبُ البِيضَ بِالدمِ

١٢٨- ديوانه ص ٤٤٤

١٢٩- ديوانه ص٤٤٧

١٣٠- ديوانه ص ٤٥٤، ٤٥٥

ويــَـومَاً يَغيــظُ الحَــاسِــدينَ وحَــالةً أُقيــمُ الشَّقا فِـــيها مَقـــام التنعمِ (١٣١)

أما في هجائه لكافور فقد استخدم أبو الطيب المتنبي أســلوب التصــغير وذلــك لتحقير المهجو والنيل منه ومن ذلك قوله فى هجاء كافور:

أخَذْتُ بِمَدحِه فَرأيتُ لَهْواً مَقَالِي (لِلأُحَيْمِقِ) يَاحَلِيمُ (١٣٢)

قد أكره علي كافور حتي قال للأحمق أنك حليم ، فصغر(الأحمق) ليقلل مــن شأنه.

ومنها قوله وقد صغر اسم كافور للنيل منه :

أوْلَــى اللِّئامِ كُوَيفِــيرٌ بِمَعْذِرةٍ فِي كُلِّ يَــومٍ وبَعْــضُ العُــذرِ تَفْنِيدُ(١٣٣)

ومعروف في اللغة أن من معاني التصغير (التحقير) وهو الذي يريــده أبــو الطيب في هذا البيت .

ثم أشار اليه في قصيدة أخرى بأنه (خادم) ثم صغَّر هذه الكلمة حتى يكون كافور خادماً مهيناً ذليلا يقول في ذلك:

ونَامَ(الخُوَيْدِمُ) عَنْ لَيــلِــنَا وقَدْ نامَ قَبلُ عَمَيً لا كَرَى(١٣٤)

كذلك من الأساليب التي اتبعها أبو الطيب في كافورياته وعضدياته أُسلوب التعريض : والتعريض هو التلميح والإشارة الخفية الي شخص أخر أما للنيل منه أو مدحه ومن ذلك قوله يمدح كافور ويعرض سيف الدولة:

فِرَاقٌ ومَن فَارَقْتُ غَيرَ مُذَمم وأمٌّ ومَــــــن يَممــــــتَ خَيرَمُيممِ(١٣٥)

١٣١- ديوانه ص ٤٦١

١٣٢- ديوانه ص٥٠٣

١٣٣- ديوانه ص٥٠٨

١٣٤- ديوانه ، ص ٥١١

١٣٥-ديوانه ،ص٤٥٩

فهو يشير في الشطر الأول إلى سيف الدولة وفي الشطر الثاني الي كافور .قال العكبري: "يعني سيف الدولة غير مذموم ، وهذا الفراق هو قصد لإنسان آخر هو خير مقصود ، يعني الأسود كافوراَ " ([136])

كذلك وقد أشار باسلوب الكناية الي المرأة والي الرجل في قوله :

رَحَلْتُ فَكَم بَاكٍ بِأجْفَانِ شَادِنٍ   عَلَيَّ وكَمْ باكٍ بِأجْفانِ ضَيْغَمِ

يقول العكبري : "فالباكي بأجفان شادن المرأة المليحة والباكي بأجفان الضيغم الرجل الشجاع الكريم "([137]) . قال أبو الفتح :" بأجفان ضيغم يريد سيف الدولة" ([138]). أما المرأة فقد ذكر محمود محمد شاكر أنها :خولة أخت سيف الدولة: " ولانشك بعد ما رأيت أنه عني بالباكيةالجازعة لفراقه خولة أخت سيف الدولة" ([139])

فهذة الإشارات والتلميحات اتخذها المتنبي أسلوباً له في هذه المرحلة من شعره . وفي هذة الميمية بصورة خاصة ومن ذلك تعريضه بسوء ظن سيف الدولة به يقول :

إذا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنونُه   وصَدّقَ مايَعْتَادَه مِن تَوَهُّمِ

وعادَى مُحِبيه بِقَولِ عُداتِه   وأصْبَحَ فَي لَيلٍ مِن الشَّكِّ مُظْلمِ

([140])

أراد بذلك لما ساء فعل سيف الدولة ساءت طنونه فيه وأصبح يصدق قول الأعداء وهو للكذب أقرب منه للصدق .

وقد تحول هذا الأسلوب الإشاري إلي غموض في بعض معانيه ومن ذلك قصيدته التي مدح بها كافوراً وذكر مقتل شبيب العقيلي والتي مطلعها :

١٣٦- التبيان ،١٣٤/٤

١٣٧- المصدر السابق والصفحة

١٣٨- نفسه ،١٣٥/٤

١٣٩- المتنبى ، محمود شاكر ،ص٣٥١

١٤٠- ديوانه ص٤٥٩و ٤٦٠

عَدُوّكَ مَذْمُـومٌ بِكـُلّ مَكَانِ   ولَـوْ كَـانَ مِـن أعْدَائِـكَ القَمـَرَانِ
وللهِ سِـرٌّ فِي عُلاكَ وإنَّـما   كَـلامُ العِـدَي ضَـرْبٌ مِـن الهَـذَيَانِ([١٤١])

فقد أغمض في هذه الأبيات حتي أنّ أبا الفتح بن جنى فسّر بعض أبيات القصيدة بالهجاء وليس المدح . فقد علق ابن جني علي البيتين بقوله : " هذا المدح ينعكس هجاءً" وفي الآخر : "يجوز فيه أن ينقلب هجاء " ([١٤٢])

وقد أشار معرِّضاً بكافور في قوله يرثي أبا شجاع فاتك :

أيَمُوتُ مِثْلَ أبِي شُجاعً فَاتكٍ   ويَعـيشُ حاسِـدُه الخَصِـيُّ الأوكعُ([١٤٣])

ويقصد (بحاسده الخصي الأوكع) كافوراً

أبْقـَيْتَ أكَذَبَ كَاذبِ أبَقَيـْتَه   وأخَذْتَ أصْدَقَ مَنْ يقُولُ ويَسْمَعُ
وتَرَكْتَ أنْتـَنَ رِيْحَةٍ مَذْمُومَةٍ   وسَلَبْتَ أطْيَـبَ رِيحَةٍ تَتَـضَوَّعُ

فقد أشار الي كافور بقوله (أكذب كاذب) ظناً منه أنّ كافوراً كان قد كذب عليه بوعده بالولاية ، أمّا في قوله (أصدق من يقول ويسمع) ويقصد به أبي شجاع فاتك ، ثم يشير إلى كافور بالرائحة النتنة وإلى فاتك بالرائحة الطيبة التي تتضوع .

وفي قصيدته التي مدح بها أبا شجاع عضد الدولة والتى مطلعها :

أوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا   لِمَنْ نَأتْ والبَدِيلُ ذِكْرَاهَا ([١٤٤])

١٤١-ديوانه ص٤٧٥

١٤٢- التبيان ٢٤٢/٤

١٤٣- ديوانه ص ٤٩٣

١٤٤- ديوانه ص ٥٣٧

أشار أبو الطيب معرِّضاً بالملوك التي زارها قبل عضد الدولة بقوله :

وقَدْ رَأيتُ المُلوكَ قَاطِبةً وسِرْتُ حَتّي رَأيتُ مَوْلاهَا
كُلَمَا أنْبَتَ الزَّمَانُ قناةً ركّبَ المَرْءُ فِي القَناةِ سِنَانَاً!([145])

والملوك ههنا يقصد بهم سيف الدولة وكافوراً وغيرهم من الأمراء الذين مرّ بهم في رحلة تجواله بالحواضر العربية ، حتّي أنّ سيف الدولة لمّا سمع قوله : (وقد رأيت الملوك قاطبة) قال : "أتراه أدخلنا في هذة الجملة "([146])

وفي قصيدته التي ودع بها أبا شجاع عضد الدولة ولم يقل بعدها شعراً ، أشار معرضاً بكافور في قوله :

ومَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الحَبِّ جُودَاً ويُنْصِبُ تَحتَ مانَثَرَ الشَّبَاكَا
ومنْ بلَغ الحَضِيضَ بِه كَرَاهُ وإنْ بَلغَتْ بِه الحَالُ السّكَاكَا([147])

فهو مثل صائد الطير يلغي لها الحب ليصيدها لا ليطعمها .

ومن الأساليب التي استخدمها أبو الطيب في كافورياته وعضدياته أسلوب الإستفهام والتعجب ومن أسلوبه التعجبي قوله في أول قصيدة مدح بها كافوراً :

. فأنّ دُموعَ العَينِ غُدْرٌ بِربِهَا إذا كُنّ إثرَ الغَادِرِينَ جَوارِيا([148])

فهو يتعجب علي هذه الدموع التي تغدر بصاحبها وهي تجري لمن يغدر بها .

وكذلك قوله متعجباً في القصيدة التي مطلعها :

أغالبُ فِيكَ الشّوقَ والشّوقُ أغْلبُ وأعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ والوَصْلُ أعْجَبُ([149])

١٤٥- ديوانه ص٤٧٤

١٤٦- الصبح المنبى ،ص١٦٠

١٤٧- ديوانه ص ٥٦٦

١٤٨- ديوانه ص٤٤٢

١٤٩- ديوانه ص ٤٦٦

وأسلوب التعجب ههنا أضاف معانٍ جميلة لهذا البيت ،فهو يقول :إنه يغالب الشوق ولكن الشوق يغلبه ،ويعجب من هجرها ولكن إذا وصلته فالوصل أعجب، لأنها عودته علي الهجر . هذه المعاني جعلت أبا الفتح بن جني صديق أبي الطيب وشارح ديوانه يقول :" يعزّ عليّ أن يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة" ([١٥٠])

ويتعجب أبو الطيب في قصيدة أخرى من هذا الإنسان الذي يستطيع أن يجاري الزمان في كل جديد يقول :

أمّا قصيدة الحمي فقد ملأها بهذا الأسلوب التعجبي فهو يتعجب من نقص القادرين علي التمام يقول :

فلَم ْأرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيَئاً كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَي ا لتَّمَامِ ! ([١٥١])

فهو شيء يثير العجب !.

وكان أكثر عجباً من أمر زائرته التي أعدّ لها كل شيء ولكنها فضلت جسمه علي هذه الفرش الوثيرة يقول :

وزَائـِرَتَي كـأنّ بِـها حَياءً فَلَيسَ تَزُورُ إلاّ فِـي الظّلامِ (٥)
بَذَلْتُ لَها المَطَارِفَ والحَشَايَا فَعَافَتْهَا وبَاتَتْ فِـي عِظَـامِي
يَضِيقُ الجِلْدُ عَنْ نفْسِي وعَنْهَا فَتُوسِـعُه بأنْـوَاعِ السِّـقَـامِ
كأنّ الصُّبْحَ يَطْرُدَهَا فَتَـجْرِى مَدَامِـعُها بِأرْبَعـةٍ سِـجَـامِ
ويَصْدُقُ وعْدُها والصِّدقُ شَرٌّ إذا ألقَاكَ فِي الكُـرَبِ العِـظَـامِ
أبنت الدهـر عندي كل بنـت فكيـف وصـلت أنـت مـن الزحام؟!([١٥٢])

١٥٠- الصبح المنبى ،ص١٠٠

١٥١- ديوانه ص٤٨٣

١٥٢- ديوانه ص٤٨٤

والصبح يطردها والليل يأتي بها ،فما أعجب هـذا الأمـر ولكـنْ أكثـر الأمورعجباً أنها تصدق في وعدها وأكثر الزائرات يكذبن فيه ، فإذا كانت هي بنت وللدهر بنات كُثُر فكيف استطاعت أنْ تزاحم كل هـذا الخلـق؟!. وفـي قصيدته التي مدح بها عضد الدولة ووصف فيها شعب بوّان، تعجب أبـو الطيب من أدغال هذا الشِّعب التي لو سار فيها سليمان – وقد علم منطـق كل شيء من الطير الجن وغيرها- لاحتاج إلي من يترجم له تلك الأصـوات يقول :

ملاعِبُ جِنَّةٍ لو سَارَ فِيها   سُليـمانُ لسَـارَ بِتُرجُـمانِ

(١٥٣)

ثم يتعجب من هذة الصورة :

لهَا ثَمَرٌ تُشِيرَ إليـكَ مِنه   بأشْـرِبـةٍ وَقَفـْنَ بِـلا أوانِ

وأمواهٌ تصِلٌّ بِها حَصَاها   صَليلَ الحُلَي فِي أيدِي الغَوَانِي

ثمار وأشربة تقدم إلى الانسان بلأ أوان وهذه الصورة تبدو جديدة علـي الشاعر حيث إن ه لم يسبق له أن شاهدها في المنطقة العربية ، كـذلك هـذه المياه التي تتدفق بصوت مثل صوت الحلي فـي أيـدي الغـواني، فهـي صورة تثير العجب ، ولكن كان علي أبي الطيب أن يشاهد مثل هذه الصور في مصر والنيل يجري فيها فهو أكثر مياها من مياه شعب بوّان ، ولكن يبدو أنَّ شاعرنا كان بمصر مشغولاً بأشياء أخرى .

وأسلوب التعجب دائماً ما يأتى عنده مصحوباً بالاستفهام في مثل قوله

لِمَنْ تَطْلُب الدُّنيا إذا لَمْ تُرِد بِها   سُرورَ مُحِبٍّ أو إسـاءةَ مُجْـرِمِ؟!

(١٥٤)

ومثله :

١٥٣- ديوانه ص٥٤١

١٥٤- ديوانه ص٤٦٢

كَيف لا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لسَيلٍ　　　ضَـــيّقٍ عـــنْ أتِيّـــهِ كـــلُّ وادِ؟!([155])

ومثله:

أمَا تَغْلَطُ الأيامُ فِيَّ بأنْ أرَى　　　بَغِيضاً تُنَـــائِي أوْ حَبِيبـــاً تُقَـــرِّبُ ؟!([156])

ومثله قوله:

بِمَ التَّعَلُلُ لا أهْلٌ ولا وَطَنُ　　　ولانَدِيمٌ ولا كَـــأسٌ ولا سَـــكَنُ ؟! ([157])

ومثله قوله:

أينَ الذِي الهَرَمَانِ مِن بُنْيَانِه　　　ماقَومُهُ مايَوْمُهُ مَـــا المَصَـــرَعُ؟! ([158])

فهو يتساءل متعجباً عن الذي بنى الهرمين وعن قومـــه وعـــن مصـــرعه ، فهذان الهرمان يثيران الدهشة والإعجاب.

ومن الاستفهام الذى صاحبه التعجب والحسرة قوله قوله يرثي فاتكاً :

يامَنْ يُبَـــدِلُ كُـــلَّ يومٍ حُـــلةً　　　أنَّي رَضِيتَ بِـــحُلَّةٍ لاتُنْزَعُ
مازِلْتَ تَخْلَعُها عَلَي مَن شَاءها　　　حَتَّى لَبِستَ اليومَ مـــالا تَخْلَـــعُ؟! ([159])

فقد كان بهياً رزيناً جميل الثياب كثيرها ، ولكنه رغم ذلك رضـــي بحلـــة لاتخلع وهي الكفن ،

155- ديوانه ص ٤٦٥

156- ديوانه ص ٤٦٦

157- ديوانه ص ٤٧١

158- ديوانه ص٤٩١

159- ديوانه ص٤٩٢

فقد اختار أبو الطيب هذا الأسلوب الحزين الذى ملأ به هذه القصيدة أسىً وحزناً.

ومن هذا الاستفهام الذى صاحبه التعجب، قوله في مطلع قصيدة يرثي بها فاتكا:

حتَّامَ نَحنُ نُسَارِي النَّجمَ فِي الظُلَمِ ؟ وما سُرَاهُ عَلَي خُفٍّ ولا قَدَمِ

ولايُحِسُّ بأجْفَانٍ يُحِسُ بِها فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ؟! ([160])

فهو يقول : حتي متى نسري مع النجم في الليل وهو لايسري علي خف كالإبل ولا علي قدم كالناس فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا فحتي متي سنظل هكذا ، فكأنه قد ملّ السير والترحال بعد أن جال في البلاد طولاً وعرضاً فلماذا حتي اليوم نظل راحلين ؟، وهو أمر يثير التساؤل والتعجب ، فلذلك قد استخدم فيه هذا الأسلوب

ويؤيد هذا قوله في قصيدة لاحقة متسائلاً :

أمَا فِي هَذِه الدُّنيا كَرِيمُ تزولُ به عنِ القَلْبِ الهُمومُ
أمَا فِي هَذِه الدُّنيا مَكَانٌ يُسَرّ بِأهْلِه الجَارُ المُقِيمُ؟!([161])

ومن التعجب المصحوب بالاستفهام قوله في قصيدته التي قالها عند خروجه من مصر في يوم عيد الأضحي :

ياسَاقِيِيَّ أخَمْرٌ فِي كُؤسِكُما؟ أمْ فِي كُؤسِكُمَا هَمٌّ وتَسْهِيدُ ؟
أصَخْرَةٌ أنَا مَالَي لاتُحَرِكنِي هَذِي المُدامُ ولاهَذِي الأغَارِيدُ؟! ([162])

---

[160]- ديوانه ص٤٩٥
[161]- ديوانه ص ٥٠٣
[162]- ديوانه ص٥٠٦

وهذا الأسلوب الاستفهامي التعجبي الذي مسح عليه شيء من الحسره والحزن جعل هذه الأبيات من أجمل وأروع ما قاله أبو الطيب بمصر ."وما أعرف أني وجدت في كل ما قرأت من الشعر العربي ما يشبهها جمالاً وروعة ، ونفاذاً الي القلب وتأثيراً في النفس " ([١٦٣])

وهذه الأساليب الرائعة التي استخدمها أبو الطيب المتنبي في كافورياته جعلت طه حسين يقول إنّ: " المتنبي مَدينٌ لِمصرْ بِكَثيرٍ مِن حِكْمَته ، لأنه لمْ يَعرُف الحياةَ الهادئةَ التي تملؤها الهمومُ الملحةُ كَما عَرَفها فِى مِصرْ "([١٦٤])

وأجمل ما جاء به من أسلوب تعجبي في قصيدته التي قالها يصف فيها انتصار عضد الدولة علي الأكراد وذلك في قوله :

ومأجدرَ الأيامَ والليالي ... بأنْ تقولَ مالَه ومالِي

فهو يتعجب مِنْ أنَّ الزمان كان يتظلم منه وأنه هو الذي يظلم الزمان، وهذه من الأشياء التي تثير العجب ، خاصة إذا علمنا أنَّ شاعرنا في مراحله السابقة كان أكثر الناس شكوى من الدهر.

١٦٣- مع المتنبى ، طه حسين،ص٣٣٣

١٦٤- مع المتنبي ،ص٣٣٦

الفصل الثالث

الصور الفنيَّة

الصورة هي " اللفظة التي تسجل وضعاً معيناً لشيءٍ سواء أكان كائناً حياً أم ظواهر طبيعية " ([١٦٥])

والصورة الفنية التي يعبر عنها باللغة تحتاج الى وسائل وأدوات وكذلك الصورة التي تصور علي الورق تحتاج أيضاً إلى أدوات ، والصورة التي تخصنا هنا هي الصورة التي يعبر عنها بالكلمة واللغة .

وأدوات الصورة الفنية اللغوية " تراكيب تحمل في طياتها الصور و في باطنها إيقاع ، ولأنها تجميع عناصر مختلفه في وضع متحرك موج نابض بالحياة احتاج الفنان أن شبه شيء بشيء ، أو يتجوز في المتفق عليه سنوياً، أو يضفي علي الصورة لوناً من الإيقاع الذي يبطن المعني ويبرزه مكتزاً بمشاعر متعددة " ([١٦٦])

فالصورة تعبر عن تجربه الشاعر الفنيه التي يرمز بها للواقع كما يتخيله ، وقد لاتسعفه الألفاظ في اللغة العادية ، فيرى نفسه مدفوعاً بثورة خياليه الى تشكيل علاقات لغويه خاصة يؤلفها بخياله المبدع ليبر عن رؤية خاصة به ([١٦٧])

والصورة هي مايستعمل للدلاله علي كل ماله صله بالتعبير الحسي ونطلقها أيضاً مرادفة للاستعمال الإستعاري للكلمات ([١٦٨])

١- والخيال والصورة يتلاقيان في المعني إلاّ أن للخيال تعريفه الخاص به ، فقد عرف الدكتور جابر عصفور بأنه : " القدرة علي تكوين صورة ذهنية لاشياء غابت عن متناول الحس ... فتعيد تشكيل المدركات ، وتبني منها

١- منير سلطان ،الصورة الفنية فى شعرالمتنبى (التشبيه) منشأة المعارف بالاسكندرية،٢٠٠٢م ص١٤٨

٢- المصدر السابق ص١٤٩

٣- إبراهيم أبو زيد ،الصورة الفنية فى صور دعبل الخزاعى ،دار المعارف ١٩٨٦م ص٢٤١

٤- المصدر السابق والصفحة

وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة تذيب التنـــافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة " ([169])

فالصورة إذن هي رسم بالكلمات يعبر عن رسم في ذهـــن الإنســـان ،رســـمه ببراعة ودقة، وهذه الصورة دائماً ماتعبر عن مفردات الطبيعـــة المختلفـــة ،مـــن صامتة ومتحركة من حيوان وجماد وشجر وغير ذلك .

وإذا كان الأمر كذلك فإنّه : "علي كل جيل من الشعراء أن يعيد اكتشاف الطبيعـــة الخاصة ... من جديد لأنها من الشعر حياته " ([170])

والشاعر دائماً ما يستجلب صوره من بيئته التي يعيشها وهو ابن هذه البيئة يؤثر فيها ويتأثر بها لذلك إذا ما وصفها فأنه يجيد هذه الأوصاف .

يقول ابن طباطبا العلوي : " وأعلم أنّ العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أطاحت به معرفتها ، وأدركه يانها ومرت به تجاربها ، وهم أهل وبر صحونهم البوادي ، وسقوفهم السما ، فلس تعدوا أوصافهم ما رأوه منهـــا " ([171])

أو قد يأتي الشاعر بصور مرسومه علي خياله وهي ليست من الواقع فـــي شيءٍ ، وقد يبدو فيها متأثراً بالأساطير والقصص التي تحكي ، مثـــل الصـــورة التي رسمها امرؤ القيس لرماحه التي شبهها بأنياب الأغوال في قوله :

أَيَقْتُلُنِي والمَشْرَفِيّ مُضَاجِعِي   ومَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنيَابِ أَغْوَالِ ([172])

لقد اهتم الشعراء العرب منذ قديم الزمان ، ولا سيما في العصـــر العباســـي بتوصيل أفكارهم ورسم صورهم ، وقد اهتموا بصورة خاصة بالتشبيه والإستعارة والكناية ، كما استخدموا أيضاً ألوان البديع من طباق وجناس ومقابلة وغيرذلك.

---

١ جابر عصفور ،الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى عند العرب ،دار التنوير ،ط٢ ١٩٨٣م ص١٣

٢- سلمى الجيوسى ،الاتجاهات والحركات فى الشعر الحديث،دراسات الوحدة العربية،ط١ ٢٠٠١م ص٧٤٣

٣- ابن طباطبا ،عيار الشعر ،ص٤٨

٤- ديوان امرئ القيس ،الموسوعة الشعرية ،٢٠٠١م

أول الصور الفنية التي اهتم بها شاعرنا هي (الخيل) فقد صورها صوراً مختلفة وذلك لأهميتها في حياة الناس وقتئذٍ ، فهي السريعة القوية الصلبة ، ثاقبة الرؤيا . ومن هذه الصور التي رسمها شاعرنا قوله :

وَجُرْداً مَدَدْنَا بَيْنَ آذانِها القَنَا   فَبِتْنَ خِفَافَاً يَتَّبعِنَ العَوالِيَا
تُماشِي بأيدٍ كُلَّمَا وافتِ الصّفَا   نَقَشْنَ به صدْرَ البُزَاةِ حَوافِيا
وتَنْظُرْمِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَي   يَرَينَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا
وتَنْصُبُ للْجَرْسِ الخَفِيّ سَوَامِعاً   يَخِلْنَ مُنَاجَاةِ الضَّمِيْرِ تَنَادِيَا
تجاذب فرسان الصباح أعنة   كأنّ على الأعناق منها أفاعيا[١٧٣]

فقد رسم شاعرنا هذه الصورة بكلمات رائعة فوصف هذه الخيل بأنها قليلة الشعر ، تمشي بأيد كلما علت صخراً تركت فيه أثراً مثل صدر البازى ، وهي حادة النظر تري الشخص البعيد كما هو قريب وتسمع الصوت الخفي ، بل حتي مناجاة الضمير تبدو لها كأنها مناداة . وقد اهتم كذلك في رسم صوره الفنية بالإبل وقد صورها بعبارات جميلة يقول :

لا أبْغَض العيسَ لكنّي وَقَيتُ بها   قَلْبِي مِن الحُزْنِ أوجِسمِي مِن السُّقمِ
طَرَدْتُ مِن مِصرْ أيْدِيهَا بِأرْجُلِها   حَتّي مَرَقْنَ بها مِنْ جَوْشَ والعَلَمِ
تُبْرِي لَهُنّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَة   تُعَارِضُ الجُدُلَ المُرخَاةَ بِاللُجُمِ
[١٧٤]

فقد صور هذه الإبل كأنها الخيل في سرعتها ثم وصفها في قصيدة أخري :-

وكُلُّ نَجَاةٍ بِجَاويةٍ   خَنُوفٍ ومَابي حُسن المِشَي
ولكِنهنّ حبالُ الحَياةِ   وكَيدُ العُداةِ ومَيطُ الأذَى
ضَرَبْتُ بِها التيهَ ضَربَ   القِمَارِ فإمّا لهَذا وإمّا لِذَا

١- ديوانه ص٤٤٣,٤٤٢

٢- ديوانه ص٤٩٥,٤٩٦

إذا فَــزَعَتْ قدّمتها الجيادُ   وبِيضُ السّيوفِ وسُمْرُ القَنا([175])

فهو يرسم لنا صورة هذه الناقة التي هي من نوق البجة ،ومعروف أنَّ إبــل البجــة من أكثر الإبل أصالة ، ثم صور نفسه وهو يقطع الصحراء وهو بين أمــرين إمّــا الهلاك أو النجاة فشبه ذلك بالإنسان الذى يلعب القمار، فلا خيار عنده، إمّا الربح أو الخسارة .

وقد رسم أبو الطيب صوراً رائعة في قصيدته التي صور فيها انتصار عضــد الدولة علي الكرد ومن هذه الصور ، صورة القتلي بعد انتهاء المعركة ، فقد صورهم بهذة الصور :

وقَتَــلَ الكُــرْدَ عَــنْ القِتَالِ   حَــتّي اتّقَتْ بالفَرِّ والإجْفَالِ
فهــالــكٌ وطائــعٌ وجــــالِ   واقْتَــنَصَ الفِرسَانَ بالعَــوَالِي
والعُتــُقِ المُحْــدَثةِ الصّقــالِ   سارَ لِصَيدِ الوَحشِ في الجبالِ
وفى رقاقِ الأرضِ والرمالِ   علي دماءِ الإنسِ والأوصالِ([176])

فمنهم من نجي بالفرار والإجفال ومنهم أهلكه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه الاستسلام لأمره ونازح في الأرض علي وجهه ، ثم توجه هذا الممدوح بعد أن أفني أعداءه إلى الجبال للسيطرة علي الوحوش ، حتي لايبقى قوياً علي الأرض يستعصي عليه ، وهي صورة جميلة رسمها لهؤلاء القوم وهم صرعى وهاربين وخاضعين ، وصورة القائد وهو يمسك بسيفه ثم يتجه إلي الجبل ، فخيال الشاعر هو الذي هداه إلى هذه الصورة الجميلة .

ثم يصف صورته وهو سائر الي الصيد ويطأ الدماء لكثرة القتلي وتطأ خيلُه ورجالُه ما سُفك من دم في ومعاركه ، ثم انظر الي هذة الصورة .

مُنْــفرِدَ المُهْــرِ عنِ الرّعَالِ   مــن عِظَمِ الهِمَةِ لا المَــلالِ
وشِــدَةِ الضّــنِّ لا الاستبدال   مايتــحركن ســوى انســلال

٣- ديوانه ص٥٠٩

١- ديوانه ص٥٦١

فهن يضربن علي التّصَهالِ		كُــلُّ عليــلٍ فــوَقَها مُخْــتَال
يُمْسِكُ فَــاه خَشيةِ السُّــعَالِ		مِنْ مَطلعِ الشّمس الي الزّوالِ([177])

كل خرج أمامه متفرداً ممتلئاً هِمة ، وهو يتفقد جيشه الذى اصطف لــه طائعــاً خاضعاً فلا تسمع للناس كلاماً منذ الصبح الباكر الي بعــد الظهيــرة ، بــل حتــي الخيول طائعة لا تصهل إكراماً وإجلالاً . يبدو أن الشاعر تأثر في هذه الصــورة بقوله تعالي " وخَشِعَتِ الأَصْوَاتُ لِلْرَّحْمَنِ فَلا تِسْمَعُ إلاَّ هَمْسَاً" ([178])

ثم يرسم صورة ثالثة لهذا الموضع (دشت الأرزن) وكثرة حيواناته،يقول :

بَيْنَ المُروجِ الفِيحِ والأغيالِ		مُجَاوِرِ الخِنــْزِيرِ للرّئبَــالِ
دانِي الخَنانيصِ من الأشبالِ		مُشترِفِ الدُّبّ على الغَزالِ
مجتمع الأضداد والأشــكال		كأنّ فَنَّــاخُسْرَ ذَا الأفْــضَالِ
خاف علــيها عَوَزَ الكَــمَالِ		فجاءَها بالــفِيــلِ والفَيــّالِ([179])

فهذه اللوحة التي رسمها وصورها أبو الطيب جعــل خلفيتهــا خضــراء وهــي المروج الفيح الواسعة كثيرة الأشجار ثم رسم مفرداتها، وهي هذه الحيوانات من أسد، وخنزير، وشبل ،وخنوص، ودب ، وغزال ،فما من جنس أو نوع مــن الحيــوان إلاَّ وهو موجود في هذه المروج ،فكأن عضد الدولة أراد لهذه البلاد أنْ تكــون محميّــة طبيعية فجاءها بكل شيء

ثم يصف الوعول ويصورها بهذه الصورة :

لسائر الجــسم مــن الخــبال		وأوفت الفدر من الأوعال
مرتــديات بقِــســيِّ الضّــَالِ		نواخس الأطراف للأكفالِ

٢- ديوانه ٥٦١

٣- سورة طه من الآية ١٠٨

١- ديوانه ص٥٦٢

يَكَـــتدْنَ يَنْـــفُذْنَ من الآطـــالِ لها لحىً سودٌ بلا سِـــبالِ
يَصلُحْنَ للإضْحَاكِ لا الإجلالِ كل أثيث نبـــتها متفالِ
....
لعـــدها مـــن شبكات المـــال بين قضاة السوء والأطفال(١٨٠)

رسم صورة للوعول وهى طويلة القرون حتى إن هذه القرون تلامس أعجازها ، وهى نحيلة الخصور ولها لِحْىٌ ولكن لا شوارب لها ، وشكلها يـــوحي بالضـــحك وشعرها خبيث الرائحة ، فهى لا تعرف المسك ولا الطيب وكل طيبها هو ما تتبولـــه على أوبارها وشعرها ، فهى تبدو كأنها قاض سوء ، تراه وهو ملتحٍ ويُـــرى فيـــه الوقار ولكنه في الحقيقة غير ذلك ٠

وهذه الأرجوزة التي قالها أبو الطيب بشيز ، كات محل إبداعٍ وفنٍّ ،فقد صـــوّر فيها الحياة الطبيعية في تلك البلاد ، بل وتغيرت طبيعة الشاعر نفسه في تلك الـــبلاد فازداد أفقاً في الخيال وسعة فيه وخصباً في إختيار مفردات الطبيعة ، حتى كاد هـــذا أنْ ينسيه ممدوحه الذى قال فيه هذه الأرجوزة ، وقد علّق طه حســـين علـــى هـــذه الأرجوزة بصورها المختلفة بقوله : " ما رأيت طبيعة الشـــاعر أخـــذت بحـــظٍ مـــن الخصب والغزارة أو السهولة والجزالة ، والإندفاع معاً ، كمـــا رأيتهـــا فـــي هـــذه الأرجوزة " (١٨١)

وقد رسم المتنبى صورة لكافور الإخشيدى في شعره ، صـــورة رجـــلٍ ضـــخم الرِّجْلين وتبدو عليها شقوق ،يقول وهو يرسم هذه الصورة :

١٨٠- ديوانه ص٥٦٣

١- المتنبى ، طه حسين ،ص٣٦٨

وتعجبنى رجلاك في النَّعل أننى　　　رأيتـــــك ذا نـــــعل إذا كــــــنت حـــافيا

وإنـــك لا تدرى ألونُــك أســودٌ　　　من الجَهلِ أم قد صَارَ أبيَضَ صَافيا

ويذكـــرنى تخييطُ كَعــبِكَ شَــقّه　　　ومشْيُكَ في ثوبٍ من الزّيتِ عَارِيــا (١٨٢)

ومما لا شك فيه أنَّ هذه الصورة تخيلها أبو الطيب تخيلاً وذلك لأن كافوراً كـــان ملك البلاد ولا يعقل أن يمشى الملك حافياً حتى يراه الناس ٠

ورسم له صورة أخرى وهى صورة رجل يمسك بالموسى والمحجم ليحجم النـــاس بقوله :

من أيةِ الطّرُقِ يأتى مثلك الكرمُ　　　أينَ المحَاجِمُ يا كافورُ والجَلَمُ (١٨٣)

ثم رسم له صورة أخرى وهى صورة غراب و حوله الرخم والبوم وغيرهـــا مـــن بغاث الطيور:

كأن الأسود اللابِى فيهم　　　غرابٌ حولَه رَخمٌ وبُوم ُ(١٨٤)

ثم هذه الصورة التي رسمها لمصر وأهلها وهى صورة لأناس يكذبون الضـــيف ولا يجودون عليه إلا بالكلام ، وأنَّ إمام الناس أصبح رجلاً خصيَّاً أمّا الأحرار فهم عبيد ،وقد نام الحراس وتركوا الثعالب تأكل كل شئ يقول :

إنّـــى نزلتُ بكذابـــينَ ضَيَفــَهُم　　　عنِ القِرَى وعنِ التّرْحالِ مَحْدُودُ

جودُ الرّجالِ من الأيدي وجودُهم　　　منَ اللسانِ فَلا كَانوا ولا الجُــودُ

صارَ الخَصِيُّ إمَامَ الآبقين بـــها　　　فالحُــرُّ مُسْتعبَدٌ والعَبــْدُ معــبودُ

نامتْ نَوَاطِيرُ مِصْرَ عن ثعالبِها　　　فقــدْ بَشِمْنَ وما تفـــــنى العناقيــدُ (١٨٥)

٢- ديوانه ص٥٠٠

٣- ديوانه ص٥٠٢

٤- ديوانه ص٥٠٣

ثم رسم صورة أخرى لكافور بأنه غليظ الشفة ، وضخم الجثة وشديد السواد كأنه حيوان وحيد القرن :

وأســـودٌ مشــفَرُه نصفُـــه   يُقال له أنـــت بدرُ الدّجى
وشعرٍ مدحتُ به الكَرْكَدَنّ   بَينَ القَريضِ وبَين الرُّقى ([186])

ثم هذه الصورة الرائعة التي رسمها في وداع عضد الدولة يقول :

أرَوحُ وقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤادِي   بحُــبِكَ أنْ يَــحلَّ بِــه سِــواكَا
وقَــدْ حَمّلتنِي شُكــراً طَويلاً   ثَقِيــلاً لا أُطيــقَ بِــه حَــرَاكَا
أُحاذرُ أنْ يَشُقّ عَلَــى المَطَايا   فَلا تَــمْشِي بِــنا إلاّ سِــــواكا
أرَى أسَفِي ومَا سِــرْنا شَدِيداً   فَكَيــفَ إذا غَدا السَّيرُ ابْتِــرَاكَا
إذا التَــوديعُ أعرضَ قال قلبِي   عَليكَ الصَّمْت لا صَاحبتَ فَاكا([187])

هذا التجسيد لهذه الصورة يجعلنا نرى هذه الصورة ، صورة إنسان ورواحله وقد ثقل عليها الحمل وهو يلوح بيده للتوديع ولا يستطيع الكلام ٠ وقد أراد الله أن تكـــون هذه الصورة آخر ما رسمه أبو الطيب المتنبى من خلال مسيرة حياته الطويلة ٠

عناصر صوره :

١-ديوانه ص ٥- ٧

٢- ديوانه ص ٥١٢

١٨٧-ديوانه ص٥٦٦,٥٦٧

أ- **التشبيه :**

التشبيه: " صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أوْ جهات كثيــرة لا مـــن جميع جهاته " ([١٨٨]) والتشبيه قبيح وحسن ، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً ([١٨٩])

يبذل الشاعر من جهده الفني قدراً عظيماً لتحقيق العلاقة بين عناصر الواقع والفن ، فقد تكون هذه العلاقة خافية غير مرئية فيتوسل الشاعر بالتشبيه لإخراج هذه الخفايا ، فيرى الشاعر بحسه الفنى أبعد ما يرى وأدق ما يلحظ مستنداً على قدرته في إدراك المتشابهات ومعرفة أوجه الإتفاق بين الأمور ٠

وقد اعتمد الشعراء منذ الجاهلية على رسم صورهم عبـــر المعطيـــات البيانبيـــة المختلفة من تشبيه وإستعارة وكناية ، والتشبيه من ألطف وسائل البيان التي إشـــترك في إظهار الواقع والخيال ٠

وقد رسم شاعرنا صوراً بيانية عالية كان التشبيه أساسها ومن ذلك تشبيه كـــافور بالبحر في قوله :

ولكنّ بالفِسطَاطِ بَحراً أزرته   حَياتى ونُصحِي والهَوى والقَوافيا ([١٩٠])

والتشبيه بالبحر كثير في كافوريات المتنبى وعضدياته والجامع بين البحر و الممدوح هو السعة والكرم ومن ذلك تشبيه كافور بالبحر وسيف الدولة وغيره بالسواقى :

قواصِدَ كافورٍ توَارِك غيرِه   ومن قصدَ البَحْرَ استغلَّ السّواقيا([١٩١])

ب -**الاستعارة :**

١- العمدة ٢٨٦/١

٢-المصدر السابق والصفحة

٣-ديوانه ، ص ٤٤٢

٤ -ديوانه ٤٤٢

عرَّفها القاضى الجرحانى بأنها :" ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في إحداها أعراض من الآخر ([١٩٢])

والاستعارة صورة من صور التشبيه لكنها على درجة عالية من النضج وإن كان التشبيه هو الأصل والاستعارة فرعاً له ٠

وقد تؤدى الاستعارة من المعانى وتترك أثراً في النفس أكثر مما يفعله التشبيه ونضرب مثلاً واحداً لهذه الاستعارة في قصيدة الحمّى إذ يقول فيها :

وزائــرتى كأن بــها حــياءً   فليــس تزور إلا فــي الظلام
بذلتُ لها المَطارفَ والحشَايا   فعَــافتْها وباتتْ فــي عِظامى
يضيقُ الجِلدُ عنْ نَفسِى وعنْها   فتــوسعــه بأنواعِ السـقــامِ
إذا مــا فارقتنى غسّـَلتنِــى   كأنا عاكــفانِ علــى حَــرامِ
كأنّ الصبحَ يطْرُدَها فتجــْرى   مدامعــُها بأربعــةٍ سِجــــامِ
أراقب وقتها من غيتر شوق   مراقــبةَ المشــوقِ المــستهامِ
ويصدُقُ وعدُها والصدقُ شَرٌّ   إذا ألقاكَ فــي الكُرَبِ العِــظامِ
أبنت الدَّهرِ عندى كُلّ بنــتٍ   فكيف وصلتِ أنتِ من الزحامِ ([١٩٣])

فقد شبه الشاعر الحمى بفتاة ثم حذف المشبه وهو الحمى على سبيل الإستعارة التصريحية وحتى تكتمل الصورة ، فقد بذل لها المطارف والحشايا ولكنها رفضتها ، ليأتى لنا بالقرينة وهى أنها باتت في عظامه والفتاة لا تنام في عظام المحبوب ، ثم استطرد في القرائن، يضيق الجلد عنى وعنها فتوسعه بالسقام هذه الحمى التي أصابته

١-الوساطة ص ٤١

٢- ديوانه ص٤٨٤

حقيقة من الممكن أن تخرج ٠٠٠ إلى الحمى النفسية من خلال حالتــه البيئــة التــي عاشها مع كافور " ([١٩٤])

والإستعارة كثيرة في كافوريات المتنبى وعضدياته لذلك نكتفى بما ذكرنا .

ج- التشخيص

والتشخيص هو " تصور أن الحيوان أو الظواهر الطبيعية شخصاً يشارك الإنسان مشكلاته ويحس به ويتحرك معه فيطرح الشاعر عليها الصفات الانسانية مــن كــلام وفرح وحزن ورضى وغضب ٠٠٠ " ([١٩٥])

والتشخيص من الموضوعات القديمة قدم الإنسانية وقد وردت أمثلة له في القــرآن الكريم في قوله تعالى " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَــبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ "([١٩٦]) وإن كانت الآية تشير إلى معجزة سليمان عليه السلام في مخاطبــة الحيوانات ٠

وقد ورد التشخيص أيضاً في أحاديث الرسول (ص) في مثل قوله " وهذا أُحُدٌ وهو جبلٌ نُحبُّه ويحبّنا " ([١٩٧]) وقوله (صلى الله عليه وسلم) لصحابته في أمر الناقة : " دعوها فإنها مأمورة " ([١٩٨])

والجديد في التشخيص هو استخدامه في العمل الفنى وفى الشعر بصورة خاصة ، وقد استغل شاعرنا هذه الظاهرة الفنية في كافورياته وعضدياته ومن ذلك قولــه فــي مطلع قصيدة مدح بها كافوراً :

أزورهم وسوادُ الليلِ يشفعُ   وانثنى وبياضُ الصبحِ يُغــرِى بــى ([١٩٩])

٣-منير سلطان الصورة في شعر المتنبى (المجاز) مشأة المعارف بالاسكندرية ٢٠٠٢م ص ١٣٠

١-المصدر ص ٢٨٨

٢ سورة النمل الاية ٢٠

٣- الإمام مسلم ،صحيح مسلم،دار الديان للتراث،ط١ ،١٩٨٧، ١٦٢/٩

٤- البيهقى، دلائل النبوة ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، ١٤١٨هـ ، ص ٢٢٨

٥-ديوانه ص ٤٤٨

فقد جعل الشاعر من سواد الليل شافعاً وكذلك من بياض الصبح مغرياً به ٠ فكأن هناك شخصين أسود اللون وهو يشفع له والآخر أبيض اللون وهو يغرى به وهذه الصورة لا يستطيعها إلا شاعر قدير مثل أبى الطيب المتنبى ، وفى قصيدة أخرى مدح بها كافوراً يقول فيها :

وتعْذِلُنِى فِيكَ القَوافِى وهِمّتِى   كأنى بمدحٍ قَبلَ مدْحِكَ مُذْنِبُ([200])

فجعل من القوافى وهمته إنساناً يلومه على مدح من مدحهم قبل كافور ٠

وهذا البيت من الأبيات التي وقف عندها القدامى وقالوا إنَّ فيها هجاء لكافور قال الواحدى :

" المصراع الأول هجاء صريح " ([201]) ٠

والأمر كما هو بادٍ ليس فيه هجاء وإنما استخدام فنية عالية جعل بها الهمة والقوافى أناساً يخاطبونه ويلومونه ٠

وقد استخدم أبو الطيب التشخيص أيضاً عند مدحه لأبى شجاع فاتك في قوله :

قال الزمانُ له قولاً فأفهمه   إنّ الزمان على الإمساك عَزّالُ

تدرى القناةُ إذا اهتزتْ براحِته   أنّ الشّقِىَّ بها خيلٌ وأبطالُ ([202])

فالزمان إنسان يتكلم ويفهم في القول والقناة تدرى وتعلم ٠ ولكن في حقيقة الأمر لا يتكلم والقناة لا تدرى وهذا كله من باب المجاز الذى استخدمه أبو الطيب في ايضاح صوره الفنية ٠

وقال يمدح عضد الدولة :

ودارتِ النِّيرَانُ فِيْ فَلَكٍ   تَسْجُدُ أقمارُها لأبْهَاها ([203])

---

٦ -ديوانه ، ص ٤٧٠

٢٠١-التبيان ، ١٨٧/١

٢٠٢-ديوانه ص ٤٨٧

٢٠٣-ديوانه ، ص ٥٤٠

فالأقمار تسجد له ٠

وفى وصف شعب بوان يقول :

يقولُ بِشِعبِ بَوّانَ حِصانِي أعَنْ هذا يُسَارُ الى الطّعَان([٢٠٤])

فالحصان يتكلم ويخاطب صاحبه كيف لنا أنْ نخرج من هذا النعيم لنذهب ثانية الى الحرب والطعان والمعارك ٠

والشعراء من قبل لم يذكروا أنَّ جيادهم تتكلم صراحة مثلما فعل المتنبى ، فعنترة كان يقول أن حصانه قد شكى إليه ولكن ليس بالكلام ، واستبعد معرفة حصانه الكلام :

فازْوَرَّ من وقع القنا بلبانهِ وشَكى إلىَّ بِعَبْرةٍ وتَحَمحُمِ

ولوكانَ يدرى ما المحاورةُ اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى ([٢٠٥])

د- **الكناية والتعريض :**

والكناية هى " أن يكنى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرح " ([٢٠٦]) وهى في كل نوع من الكلام لمحه دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ([٢٠٧])

والكناية من الفنون الجميلة التي تمس حياة الناس وأذواقهم وتطورهم الثقافي والاجتماعي ، وهى تحتاج إلى حسٍّ لغويٍّ مرهف ذكي ، يختار المعنى ثم يخفيه

---

٢٠٤ -ديوانه ص٥٤٢

٢٠٥- ديوان عنترة بن شداد،الموسوعة الشعرية،٢٠٠١م

٢٠٦-كتاب الصناعتين ، ص ٤٠٧

٢٠٧-العمدة ٣٠٢/١

مشيراً إليه بأحد المعاني المنبثقة منه ، المترتبة عليه ، اللازمة له لزوماً منطقياً او عرفياً او ابتكارياً من صنع الفنان نفسه ([٢٠٨])

وقد وردت الكناية في القرآن الكريم في قوله تعالى " أو جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِن الغَائطِ أوْ لامَسْتُم النِّسَاءَ " ([٢٠٩])فالغائط كناية عن قضاء الحاجة وملامسة النساء كناية عن الجماع([٢١٠]) ٠

والكناية هى الفن الوحيد الذى يستبدل أثره ، فيكون مدحاً في مرحلة إجتماعية أو ثقافية أو حضارية ، ثم يكون هو قدحاً في مرحلة إجتماعية أو ثقافية أو حضارية للمجتمع نفسه أو العكس ([٢١١]) ٠

والكناية كثيرة في كافوريات المتنبى وعضدياته ومن أمثلة ذلك قوله في عضد الدولة ويشير إلى فتاة ممتعة :

فِيهِم مَن تَقْطُر السّيوف دماً   اذا لسانُ المحبِ سمّاها ([٢١٢])

فالكناية هنا عن المتعة والجمال المدمر ٠

وقوله في كافور

كأنّ كلّ سؤالٍ فى مسامعِه   قميصُ يوسفَ في أجفان يعقوبِ ([٢١٣])

وفى كناية عن نتانة ريح كافور يقول : -

ما يقبضُ الموتُ نفساً من نفوسِهم   إلاّ وفى يده من نتنها عودُ ([٢١٤])

وكناية عن السخرية يقول : -

٢٠٨-منير سلطان ، الصورة الفنية في شعرالمتنبى (الكناية والتعريض) منشأة االمعارف ٢٠٠٢م ص ١٠١

٢٠٩-سورة النساء الاية ٤٣

٢١٠-الصناعتين ، ص ٤٠٧

٢١١-الصورة الفنية في شعر المتنبى (الكناية) ص١٠١

٢١٢-ديوانه ص ٥٣٨

٢١٣-ديوانه ص ٤٥١

٢١٤- ديوانه ص٥٠٧

ما زِلْتُ أُضحِكُ إبلِى كُلما نَظَرتْ إلى مَن اختضبتْ اخْفَاقُهــا بِــدمِ ([215])

وفى إشارة إلى سعة شعب بوّان يقول :

ملاعبُ جنةٍ لو سارَ فــيها سليمانُ لســارَ بــترجمانِ ([216])

٣- ديوانه ص٤٩٧

٤- ديوانه ص٥٤١

الفصل الرابع

بنية القصيدة

القصيدة مصطلح أدبى لمجموعة من أبيات الشعر وضعت بترتيب معين وفق أسس ونظم محددة ، من أوزان وقواف وغير ذلك ، والقصيدة والمقطوعة والأرجوزة كلها بمعان متقاربة ولكن لكل واحدة معناها الخاص بها في اصطلاح الأدباء والنقاد٠

" فاذا بلغت الأبيات سبعة فهى قصيدة ٠٠ ومن الناس من لا يعد القصيدة إلاّ ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد (٢١٧)

والرجز أوزان قصيرة " وهو ثلاثة أنواع مشطور ومنهوك ومقطع ٠٠ وليس يمتنع ٠٠ أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة (٢١٨)

أما المقطوعة فهى دون السبعة أبيات ٠ وطول القصيدة أو قصرها عند كثير من الشعراء ليس لضعف أو كلال وإنما لمعنى يقصدونه فالقصيدة الطويلة تؤدى معان محددة والقصيدة كذلك تؤدى معان محددة وقد يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته الى الطوال ، بل هو عند بعض المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح ، أحوج اليها منه الى الطوال " (٢١٩)

وقد سئل عبد الله بن الزبعرى : " إنك تقصر في أشعارك فقال : لأن القصار أولج فى المسامع وأجول في المحافل " (٢٢٠)

" وقيل للجمّاز : لم لا تطيل الشعر : فقال لحذقى الفصول "(٢٢١) والشعر عند بدايته كان قطعاً ثم تطور كله وقد أشار ابن رشيق الى مثل هذا الكلام : " وزعم الرواة أن

١- العمدة ١٨٨/١,١٨٩

٢- المصدر السابق ١٨٣/١,١٨٤

٣- المصدر نفسه ١٨٦/١

٤- نفسه ١٨٧/١

٥- نفسه والصفحة

الشعر كله كان رجزاً وقطعاً وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد منـــاف ، وكـــان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس " ([٢٢٢]) .

" والشاعر إذا قطّع وقصّد ورجز فهو الكامل "([٢٢٣]) وأبو الطيب المتنبـــي كـــان كذلك ففى كافورياته وعضدياته قطع ورجز وقصائد ، القصائد عنده كثيرة ، ولكنـــه قلل من الرجز والقطع ، ففي كافوريا ته ثمان قطع وليس فيما أرجوزة واحدة ، أمـــا في عضدياته فهناك قطعة واحدة وأرجوزتان.

أولاً - **مطـــلع القصيـــدة :**

مطلع القصيدة من الأمور التي اهتم بها النقاد قديماً وحديثاً حيث مطلـــع القصـــيدة يمثل مدخلاً يدخل به الشاعر إلى أركان قصيدته فحسن المدخل يجعل القارئ أكثـــر شراهة في التهام القصيدة والَانشراح لها وذلك لأنه : " أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أوّل وهلة "([٢٢٤]) " وحسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجـــاح "([٢٢٥]) .

" والابتداء أول ما يقع في السمع من القصيدة ، والدال على ما بعده ، والمتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغرة " ([٢٢٦])

وقد دعا ابن الأثير إلى أن يكون مطلع القصيدة جارياً مع موضوعها " وحقيقـــة هذاالنوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر .. دالاً على المعنى المقصود منـــه هـــذا الكلام "([٢٢٧]) .

٦- نفسه ١٨٩/١

١- العمدة ١٨٩/١

٢- السابق ٢١٨/١

٣- السابق ٢١٧/١

٤- عبدالله الحامد ،الشعر الإسلامى فى صدر الإسلام،مطابع الإشعاع التجارية الرياض ،ص١٨٦

٥- ابن الأثير ،المثل السائر ٩٦/٣

وبنظرة إلى الشعر العربى منذ الجاهلية نجد أن الشعراء كانوا قد اهتموا بمطـــالع قصائدهم بل أصبح عندهم إرث متبع لا يتجاوزه إلاّ القليل النادر منهم ومن ذلك أنهم كانوا يفتتحون قصائدهم بالوقوف على الأطلال والبكاء عليها مثل قول امرئ القيس :

قِفَا نَبَكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسَـــقْطِ اللّـــوى بَـــينَ الـــدَّخُولِ فَحَوْمَلِ([228])

أو كانوا يفتتحون قصائدهم بذكر الخمر وهذا قليل مثل قول عمرو بن كلثوم فـــي افتتاح معلقته :

ألاَ هُبِّى بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبقِى خُمورَ الأنْدَرِينَا ([229])

و كانوا يتعزلون في مطالعهم مثل قول الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعَاً أيّهـــا الرَّجُـــلُ؟ ([230])

وقد استمر الأمر هكذا إلى العصر الاموى ·

أما في العصر العباسى فقد ظهر عندهم ما يسمى ببراعـــة الاســـتهلال " فجعلـــوا المطلع دالاً على القصد من أول الأمر " ([231]) مثل قول أبى تمام :

السَّيفُ أصْدَقُ إنْبَاءً مَن الكُتُبِ فِى حَدِه الحَدُّ بَينَ الجدِّ واللِعَبِ([232])

وإذا نظرنا إلى قصائد الكافوريات والعضديات في شعر المتنبى، فنجـــد مطالعهـــا تتحصر في الوقوف على الأطلال والبكاء عليها ،ووصف المرأة الأعرابية والتغـــزل بها ،ووصف الطبيعة ومفرداتها ،وبكاء الشيب ومقدمات فكرية تأملية والشكوى مـــن الزمان ، والحكمة.

٦- ديوان امرئ القيس ،المكتبة الثقافية بيروت ،ط٧، ١٩٨٢م،ص١٤٣

٧- التبريزي ،شرح القصائد العشر،دار الكتب العلميةبيروت،د،ط،١٩٩٧م،ص٢٥٤

١- ديوان الأعشى ،ص٥٥

٢- خفاجة ،الأدب العربى فى العصرين الأموى والعباسى،دار الجيل بيروت ،١٩٩٠م ٢/ ١١٠

٣- إيليا حاوى،أبوتمام فنه ونفسيته،دار الثقافة بيروت ،ط١ ١٩٨٩،ص١٠٤

أ- **الوقوف على الأطلال :**

المقدمة الطللية من أكثر المقدمات دوراناً على الشعر العربي منذ الجاهلية ولكنها من شعر الكافوريات والعضديات قليلة بل لا نكاد نجد غير قصيدة واحدة فقط بدأت بهذه المقدمة الطللية وهي قوله:

إثْلِثْ فإنّا أيّــها الطـــَلَــلُ   نَبْكِي وتَرْزُمُ تَحْــتَنا الإبِلُ
أوْلا فَلا عَتَبٌ عَلَى طَلَــلٍ   إنّ الطُــلولَ لِمِثلِها فُــعلُ
لوْ كُنتَ تَنْطِقُ كُنتَ مُعتذراً   بِي غَيرَ مَا بِك أيّها الرَّجُلُ
أبْكَاكَ أنّكَ بَعضُ مَن شَغلوا   لمْ أبْكِ أنّي بَعضُ مَن قَتلوا (٢٣٣)

يقصد أن يقول لطلله " كن ثالثاً لى ولإبلى : حتى نتجاذب البكاء على رحيل الأحباب ، ثم أعذرك لأنَّ الطلول لا تبكى ، ثم يقول إنَّ الطلل أكثر حزناً من الشاعر لأنَّ الشاعر مشغوف أبكاه الفراق أما الطلل فهو قتيل والقتيل لا يستطيع البكاء ٠

وقد ذكر النقاد القدامى أنَّ الأبيات من المطالع المستقبحة ، يقول الثعالبى " ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله :

إثلث فإنّا أيّــها الطـــللُ   نَبكِي وترزم تحتنا الإبلُ" (٢٣٤)

والشطر الأول من البيت فيه ما يستنكره ومعناه واضح بل إن الذين سبقوا المتنبى جاءوا بهذا المعنى ومنهم البحترى في قوله :

اطْلُــبْ ثالثاً سِواىَ فإنّــى   رابعُ العِيسِ والدُّجَى والبِيدِ (٢٣٥)

ولكن يبدو أن الثعالبى استكره الصوت الذى تركه حرف الراء في قوله " ترزم تحتنا الإبل " خاصة أن الثعالبى قد جعل عجز البيت بين قوسين، وهذه الوقفة التي وقفها الثعالبى مع هذا المطلع كأنه أراد بها أن يقول لأبى الطيب إنك لم توفق في هذه التجربة الوحيدة في كافورياتك وعضدياتك ٠

٤- ديوانه ص٥٤٦

١- يتيمة الدهر،١٨٣/١

٢- ديوان البحترى ،الموسوعة الشعرية ،٢٠٠١م

ب- مقدمة وصف المرأة الأعرابية:

لأبى الطيب مقدمات غزلية يصف بها المرأة " وهو غزل تحليلي أكثر منه غزل لهو أو عبث أوتقليد للسابقين"[٢٣٦] فهو دائما ما يحدث عن النساء وعن خبرته بأحوالهم ومن ذلك قصيدته التي افتتحها بذكر الأعرابيات وتفضيلهم على سائر النساء يقول :

من الجَآذر في ذي الأعَاريـــبِ حُمْرُ الحُلَى والمطايا والجلاليبِ
إن كُنتَ تسألُ شكاً في مَعَارِفها فمَـــنْ بَلاكَ بِتَسهِــيدِ وتعــذيبِ
لا تجزنى بِضنّى بى بعدها بقرٌ تجرى دُموعِى مَسَـــكوباً بمســـكوبِ ([٢٣٧])

يتساءل أبو الطيب عن هذه النساء اللاتى يشبهن البقر الوحشية وهى تتزيـــا بـــزى الأعاريب ، ثم يخاطب نفسه إن كنت لا تعرفهن فهن اللائى عذبنك وأرقنك ، ويدعو الله الا يعذبها مثلما عذبه ٠

ثم يسترسل الشاعر في مزيد من الكلام عن الأعرابيات ويفضـــلهن علـــى نســـاء الحضر ، ذلك لأن الأعرابيات لا يعرفن الخداع والتمويه يقول

قَدْ وافَقُوا الوَحْشَ في سكْنَى مراتِعِها وخَالــفُوها بتِقِــوْيضٍ وتَطْنْــيبِ
فُؤادُ كُــلِّ مُحــبٍّ فــــي بيوتِهِــمُ ومالُ كُــلِّ أَخــيذِ المَالِ مَحْرُوبِ
ما أوجُه الحَضــَرِ المستحسنات بِــه كأوجُـــهِ الــبدوياتِ الرعابــيبِ
حُســْنُ الحَضَارةِ مَجْــلُوبٌ بتطريةٍ وفى البَداوةِ حُسنٌ غَــير مَجلوبِ
أفــدى ظباءً فَلاةٍ ما عَــرَفْنَ بِــه مَضْغَ الكَلامِ ولا صَبَغَ الحَواجِيبِ
ولا بَــرَزْنَ مـــن الحَمَّـــامِ مائـــلةً أوْرَاكهنَّ صـــقيلاتُ العراقــيبِ
ومِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيستَ مُموهـــةً تركتُ لونَ مَشِيبِى غيرَ مَخْضُوبِ
ومِنْ هَوى الصِّدقِ في قَولِى وعادته رَغِبتُ عنْ شَعَرٍ في الوجْهِ مَكْذُوبِ

٣- سعد اسماعيل ،مقدمة القصيدة عند أبى تمام والمتنبى،مكتبة غريب بالفجالة ،ص١١٥

٤- ديوانه ص٤٤٨

وقد علق الثعالبى على هذه الأبيات بقوله : " ناهيك بهذه الأبيـات جزالـة وحـلاوة وحسن معادن (٢٣٨)

فلما كان أبو الطيب المتنبى عربياً قحاً بدوياً يحب البادية فكان مـن الطبيعـى أن يتغنى بنساء البادية اللاتى لا يعرفن مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب ولا التمويـه ، فإذا كانت النساء مثلهن فهو إذن لا يصبغ شيبه لأجلهن ليبـادلهن صـدقاً بصـدق . وكأنه في هذه الأبيات يعرِّض بنساء مصر حيث المدنية والحضارة والتمويه والخداع

وقد افتتح شاعرنا قصيدة أخرى من كافورياته بالغزل وهى قوله :

أودُ مـن الأيـامِ مـَا لاتَودُه وأشْكُو إليها بَيْنَنَا وهى جُنْدُه
يُبَاعِدْنَ حِباً يَجتَمِعْنَ وَوَصلُه فكيف بِحِبٍّ يَجتمِعنَ وصَدُّه
أبَى خُلقُ الدّنيا حَبيبَاً تُديمـَه فَما طَلَبِى منها حبيباً تَرُدُه(٢٣٩)

أحب من الأيام أن تجمع بيننا وأشكوا إليها هذا البيت ولكنها لا تحب الأيام كل هذا ، فإذا كانت الأيام تباعد الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب القاطع الهاجر لنا ، فإذا كانت الأيام لا تديم مواصلة الحبيب فكيف ترد من كان غائباً عنا .

ثم يصف أبو الطيب النوق التي تحمل محبوبته ، وقد رحلت عنهم فمـا بقـى إلا الطيب الذى تركته :

رعى اللهُ عِيساً فَارَقَتْنَا وفَوقَها مَهَاً كُلّها يُولى بجَفْنَيه خَـدُّه
بـوادٍ بـه ما بِالقُـلوبِ كأنَّه وقَدْ رَحلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْـدُه
إذا سَارَتِ الأحْدَاجُ فَوقَ نَبَاتِه تَفاوَحَ مِسكُ الغانياتِ وَرَنْدُه(٢٤٠)

١-يتيمة الدهر ٢٢٠/١

٢- ديوانه ص٤٥٣

١- ديوانه ص٤٥٣

أصبح مستوحشاً مثل الجيد الذى تناثر عنه العقد ٠ والقصيدة الأخيرة التي تغزل في مطلعها أبو الطيب هى قصيدته التي مدح بها عضد الدولة بن بويه والتى مطلعها :

أَوْهِ بَديلٌ مِنْ قَوَلَتِى واهَا　　　لِمَنْ نأتْ والبَديلُ ذِكْرَاهَا

أَوْهِ لِمَن لا أرى مَحَاسِنَها　　　وأصْلُ وَاهَا وأوْهِ مرآها (٢٤١)

فهو يتأوه بدلاً من أن يتعجب وذلك لنأى محبوبته عنه ٠ وللنقاد رأى في هذا الإفتتاح ، " فهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك (٢٤٢) ٠

وهذا المطلع ليس فيه ما يعيبه من ناحية المعنى ، فمعناها واضح وهو :" التألم لهجرها أولى بى من التعجب لحسنها ، فصرت أتألم لنأيها فصار التألم بدلاً من التعجب " (٢٤٣)

وربما تكون وقفتهم عنده من ناحية الجرس الصوتى لهذه الحروف حيث تكررت الهاء والواو والألف ، وربما أحدث هذا التكرار مَجّاً على السمع فقالوا بهذا الرأى ٠

ج- مقدمة وصف الطبيعة وعناصرها

وهذه المقدمة وجدت في قصيدتين كليهما في مدح عضد الدولة الأولى هى :

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيباً في المَغَانى　　　بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

ولكنَّ الفتَى العَرَبى فِيها　　　غَرِيبُ الوجْهِ واليَدِ واللِّسَانِ(٢٤٤)

والطبيعة في شعر المتنبى قليلة ، فقد انشغل أبو الطيب بأحداث عصره السياسية وغيرها فلم يهتم بالطبيعة إلا نادراً ،ويعد هذا المطلع أحد محاولاته في وصف الطبيعة وقد أجاد هذه المحاولة إجادة بارعة ، فقد رأى المتنبى في طريقه إلى عضد الدولة هذا الجمال الأخاذ فوصفه وأجاد في وصفه بقوله :

٢- ديوانه ص٥٣٧

٣- اليتيمة ١٨٢/١ والصبح المنبى ص٣٠٠

٤- ابن جنى ،الفتح الوهبى ،دار الحرية للطباعة بغداد ،١٩٧٣م ص١٨٦

٥- ديوانه ص٥٤١

مَلاعِبُ جِـنَّةٍ لـو سَـارَ فِـيها سُـلَيمَانُ لسَـارَ بِتُـرْجُمَانِ
طَبَتْ فُرْسَانُنَا والخَيْلُ حَتى خَشِيتُ وإنْ كَـرُمْـنَ مِن الحِـرَانِ
غَدَونَا تَنـْفُضُ الأَغْـصَانُ فِـيها عـلَى أعْـرَافِها مِثْـلَ الْجُمَانِ
فَسِـرْتُ وقـد حَجبْنَ الشَّمسَ عنِّى وجِـئنَ مِن الضِّـيَاءِ بِمـا كَفَانِي
وألـْقَى الشَّـرقُ مِنها فِـي ثِيَـابِى دَنَـانِيراً تَـفِرُّ مِـن البَـنَانِ
لـها ثَـمَـرٌ تُشِـيرُ إلـيكَ مِـنْه بأشْـربةٍ وَقَـفْنَ بِـلا أوَانِـي
وأمـْوَاهٌ تَـصِلُّ بـها حَـصَـاهَا صَلِيلُ الحُلَـى فِـي أيـدِى الغَوانِى

فهو يتخيل أن هذا المكان لو سار فيه سليمان عليه السلام وقد علم لغـة الطيـر والجن ، لإحتاج الى ترجمان يترجم له ، فى إشارة إلى قوله تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ، وقَالَ ياأيُّها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيرِ وأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَئٍ)([245])

وهذه الطبيعة الساحرة أثارت إعجاب فرسِه ، حتى أصبح يتوقف عن السير ليتمتع بهذه الطبيعة الخلابة ٠

والأغصان أصبحت تنفض أوراقها اللؤلؤية علينا ، والأشجار حجبت عنا الشمس ، فلم نرَ من الشمس إلا بمقدار الدنانير ، ثم يصف الثمار وهى ناضجة حتى يخيل إلينا أنها مياه معلقة وقفت دون آنية ٠

أما المياه فكانت تسير في رفق وأناة وصوت شجى يذكرنا بصوت الحلـى الـذى يرن في أيدى الحسان ٠

أما القصيدة الأخرى فهى : -

١- سورة النمل الآية ١٥

ما أَجْدَرَ الأَيَامَ واللَّيالِى   بأَنْ تَقولَ ما لَهُ ومالِى ([246])

فقد ذكر في هذا المطلع الأيام والليالى ثم وصف الصيد بأنواعه المختلفة ولكن ذكــره للصيد ههنا من قبيل المقارنة بينه وبين ممدوحه الذى قد خضــعت لــه كــل هــذه المخلوقات ٠

د- مقدمة بكاء الشيب والحديث عنه:

وتمثل هذه المقدمات قصيدته التي وجهها إلى كافور في ختام حياته معه ولم يلقه بعدها ، فتحدث فيها عن شيبه بقوله :

مُنىً كُنّ لِى أنَّ البَياضَ خِضــَابُ   فَيَخْفَى بِتَبييضَ القُرونِ شَــبابُ
عِنــدَ البِــيــضِ فَــوْدَاىَ فِتــْنَــةٌ   وفَخْرٌ وذَاكَ الفَخْرُ عِنــدِى عَابُ
فَكَيْــفَ أَذُمُّ اليــومَ ما كُنْتُ اشْتَهِى   وأدْعُو بِمَا أَشْكُوه حِــينَ أُجَــابُ
جَلااللَّونَ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ   كَمَا انجَابَ عَنْ لَوْنِ النَّهَارِضَابُ
وفِىْ الجِسْمِ نَفْــسٌ لا تُشِيبَ بِشَيْبِهِ   ولَو أنَّمَــا فِـــي الوجْـــهِ مِنْـــهُ حِرَابُ([247])

فقد ادعى أبو الطيب في هذا المطلع أنَّ الشيب كان أمنية له منذ أنْ كان شابَّاً ، فكيف يضيِّق عنه اليوم وقد تحققت هذه الأمنية، فهو إنْ كان قد شابَ حقيقة فإنَّ نفســه لــن تشيب .

هـــ - مقدمات الحكمة والفلسفة:

ومن هذه المقدمات قوله في الزمان :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنا ذَا الزَّمَانا   وعناهُم فِيْ شَأنِهُم ما عَنَانَا
وتَولّوا بِغُصْةٍ كُلُّهــم مِــــنْه   وإنْ سُــرَّ بَعضُهم أحْــيَانَا

ومنها

غَيْرَ أنَّ الفَتَى يُلاقِى المَنَايَا   كَالِحَاتٍ ولا يُلاقِى الهَوَانَا

٢- ديوانه ص٥٦٠

١- ديوانه ص٤٧٨

ولو إنَّ الحياةَ تَبْقَى لِحَــيٍّ   لَعــَدَدْنَا أضَلَّنَا الشُّــجْعَانا
إذا لَمْ يَكُنْ مِن المَوتِ بُدٌّ   فَمِن العَجْزِ أنْ تَمُوتَ جَبَانَا([٢٤٨])

فهى حكمة بالغة اكتسبها أبو الطيب من خلال تجواله وعمره الذى اقترب مـن الخمسين يوم إنشاده هذه القصيدة ٠

والحكمة عند أبى الطيب تأتى متناسقة وهى دائماً موصولة بواقعه وعالمه النفسى. ([٢٤٩])

و– قصائد دون مقدمات ٠

وقد ذكر ابن رشيق في العمدة أنَّ : " من الشعراء من لا يجعل لكلامه بسـطاً مـن النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة ذلك عندهم هـو الوثـب والقطع والكسع والإقتضاب ٠٠" ([٢٥٠])

في بعض قصائده الكافوريات والعضديات لم يجعل أبو الطيب لها مطلعاً بل دخل مباشرة في موضوعه في مثل قوله يهنئ كافوراً بداره الجديدة :

إنــما التهنــئات للأكفاء   ولمَــنْ يُــدنِّى من البُعَداءِ
وأنا مِنْكَ لا يُهنئَ عُضْوٌ   بِالمَسَرَاتِ سَائِرَ الأعْضَاءِ ([٢٥١])

ومنها قصيدته التي قالها في الصلح الذى تم بين كافوروالأمير أبى القاسم يقول في مطلعها :

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتهُ الاعادى   وأذَاعَــتْهُ ألْســُنُ الحُسَّادِ ([٢٥٢])

وكذلك في هجائياته لكافور كان يدخل فيها مباشرة دون مقدمات ومما هو معروف أنَّ الهجاء يبدأ دون مقدمات وذلك لأنَّ الشاعر يكون أكثر غيظاً وحنقاً فلا يقدم للهجاء

٢–-ديوانه ص٤٧٤

٣–-نظر مقدمة القصيدة عند أبى تمام والمتنبى،ص١٣٦

٤– العمدة ٢٣١/١

١- ديوانه ص٤٤٦

٢– ديوانه ص٤٦٣

. أما قصائده الأخرى غير الهجائية والتى لم يفتتحها بمقدمة فنرجع فيها إلى قول عطوان من:" أن كثيراً من هذه القصائد كانت من بنات الساعة ... وأنَّ الشاعر كثيراً ما كان يسرع للتعبير عن نشوة النصر أو الظفر " ([253]) أو الفرحة .

ثانياً : **الخروج والتخلص :**

كانت القصيدة العربية منذ الجاهلية متعددة الموضوعات، ففى القصيدة الواحدة نجد أغراضاً متعددة ،من نسيب ومديح وفخر وربما هجاء ،لذلك فقد احتاج الشعر الى أسلوب ينتقل به من غرض إلى آخر انتقالاً لطيفاً ،يمزج فيه هذه الموضوعات مزجاً ولا يؤثر في تركيب أفكار القصيدة لدى السامعين ، فجاءوا بمصطلح الخروج والتخلص .

و" الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تخيل ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه "([254]) والتخلص هو الخروج عينه، " ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوسلاً "([255]) .

ويعرِّفه ابن الأثير بقوله : " أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعانى فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون في بعضه آخذاً برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، وذلك مما يدل الى حذق الشاعر وقوة تصرفه " ([256]) .

والإستطراد يشبه التخلص غير أن المستطرد يعود لموضوعه الأول وليس في التخلص عودة إلى الموضوع الأول ، والإستطراد هو : " أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظه من غير ذلك النوع ، يقطع عليها الكلام ، وهى مراده دون جميع ما تقدم ، ويعود الى كلامه الأول "([257]) .

٣- حسين عطوان ،مقدمة القصيدة العربية ،دار المعارف بمصر ،ص١٠٩

٤- العمدة ٢٣٤/١

٥- السابق ٢٣٦/١

١- المثل السائر ١٢١/٣

٢- العمدة ٢٣٦/١

" وأكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو الطيب فإنه ما يكاد يفلت ولا يشذ عنه ([٢٥٨]) هذا في سائر شعره ٠

أما في كافورياته وعضدياته فقد أبدع فيه أبو الطيب أبداعاً يجعل القارئ لا يشعر بدخوله في المديح ومن ذلك تخلصه في قصيدته التي مدح بها كافوراً ومطلعها :

كَفَىْ بكَ دَاءً أنْ تَرَى المَوتَ شَافِيا   وحَسْبُ المَنَايا أنْ يَكُنَ أمانِيا ([٢٥٩])

فقد أخذ الشاعر يخاطب نفسه وقلبه ثم تخلص الى ممدوحه في قوله :

أقِلّ اشتياقاً أيّها القَلبُ رُبَّما   رَأيتُك تُصْفِي الوُدَّ مَنْ لَيسَ صَافِيا
خُلقْتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصِّبى   لفَارَقتُ شَيبِى مُوجِعَ القَلب بَاكِيا
ولكنَّ بالفِسطَاطِ بَحراً أزرته   حَيَاتِى ونُصْحِي والهَوَى والقَوَافِيا

فقد تخلص مباشرة إلى ممدوحه الذى وصفه بالبحر وهو كافور وفى الأبيات استطراد أيضاً حيث إن الشاعر عاد مرة أخرى الى موضوع آخر وهو وصف الخيل :

وجُرْداً مَدَدْنَا بَيْنَ آذانِها القَنا   فَبِتْنَ خِفَافَاً يَتَّبعنَ العَواليا
تماشى بأيدٍ كلما وافت الصفا   نقشن به صدر البزاة حوافيا
وتَنظرُمِن سُودٍ صَوادِقَ فِي الدُّجَى   يَرَيْنَ بَعِيداتِ الشُّخُوصِ كَما هِيَا

ثم تخلص مرة اخرى الى ممدوحه :

قَواصِدَ كافورٍ توارِكَ غيرِه   ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ استَغَل السَّواقِيا

أما قصيدته " من الجآذر في زى الأعاريب " فإنه لم يوفق على حد رأى في التخلص فيها إلى ممدوحه يقول :

لَيْتَ الحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الّذِي أَخَذَتْ   مِنِّى بِحِلْمِي الذى أعْطَتْ وتَجْرِيبِي

٣- السابق ٢٣٤/١

٤- ديوانه ص٤٤١

فَمَــا الْحَــدَاثَةُ مِــنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ   قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ فِى الشُّبَانِ والشَّيبِ
تَرَعْرَعَ المَلِــكُ الأُستاذُ مُكْتَــهِلاً   قَبــلَ اكْتِهَــالٍ أدِيـــباً قَـــبْلَ تَأدِيبِ(٢٦٠)

فأنه أطال بين النسيب وبين ممدوحه مما جعل التخلص رتيباً :

أما قصيدته " أود من الأيام مالا توده "، فقد آجاد فيها التخلص إجادة تجعل القارئ لا يدرى أن الشاعر تخلص إلى ممدوحه يقول :

وحَالٍ كَإحْدَاهِنَّ رُمْــتُ بُلوغَها   ومِنْ دُونِها غَوْلُ الطَّرِيقِ وبُعْدُهُ
وأتْعَبُ خَلْقُ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّــه   وقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِى النَّفْس وَجْدُهُ
فَلا يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُكَ كُلُهُ   فَيَنْحَلَّ مَجْــدُ كَانَ بِالمَــالِ عَقْــدُهُ (٢٦١)

ومن جيد تخلّصه قصيدته التي مطلعها : (أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ و الشَّوقُ أَغْلَبُ) فبينما يتحدث عن نفسه وأمانيها فإذا به يدخل في المديح دون إحداث أى أثر يقول:

ألا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَقُولُ قَصِيدَة   فَلا أشْتَكِى فِيــهَا وَلا أتَعَتبُ
وبِـــى ما يذُودُ الشّــعرَ عنّى أقَلُّ   ولَكِنَّ قَلْبِى يَا ابْنَةَ القَومِ قُلَّبُ
وأخْــلاق كَافورٍ إذا شِئتَ مَــدْحَه   وإنْ لم أَشَأ تُملِى عَلَىَّ وأكْتُبُ(٢٦٢)

أما تخلصه في قصيدته :" مُنَىً كُنّ لِى أنّ البَياضَ خِضَابُ " والذى جاء به بعد حكمه مباشرة وهى :

أعَزُّ مَكَانٍ فِــيْ الدُّنَا سَرْجُ سَابِح   وخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وبَحْرُ أبِى المِسْكِ الخِضَمُّ الذَى لَهُ   عَلَى كُــلِّ بَحْــرٍ زَخْــرَةٌ وعُبَــابُ (٢٦٣)

١–ديوانه ص٤٥٠

٢– ديوانه ص٤٥٤

٣– ديوانه ص٤٦٧

٤– ديوانه ص ٤٧٩

فقد وقف عنده الثعالبى معلقاً بقوله فهذه " إن لم تكن مختارة فليست بالمستهجن الساقط " ([٢٦٤]) ٠ وقول القاضي " (لعلك لا تجد له تخلصاً مستكرهاً إلا قوله ٠٠٠

أعَزُّ مَكانٍ فـــي الدُّنا سَرْجُ سَابِحٍ وخَيرُ جَليسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وبُحْرُ أبِى المِسْكِ الخِضَمُّ الذَى لَهُ عَلَـــى كُـــلِّ بِـــــحْرٍ زَخْـــرةٌ وعُبَابُ([٢٦٥])

هذا ما كان من أمر تخلصه في الكافوريات أما العضديات فهى لا تخلو من تخلــص حسن ، ففى قصيدته التي مدح بها عضد الدولة والتى مطلعها :

أَوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِى وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ والبَدِيلُ ذِكْرَاهَا ([٢٦٦])

تخلص فيها تخلصاً يُعد من أجمل تخلصاته يقول :

والخَيلُ مَطْــرُودةٌ وطَارِدَةٌ تَجُرُّ طُولَى القَنا وقِصرَاهَا
يُـــعْجِبُهَا قَتْلَها الكُـــمَاةَ ولا يُنِظِرُهَا الدَّهْرُ بَعــدَ قَتْلاها
وقَــدْ رَأيتُ المُلُوكَ قَاطِبَةً وسِرْتُ حَتّى رَأيتُ مَوْلاهَا

فقد انتقل بلطف من ذكر الخيل والكماة إلى ممدوحه ، فكأنه أراد أنْ يقول إنَّه مـــا زال يركب هذه المطايا حتى وصل بها إلى عضد الدولة وقد تم له المعنى من جهتين ، من جهة أنَّه وصله بهذه الخيول حقيقة ، ثم تخلصه إليه من خلال ألفـــاظ الخيـــول والمطايا

وقد فعل أبو الطيب هذا الأمر في قصيدته التالية التي وصف فيها شعب بوان :

يقولُ بِشِــعْبِ بَـــوّانَ حِصَانِي أعَــنْ هَذَا يُسَارُ إلَى الطِّعَانِ
أبُوكُـــم آدَمُ سَـــنَّ المَعَـــاصِي وعَلَّــمَكُم مُــفَارَقَةَ الجِــنَانِ
فقلتُ : إذا رَأيتُ أبَا شُـــجَاعٍ سَلَوتُ عَنِ العِبادِ وذَا المَكَانِ([٢٦٧])

٥- يتيمة الدهر ٢١٥/١

١- الوساطة ،ص١٥٥

٢- ديوانه ص٥٣٧

٣- ديوانه ص٥٤٢

فقد تخلص من المحادثة مع حصانه إلى أبى شجاع عضد الدولة فكأنه خرج بحصانه من الشعب ودخل دار أبى شجاع ، وقد كان ذلك حقيقة واقعة كما هو فنية شعرية ٠

ومن تخلصه الجيد كذلك ، تخلصه إلى ممدوحه في قصيدته التي مطلعها :

اِثْلِــثْ فإنَّا أيّــها الطّــلَلُ نَبَكِى وتُرْزِمُ تَحَتَنا الإبِلُ ([٢٦٨])

وفيها :

قالتْ ألا تَصْحُو فَقُلتُ لَها أعْلَمْتِنِى أنَّ الهَــوَى ثَمِــلُ
فَلَوْ أنَّ فَنّاخُســْرَ صَبَّحَكُم وبَرَزْتِ وَحْدَكِ عَاقَهُ الغَزَلُ

ثالثاً : الخاتمة والمقطع:

إذا كان الشاعر كثير الاهتمام بمطلع قصيدته وكــذلك بتخلصــه وخروجــه الــى موضوعه منها ، فإنَّه يجب عليه أنْ يهتم بخاتمة قصيدته حتى تكون القصيدة متكاملة الأطراف ، وتكون وحدة واحدة ٠

وقد اهتم النقاد منذ القديم بخاتمة القصيدة، ومنهم ابن رشيق القيراونى الذى يقــول في ذلك : " أما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً ، لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتى بعده أحســن منـــه ٠ وإذا كـــان أول الشعر مفتاحاً وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه " ([٢٦٩])

ويقول حازم القرطاجى في أمر خاتمة القصيدة: " أما الاختتام فينبغـــى أن يكــون بمعانٍ سارة فيما قصد به التهانى والمديح ،وبمعانٍ مواسية فيما قصد بـــه التعـــازى والرثاء ، وكذلك يكون الإختتام في كل غرض بما يناسبه ، وينبغى أن يكون اللفظ فيه مستعذباً ، والتأليف جزلاً متناسباً ، فإنّ النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقدها وقع فيه ، غير مشغولة بإستئناف شئ آخر " ([٢٧٠])

٤- ديوانه ص٥٤٦

١- العمدة ٢٣٩/١

٢- حازم القرطاجنى،منهاج البلغاء،ص٢٨٠

أما الخطيب القزوينى فيقول عن الخاتمة إنَّها : " آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس ، فإن كان مختاراً جبر ما عساه وقع فيه من التقصير ، وإنْ كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما أنسى محاسن ما قبله " ([٢٧١])

وقد فعل أبو الطيب المتنبى هذا الصنيع في كافورياته وعضدياته ، فجاءت خواتيمها على حسب موضوع القصيدة ، فكانت كل خاتمة تناسب الموضوع الذى قيلت فيه هذه القصيدة ٠ ومن هذه المقاطع الجميلة التي تدل على نهاية القصيدة وتُبقى أثرها في النفس قوله :

مَدًى بَلَّغَ الأسْتَاذَ أَقْصَاه رَبُّهُ ونَفـسٌ له لَـمْ تَرْضَ إلا التَّنَاهِيَا
دَعَتْهُ فَلَباها إلى المَجْدِ والعُلَى وقَدْ خَالفَ النّاسُ النُّفوسَ الدَّوَاعِ
فأصـبَحَ فَـوقَ العَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وإنْ كَـانَ يـدْنِـيه التَّكَـرُّمُ نَائِـيا([٢٧٢])

فتدرجت هذه الأبيات حتى وصلت إلى أقصاها حيث إن ه من الصعب إضافة بيت على هذه الأبيات وإلا أصبح المعنى ركيكاً وقد سلك المتنبى مسلكاً جديداً فى ختام قصيدة " إنما التهنئات " فهذه القصيدة قيلت في التهنئة ولكنه ختمها بطلب وسؤال في قوله :

يا رَجَاءَ العُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيرَ أَنْ أرَاكَ رَجَائِي
ولقـد أفنَـتْ المَفَاوِزُ خَيْـلِى قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِى وزَادِى ومَائِى
فأرْمِ بِـى مـَا أَرَدْتَ فَإِنّنِـي أسـَدُ القَـلْبُ آدَمِـى الرَّوَاءِ
وفُؤَادِي مِن المُـلُوكِ وإنْ كَانَ لِسَـانِي يُـرَى مِن الشُّعَرَاءِ ([٢٧٣])

وربما أراد أبو الطيب أن تكون دعواه هذه محل إجابة وحاضرة في ذهن كافور فختم بها هذه القصيدة ٠

٣- الخطيب القزوينى ،الايضاح فى علوم البلاغة، مكتبة الكليات الازهرية،ط٢، ص٣٠٤

١- ديوانه ص٤٤٥

٢- ديوانه ص٤٤٧

" وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء ، لأنه من عمل الضـــعف ، إلا للملوك فإنهم يشتهون ذلك "([٢٧٤]) .

وقد أستعذب أبو الطيب من عبارات ختام قصيدته " من الجآذر " فانتقى لها كلمات لها صدى في النفوس والأسماع يقول :

فالحَمْدُ قَبْلُ لَهُ والحَمْدُ بَـعْدُ لَـها وللْـقـنَا و لإدْلاجِـى وتَـأويـبِـى
وكَيْفَ أكْفُـرُ يَا كَافُـورُ نِعْمَـتَهَا وقَـدْ بَلَغْنَـكَ بِـى يَـا كُـلُّ مَطْلُوبِى
يا أيّهَا المَـلِـكُ الغَانِـى بِتَسْـمِيةٍ فِي الشّرْقِ والغَرْبِ عـنْ وَصْـفٍ وتَلْقِيبِ
أنْـتَ الحَبِيبُ ولَكِنِّى أعُوذُ بِـه مِـنْ أنْ أكُـونَ مُحِبـاً غَـيرَ مَحْبُوبِ ([٢٧٥])

وكان أبو الطيب قد ختم قصيدة مدح بها أبا شجاع فاتك بالحكمة البالغة يقول في ختام قصيدة " لا خَيلَ عِندَك " .

لولا المَشَقّة سَادَ النَّاسُ كُلّـُهم الجُـودُ يُفْقِـرُ والإقْدَامُ قَـتَّالُ
وإنَّما يَبْـلُـغُ الإنْسَانُ طَاقَـتَهُ مَا كُـلُّ مَاشِيةٍ بِالرِّجْلِ شِمْلالُ
إنَّا لَفِى زَمَنٍ تَـرْكُ القَبِيح بِـه مِن أكثَرِ النَّاسِ إحْسَانٌ وإجْمَالُ
ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثانِى وحَاجَتُه مَا قَاته وفُضُولُ العَيشِ أشْغَالُ([٢٧٦])

أما قصائده التي هجا بها كافوراً ،فقد كانت تجرى على نسق واحد حتى نهايتهـا، فكلها تأتى في الهجاء، وكذلك قصائده التي لم يفتتحها بالمقدمات التي ذكرناها، فكانت غالباً ما تنتهى بذات الموضوع الذى تتحدث عنه .

٣- العمدة ٢٤١/١

٤- ديوانه ص٤٥٢

١- ديوانه ص٤٩٠

فمن قصائد الهجاء قوله وقد اختتم قصيدة في هجاء كافور :

فإن كُنتَ لا خَيراً أفدتَ فأنّنِي   أفَدتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ المَلاهِيا
ومِثْلُكَ يُؤتَى مِنْ بِلادٍ بَعِـيدةً   لِيُضْحِـكَ رَبَاتِ الحِدَادِ البَوَاكِيَا([277])

أما الرِّثاءُ فقد ينتهى عنده بحكمة ودعاء، مثل رثائه أبى شجاع فاتك، حيث ختم رثاءه فيه بقوله :

قدْ كانَ أسْرَعُ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ   فَرَساً ولَكِـنَّ المَـنيةَ أسْرَعُ
لا قَبلتْ أيدِى الفوَارِسِ بَعـْدَهُ   رُمْحَاً ولا حَمَلَتْ جَـواداً أرْبَـعُ ([278])

فقوله " المنية أسرع" حكمة وقوله: " لا قبلت أيدى الفوارس" دعاء ٠

أو قد ينتهى الرِّثاء بمدح أقارب المرثى مثل ما فعل مع عمة عضد الدولة التـي رثاها ثم ختم القصيدة بمدح عضد الدولة يقول :

يَحْسَـبُهُ دَافِـنُـهُ وَحْـدَهُ   ومَجدُهُ فِي القَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ
ويَظْهَرُ التَّذْكِيرُ فِـي ذِكْرِهِ   ويَسْـتَرُ التَّأنِيثُ فِـي حُجْبِهِ
أختُ أبِى خَير أمِـيرٍ دَعَا   فَقَـال جَـيشٌ لِلْقَـنا : لَبِّهِ
يا عَضُدَ الدَّوْلةِ مَنْ رُكْنُهَا   أبُـوه والقَـلْـبَ أبـو لُبِّـهِ ([279])

---

[277] – ديوانه ص٥٠١

٣– ديوانه ص٤٩٤

٤– ديوانه ص٥٥٨،٥٥٩

الفصل الخامس

الموسيقي الشعرية

نظر المتقدمون من الأدباء وعلماء اللغة إلي الشعر العربي فاستطاعوا أن يرجعوه إلي ضوابط يتزن بها ، وهذه الضوابط لها أسماء شتى ، فالقدماء يسمونها عروض الشعر والمحدثون يسمونها الموسيقي الشعرية ، وهي علي اختلاف أسمائها تدل علي شيء واحد وهو ما يعرف ببحور الشعر .

فإذا كان لكل علم ضوابط وقوانين فللشعر أيضاَ ضوابطه وقوانينه التي يقوم عليها . " فهو يقوم من أربعة أشياء هي اللفظ والوزن والمعني والقافية ، فهذا هو حد الشعر" ([٢٨٠])

فاذا كنا قد تكلمنا في مبحث سابق عن الألفاظ والمعاني ، فإننا نتكلم في هذا المبحث عن الأوزان والقوافي التي تشكل الموسيقي الشعرية .

" والوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية "([٢٨١]) "وأول من ألّف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد "([٢٨٢]) ثم الف الناس بعده.

وقد وضع الخليل بن أحمد خمس عشر وزناً سماها ببحور الشعر ثم جاء الأخفش فزاد وزناً واحداً سماه المتدارك لأنه تدراكه علي الخليل .

وسبب تسمية الوزن من أوزان الشعر بحراَ أنه شبيه بالبحر ، فهذا يغترف منه ولا تنتهي مادته ، وبحر الشعر يورد عليه من الأمثلة مالا حضر له ([٢٨٣])

وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه حسن تركيبه واعتدال أجزائه ([٢٨٤]) وإذا لم يجر الشعر عندهم علي هذه البحور والأوزان فأنه (لا يقدح في

١- العمدة ١١٩/١

٢٨١ – السابق ١٣٤/١

٢٨٢ – نفسه ١٣٥/١

٢٨٣ – محمود مصطفى ،أهدى سبيل ألى علمى الخليل،مكتبة المعارف للنشر الرياض ،ص ٢٨

كونه شعراً عند بعضهم ، وبعضهم أبى ذلك وزعم أنه لا يكون حتي يُحامَي فيه وزن من أوزانهم) ([٢٨٥])

وتتركب أوزان الشعر من ثلاثة أشياء : أسباب وأوتاد وفواصل ، وهذه الثلاثة تتكون من حروف التقطيع العشرة المجموعة في كلمة (لمعت سيوفنا) ولا تتركب من غيرها أبداً([٢٨٦])

فالسبب مركب من حرفين : " أما متحرك وساكن واسمه سبب خفيف مثل لن من فعولن – وأما متحرك واسمه سبب ثقيل ، مثل عل من مفاعلتن" ([٢٨٧])
والوتد مركب من ثلاثة أحرف : " أما متحركين يتوسطهما ساكن واسمه وتد مفروق مثل لات من مفعولات ، وإما متحركين يعقبهماساكن واسمه وتد مجموع مثل عِلُنْ من فاعلن"([٢٨٨])

والفاصله ثلاثة أو أربعة متحركات يليها ساكن . والتفاعيل التي تتولد من إئتلاف الأسباب مع الأوتاد والفواصل عشرة : فعولن – ومفاعلين – مفاعلتن – فاع لاتن – فاعلن – فاعلاتن – مستفعلن – متفاعلن – مفعولات – مستفع لن (–[٢٨٩])

وهذه التفعيلات لاتخرج عن الستة عشر بحراً ،والتي ذكرناها وقد سموا هذه البحور بأسماء وهي : الطويل ، البسيط ، المديد ، الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، المنسرح الخفيف ، المقتضب ، المضارع ، المجتث ، المتقارب والمتدارك، وجعلوا لكل بحر تفاعيله الخاصة به ، ومن البحور التي استخدمها شاعرنا في كافورياته وعضدياته :

٢٨٤- ابن طباطبا ،عيار الشعر ،الموسوعة الشعرية ٢٠٠١، ص٢٥

٢٨٥- الزمخشرى ،الفسطاط فى علم العروض ، الموسوعة الشعرية ٢٠٠١، ص٢٥

١- الهاشمى ،ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب، دار الكتب العلمية بيروت ،١٤٢١ه، ص٥

٢- الفسطاط،ص٨

٣- المصدر السابق والصفحة

٢٨٩- ميزان الذهب ، ص٦،٧

أ- البحر **الطويل**

هو أحد أبحر ثلاثة كثر ورودها في أشعار العرب القدماء وأصل تفاعيله كما يلي :-

فــعولن مفاعلين فعــولن مفاعلين فعــولن مفاعلين فعــولن مفاعلين

وإذا نظرنا إلي كافوريات المتنبي وعضدياته ، نجد أن هذا البحر تكرر فيها في القصائد التالية

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوقَ والشَّوقُ أغْلَبُ وأعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ والوَصْلُ أعْجَبُ(٢٩٠)

فعولن مفاعلين فعولن مفاعــل فــعولن مفــاعلين فــعولن مــفاعل

وقوله

منىً كَنَّ لِى أنّ البَياضَ خِضابُ فَيَخْفَى بِتَبييضِ القُرونِ شبابُ (٢٩١)

فعولن مفاعلين فعولن مفاعــل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعــل

وقوله :

أودُ مِــنْ الأيامِ مَا لاتَودُه وأشْكُو إليها بَيننَا وهِى جُنْــدُهُ(٢٩٢)

وقوله:

فِرَاقٌ و مَــنْ فَارَقتَ غَيرَ مُذَممِ وأمٌّ ومَنْ يَممَتَ خيــرَ ميممِ(٢٩٣)

٥- ديوانه ،ص ٤٦٦

٢٩١- ديوانه ص ٤٧٨

٢ - ديوانه ص٤٥٣

٣- -ديوانه ص ٤٥٩

وقوله :

كَفَى بِكَ دَاءً أنْ تَرَى المَوتَ شَافِيا وحَسْبَ المَنايا أنْ يكُنَّ أمَانِيا([٢٩٤])

وقوله :

أرِيْكَ الرِّضَا لَوْ أخْفَتِ النَّفسُ خَافِيا فَلا أنَا عَنْ نَفسِى ولا عَنكَ رَاضِيا([٢٩٥])

يلاحظ أن المتنبى قد استخدم هذا البحر فى الكافوريات فقط وفى ستة مواضع،ولم يستخدمه فى العضديات.وهذا البحر يستخدم فى القصائد ذات النفس الطويل لذلك كثر استخدامه عند شعراء الجاهلية، وقد سمى بالطويل : (لأنه طال بتمام أجزائه)([٢٩٦])

ب-**البسيط** وتفاعيله :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وهو ثانى البحور الثلاثة التى كثر ورودها فى الشعر العربى ، وسمى بالبسيط "لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعلن وآخره فعلن "([٢٩٧])

وقد ورد هذا البحر فى الكافوريات فى ستة موضع ولم يرد فى العضديات والمواضع هى :

أحَقُّ دَارٍ بِأنْ تُدْعَى مُبَارَكةً دَارٌ مُبَارَكَةُ المَلْكَ الذِى فِيها([٢٩٨])

وقوله :

بِمَ التَّعَلُلَ لا أهْلٌ ولا وَطَنٌ ولا نَدَيمٌ ولا كَأسٌ ولا سَــكَنُ([٢٩٩])

٤- ديوانه ص٤٤١

٥.- ديوانه ص٥٠٠

٦- العمدة ١٣٦/١

٧-السابق والصفحة

١- ديوانه ص٤٥٨

٢- ديوانه ص٤٧١

وقوله :

حتَّامَ نَحنُ نُسَارِى النَّجْمَ فِى الظُّلَمِ   وما سُرَاهُ عَلى خُفٍ ولا قَدَمُ([٣٠٠])

وقوله:

لا خَيْلَ عِنْدكَ تَهْدِيهَا ولا مَالُ   فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لمْ تُسْعِدِ الحَالُ([٣٠١])

وقوله :

عِيْدٌ بِأىّ حَالٍ عُدْتَ ياعِيدُ   بِمَا مَضَى أمْ بأمْرٍ فِيكَ تَجْــدِيدُ([٣٠٢])

وقوله :

مَنْ الجَآذرُ فِى زَىّ الأعَارِيبِ   حُمْرُ الحُلَى والمَطَايَا والجَلابِيبِ([٣٠٣])

ج- **الوافر** وتفاعيله هى:

مــفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن   مــفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ولم يرد هذا البحر صحيحاً، وإنَّما مقبوض العَرُوضة ،فتصير مفاعلتن مفاعل ، وتحول إلى فعولن. وسمى بالوافر : (لوفور أجزائه وتداً بوتدٍ)[٣٠٤] وقد ورد هذا البحر خمس مراتٍ فقط فى الكافوريات والعضديات ،فى قوله:

مَلُومكُما يَجِلُّ عنِ المَلامِ   ووقْعُ فِعَــالِه فَوقَ الكَــلامِ([٣٠٥])

وقوله :

يَقِلُّ لَهُ القِيَامُ عَلى الُرؤوسِ   وبَذْلُ المُكْرَمَاتِ مِن النُّفوسِ([٣٠٦])

٣- ديوانه ص٤٩٥

٤- ديوانه ص٤٨٦

٥- ديوانه ص٥٠٦

٦- ديوانه ص٤٤٨

٧- العمدة ١٣٦/١

٨ - ديوانه ص٤٨٢

٣٠٦ - ديوانه ص٤٥٧

وقوله يهجو كافوراً:

أَمَا فِي هَذهِ الدُّنيا كَرِيم ُ تَزُولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الهَمُومُ ([307])

وقوله في مدح عضد الدولة :

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيباً فِي المَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنْ الزمان([308])

وقوله يودعه :

فديَ لَكَ مَنْ يُقَصِرْ عَنْ نَدَاكَا فَلا مــَلِكٌ إِذَنْ إلاّ فَــدَاكَا ([309])

والوافر من الأوزان الغنائية التى وردت كثيراً في الشعر العربي وقد ورد في قصيدتين من أجمل ما قال المتنبي في فارس وهما النونية التي قالها حين قدم شيراز والكافية التي قالها حين ودع عضد الدولة ، فكأنما هذا الوزن إرتبط عنده بالسير.

أمّا في الكافوريات فقد ورد هذا الوزن في ثلاث مناسبات ، الأولى هى قصيدة الحمي ،أمّا الثانية ففي بيتين قالها في كافور ، أما الثالثة فهى في هجاء كافور ، ويلاحظ أنه في المثال الأول كان يتناول الحمي وما تركته عليه من هموم وآثار وفي المثال الثالث يتحدث عن إنسان عله يسلو به هذه الهموم ، فهل هناك رابط بين بحر الوافر والهم ، قد يكون الأمر كذلك خاصة إذا علمنا أن القصيدة الأخيرة التي قالها يودع بها عضد الدولة كانت مملوءه بهذا الهم، الذي ملأ تفكيره وهو يغادر شيراز.

د – **الكامل** : وهو البحر الثالث الذي كثرت دورانه في الشعر العربي ، وأصل تفاعيله:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

---

٣٠٧ ديوانه ص٥٠٣

٣٠٨ – ديوانه ٥٤١

٤– ديوانه ص٥٦٦

ويستعمل تاماً ومجزوءاً. وسمي الكامل كاملاً (لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر) ([310])

وقد ورد في قصيدتين فقط إحداهما في الكافوريات وهي قوله في رثاء فاتك :

الحُزْنُ يُقْلِقُ والتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ والدَّمْعُ بَينَهُما عَصِيٌّ طَيِّعُ([311])

والثانية فى العضديات وهى قوله:

إثْلِثْ فَإنّا أيّــها الطَلَــلُ نَبْكِي وتَرْزِمُ تحْتَنَا الإبِلُ([312])

هـــ – الرجز وتفاعيله :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

هو يستعمل تاماً فتبقي له تفاعيله الست، ومجزوءاً فيبقي علي أربع ، ومشطوراً فيبقي علي ثلاث ، ومنهوكاً فيبقي علي اثنين ([313]) وقد ورد في الكافوريات والعضديات مرة واحدة فقط تاماً غير منقوص في قوله :

ما أجْدَرَ الأيَامَ واللّيالِى بِأنْ تَقُولَ مَالَهُ و مَالِي ([314])

وقد سمي الرجز رجزاً : "لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام " ([315])

و – السريع وأصل تفاعيله :

مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات

١- العمدة ١٣٦/١

٢- ديواته ص٤٩١

٣- ديوانه ص٥٤٦

٤- أهدى سبيل ،ص٤٨

٥- ديوانه ص٥٦٠

٦- العمدة ١٣٦/١

وسمي السريع سريعاً : " لأنه يسرع علي اللسان" ([316]) . وقد ورد في الكافوريات والعضديات في قصيدتين فقط ، فى هجاء كافور وهما قوله :

أنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ ومِنْ عِرْسِهِ   مِنْ حَكّمَ العَبْدَ عَلَى نِفْسِهِ([317])

والثانيه قوله في رثاء عمة عضد الدولة:

آخِــرُ مَا المَلْكُ مُعــزَّى بِــهِ   هَــذَا الذَي أثَّــرَ فِــي قِلْــبِهِ ( )

ز- المنسرح ، وتفاعيله :

مستفعلن مفعولات مستفعلن   مستفعلن مفعولات مستفعلن

وسمى بالمنسرح : (لانسراحه وسهولته)([318]). وقد ورد في الكافوريات والعضديات في أربع قصائد أولها قوله :

أعْدَدْتُ لِلغَادِرِينَ أسْيَــافَاً   أحِــزُّ بِها مِنْهُــنّ آنَافَا([319])

والثانية قوله : يمدح عضد الدولة

أوْهِ بَدِيلٌ مِــنْ قَوْلَتِي وَاهَا   لِمَــنْ نأت والبَدِيلُ ذِكْرَاهَا ([320])

الثالثة قوله:

أزَائِــرٌ يَاخَيَــالُ أمْ عَائِــدْ   أمْ عِنْدَ مَوْلاكَ أنّــنِي رَاقِدْ ([321])

والرابعة قوله وقد نثر الورد في مجلس عضد الدولة :

قَدْ صَدَق الوَرْدُ فِي الذِي زَعَمَا   أنّــكَ صَيّرْتَ نَثْــرَه دِيَــمَا([322])

ح- **الخفيف** وتفاعيله :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن   فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

٧- المصدر السابق والصفحة

٨- ديوانه ص٥٠٤

٢- العمدة ١٣٦/١

٣- ديوانه ص ٥١٦

٤- ديوانه ص٥٣٧

٥- ديوانه ص٥٥١

٦- ديوانه ص٥٥٦

ولم يستخدمه أبو الطيب المتنبي في كافورياته إلاَّ في قصبدتين إحداهما في قوله:

إنَّما التّهنــئاتُ للأكْــفَاء ولِمَنْ يُدَنِّي مِــنْ البُعَدَاءِ ([٣٢٣])

والثانية القصيدة التي قالها في الصلح بين كافور وابن الإخشيد ومطلعها :

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الأعَادِى وأذَاعَــتْهُ ألْســُنُ الحُسّ

ويلاحظ أن القصيدتين في موضوعين متقاربين وهما الصلح والتهنئة فهل هناك علاقه بين بحر الخفيف والتهنئة ؟.

نظرنا في دواوين عدد من شعراء الجاهلية فوجدنا أنهم لم يستخموا هذا الوزن كثيراً ، وعندما استخدموه كان في موضوعات متفرقة مابين مديح وعظة ورثاء وغيرها من موضوعات الشعر .

ط-المتقارب وتفاعيله :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعلون

وهو يستعمل تاماً ومجزوءاً ([٣٢٤]) . وقد سمي المتقارب متقارباً : " لتقارب أجزائه ، لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضا "([٣٢٥])

وقد وردت في كافوريات أبي الطيب في ثلاثة مواضع فقط أولها في قصيدته التي قالها في طريقه من مصر إلي الكوفة عندما ضلّ غلمانه بالأشباح :

بُسَيْطَةَ مَهْلاً سُقِيتِ القِطَارَا تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى([٣٢٦])

٧- ديوانه ص٤٤٦

١- أهدى سبيل ، ص٧٠

٢- العمدة ١٣٦/١

٣- ديوانه ص٥١٧

والموضوع الثانى فى قصيدته التى تذكر فيها فاتكاً وهو بالكوفة وهى :

يُـــذَكــرُنِي فَاتِــكاً حِلْمــُهُ   وشَيءٍ مِن النَّدّ فِيه اسْمُهُ ([٣٢٧])

أما القصيدة الثالثة فهي قصيدته التي قالها يوم وصل إلي الكوفة قادماً إليها من مصر وهي قوله :

ألا كُــلُّ مَاشِيَةِ الخَيْــزَلَى   فِدَىً كُــلِّ مَاشِيةِ الهَــيدَبَي([٣٢٨])

القافية :-

" القافيه شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولايسمي شعراً حتي يكون له وزن وقافية " ([٣٢٩]) وسميت القافية قافية لكونها في أخر البيت مأخوذة من قولك :" ققوت فلاناً إذا تبعته. وقفا الرجل أثر الرجل إذا قصّه وقافية الرأس مؤخره " ([٣٣٠])

قال أبو موسي الحامض : "القافية مايلزم الشاعر تكريره في كل بيت من الحروف والحركات " ([٣٣١]) وقد تكلم عن القافية الخليل وله في تعريفها قولان : أحدهما :" أنها الساكنات الآخران من البيت ومابينهما مع الحركة ماقبل الساكن الأول منها " ([٣٣٢]) أما قوله الآخر في تعريفها فهو :" مابين الساكنين الأخرين من البيت مع الساكن الأخير فقط " ([٣٣٣])

٤-ديوانه ص٤٩٩

٥- ديوانه ص٥٠٩

١- العمدة ١/١٥١

٢- أبو يعلى التنوخى ،القوافى ،الموسوعة الشعرية٢٠٠١م،ص١

٣- المصدر السابق ،ص٦

٤- المصدر نفسه والصفحة

٥- نفسه والصفحة

ومن الناس من ذهب إلى أنَّ القافية هي آخر كلمة في البيت ومنهم الأخفش الأوسط ويقول في ذلك : "أعلم أنَّ القافية آخر كلمة في البيت ، وإنَّما قيل لها قافية لأنَّها تقفو الكلام " ([٣٣٤])

أما الرَّوِي فهو غير القافية ولكنه منها . فالروي هو :" الحرف الذي بُنيت عليه القصيدة وتنسب اليه فيقال (سِينِيَّة) و (دَاليَّة) وهكذا ".([٣٣٥])

أقسام القافية من حيبث الاطلاق والتقييد:

تنقسم القافية من حيث الإطلاق والتقييد إلي قسميين: قافية مطلقة وهي التي يكون حرف الروي فيها متحرك ، وقافية مقيدة وهي التي يكون رويّها ساكن .

والشاعر المجيد هو الذى ينوع قوافيه مابين مطلق ومقيد ، وقد فعل شاعرنا هذا الأمر في كافورياته وعضدياته ، وقد كانت قوافيه في معظمها مطلقة الا قصيدته الداليه التي قالها وهو بشيراز والتي مطلعها :

أزائرٌ ياخَيالُ أمْ عائدْ أمْ عِندَ مَولاكَ أنّنِي راقدْ([٣٣٦])

عيوب القافية:

لقد ذكر علماء العروض عيوباً للقوافي كثيرة منها

١- **الأقواء** : إختلاف الإعراب .... مثل أن يأتي الشاعر بالضم مع الكسر أو بالكسر مع الضم . فلايكادون يأتون أقواءً بالنصب ، وإذا وجد هذا فالأجود تسكينه . ([٣٣٧])

ومثال ذلك قول النابغة:

أمِنْ آل مَيةَ رَائِحٌ أو مُغْتَدِي عَجْلانَ ذَا زَادٍ وغَيرَ مُزَوّدِ ([٣٣٨])

٦- الأخفش الأوسط ،القوافى ،الموسوعة الشعرية ٢٠٠١م ص١

٧- أهدى سبيل ، ص٩٢

١- ديوانه ص٥٥١

٢- القوافى ، التنوخى ،ص٩٢

ويروي أنه قال فيها :

زَعِمَ البَوَارِحُ أنَّ رَحْلَتَناغَدَاً وبِذَاكَ خَبَّرَنا الغُرَابُ الأسْوَدُ

١- **الإيطاء :** وهو إعادة القافية في الشعر ...... وأقبح الإيطاء ماتقارب مثل أن يكون البيتان متجاورين أو بينهما بيت أو اثنان أو ثلاثة ([٣٣٩])

٣- **التضمين :** وهو أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة :

وهم وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَي تَمِيمِ وهُمْ أصْحَابُ يَومَ عُكَاظ وأنّى

حَفِظْتُ لهُم مَواطِنَ صَالِحَاتٍ وثِقْنَ لهُم بَحُسْنِ الظّنِّ مِنّى([٣٤٠])

وهذة العيوب لم ترد في كافوريات وعضديات شاعرنا ، غير التضمين الذى ورد فى قوله :

ياطَــفْلَةَ الكَفِّ عَبــلْــَةَ السَّاعِدْ عَلَــى البَعِيرِ المُقَلَّدِ الوَاخِدْ

زيدى أذَى مُهْجَتِى أزِدك هَوَىً فأجْهَلُ النَّاسِ عاشِقٌ حاقِدْ([٣٤١])

ومنه كذلك :

مــا سُمْتُهُ زَرْدَ ســوَىْ سِرْوَالِ وكَيــــفَ لاوإنّــمَا إدْلالِـــى

بِفَــارِسِ المَجْــروحِ والشِّــمالِ أبــى شُجــاعٍ قاتِــلِ الأبْطَالِ

ساقِى كُؤوسِ المــوتِ والجِرْيَالِ لمّا أصَارَ القُفْصَ أمْسِ الخَالِى([٣٤٢])

والإيطاء الذى ورد فى قصيدة الوداع فى قوله:

أَرُوحُ وقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِى بِحُبِّكَ أنْ يُحِلَّ بِه سِوَاكَا

٣- ديوان النابغة الذبيانى ،الموسوعة الشعرية ٢٠٠١م،

٤-القوافى ،التنوخى ، ص١٠١،١٠٢

٥- العمدة ١٧١/١

٦- ديوانه ص ٥٥١

١- ديوانه ص٥٦٠

وقَدْ حَمَّلْتَنِى شُـــكْــراً طَوِيلاً   ثَقِيلاً لا أُطِيقُ بِهِ حَرَاكَا
أُحَاذِرُ أنْ يَشُقَّ عَلَى المَطَايَا   فَلا تَمْشِى بِنَا إلاّ سِوَاكَا([343])

فالإيطاء فى كلمة (سواكا) التى وردت فى البيتين الأول والثالث ،وإن كانت قد وردت بمعنيين مختلفين

---

٢ – ديوانه ص٥٦٧,٥٦٦

جدول يوضح تكرار حرف الروي

في الكافوريات والعضديات

الحرف	عدد مرات تكراره	الكافوريات	العضديات
الهمزة	١	١	–
الألف	١	١	–
الياء	٥	٤	١
الجيم	–	–	–
الدال	٤	٣	١
الهاء	٢	١	١
الواو	_	–	–
الزاي	–	–	–
الحاء	–	–	–
الطاء	–	–	–
الياء	٣	٢	١
الكاف	١	–	١
اللام	١	–	١
الميم	٥	٤	١
النون	٣	٢	١
السين	١	١	–
العين	٢	٢	–
الفاء	–	–	–
الصاد	–	–	–
القاف	–	–	
الراء	–	–	–
الشين	–	–	–
التاء	–	–	–
الثاء	–	–	–
الخاء	–	–	–
الذال	–	–	–
الضاد	–	–	–
الطاء	–	–	––
العين	–	–	–

جدول يوضح بحور الشعر التي

وردت في الكافوريات والعضديات

البحر	عدد تكراره	الكافوريات	العضديات
الطويل	٦	٦	–
البسيط	٦	٦	–
الوافر	٥	٣	٢
الكامل	٢	١	١
الرجز	١	–	١
السريع	٢	١	١
المتسرع	٤	١	٣
الخفيف	٢	٢	–
المتقلرب	٣	٣	–
المديد	–	–	–
المضارع	–	–	–
المقتضب	–	–	–
المجتث	–	–	–
الرمل	–	–	–
الهزج	–	–	–
المتدارك	–	–	–
	–	–	–

الخاتمة:

الحمد لله الذى بنعمه تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى قدم أبلغ العظات وعلى آله وصحبه الذين رفعوا للعلا غايات وبعد

لقد فرغت من كتابة هذا البحث الذي بعنوان الكافوريات والعضديات فى شعر المتنبي ،وكنت قد رسمت خطة لكتابته تتكون من أبواب وفصول حتى تسهل عملية البحث ،والبحث فى شعر المتنبي فيه من الصعوبة ما فيه،وذلك لأن شعره أصبح هدفاً للباحثين منذ حياته إلى يومنا هذا لذلك يحتم على الباحث الوقوف على الكثير مماكتب عنه حتى يلم بأطراف الموضوع،وقد بذلت من الجهد ما استطعت به أن أكتب هذا البحث ،والصعوبات كثيرة،ولكن متعة متابعة الموضوع أذهبت عنى الكثير منها ولله الحمد.

لقد خرج هذا البحث بنتائج ألخصها فيمايلى:_

١- إن أعداء المتنبي كانوا يخلطون صفات حميدة بأخرى ذميمة حتى ينالوا منه.

٢- إن تجوال أبي الطيب المتنبي كان من أجل اكتساب العلم والمعرفة في أول حياته ثم تحول إلي سعي وراء المال والجاه والسلطان والولاية.

٣- إن كافوراً الإخشيدي كان رجلاً فطناً ذكياُ حاذقاً بالسياسة وأمورها يعرف كيف يسير أمور الدولة وليس بخيلاً وغداراً كما أشار إليه بعض شعر أبي الطيب .

٤- إن المتنبي عندما يريد مدح كافور الإخشيدي يستخدم عبارات الكرم مثل :البحر والأستاذ والملك،وكذلك عبارات المودة والحب،بينما يفعل العكس عندما يهجوه.

٥- إن التفسير الخاطئ لبعض شعر المتنبي في هجاء كافور هو الذي وجه آراء الكثير من الباحثين والنقاد بعد ذلك لتأويل شعره من المديح إلى الهجاء.

٦- إن كافوراً كان أديباً بارعاً يعرف الأدب والنقد ويشارك في هذه العملية ألأدبية.

٧- إن مصر كانت زاخرة بالشعراء والكتاب يوم أن زارها المتنبى.

٨- إن الجفاء بين المتنبي وكافور لم يحدث لأن كافوراً لم يحقق للمتنبي رغبته في الولاية،ولكن لأن كافوراً شك في طموح المتنبي ونيته.

٩- إن لغة الشاعر تغيرت وكذلك معانيه عندما نزل فارس،فأصبح يتغنى للطبيعة والورد،هذه الأشياء التي لم يعرفها شعره من قبل.

١٠- إن شعره بفارس سواء كان في الرثاء أو الوداع أصبح ًا طابع فكري يرجع فيه الشاعر كثيراً إلى نفسه متأملاً ،هذا التأمل جعل كثيراً من الباحثين يقولون إنه نعى نفسه بهذه الأشعار.

١١- إن المدنية بدأت تظهر في مفردات شعره في مصر وفارس.

١٢- إنه لم يذكر كنية (أبي المسك) إلا في مديح كافور، أما في هجائه فلم يذكرها البتة.

١٣- في شعره بفارس أكثر من ذكر أسماء الحيوانات الوديعة مثل الغزلان والظباء والخنساء وغيرها.

١٤- إنه أكثر من الحكمة وضرب المثل في معانيه في الكافوريات والعضديات.

١٥- أكثر من استخدام أسلوب الاستفهام والتعجب والتصغير.

١٦- اعتمد على رسم صوره في الكافوريات والعضديات علا العناصر القديمة عند العرب، مثل التشبيه والاستعارة والكناية والتشخيص،ولكنه برع في استخدامها.

١٧- لم تخرج مقدمات قصائده عن مقدمات الشعر التقليدية ولكنه أضاف إليها الحكمة والفلسفة.

١٨- خلا شعره في العضديات والكافوريات من كثير من عيوب القافية،ولكنه لم يسلم من التضمين الإيطاء.

١٩- استعمل في كافورياته وعضدياته تسعة أبحر من بحور الشعر الستة عشر.

٢٠- استخدم عشرة أحرف فقط في روي قصائده من حروف اللغة الثمانية والعشرين.

توصيات:

إن مسيرة البحث في شعر أبي الطيب المتنبي لم تكتمل وعلى الباحثين المواصلة في المزيد من الدراسات حتى يخرجوا بنتائج أفضل مما خرجت به.

مقترحات:

أقترح أن يكتب الباحثون القادمون في شعر أبي الطيب في العراق وكذلك شعره الذي قاله في بعض أمراء الشام مثل بدر بن عمار وأبي العشائر وغيرهما.

الفهارس العامة

فهرست الآيات

فهرست الأحاديث

فهرست الشواهد الشعرية:

٢٦- الا هبي بصحنك فاصبحينا	ولا تبقي خمور الأندرينا	عمرو بن كلثوم	١٨٦
٢٧- ودع هريرة إن الركب مرتحل	فهل تطيق وداعاً ايها الرجل	الأعشى	١٨٧
٢٨- السيف أصدق أنباءً من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب	أبوتمام	١٨٧
٢٩- اطلب ثالثاً سواى فإني رابع	العيس والدجى والبيدِ	البحتري	١٨٩
٣٠- أمن آل مية رائحٌ أو مغتدي	عجلان ذا زادٍ وغير مزودِ	النابغة	٢٠٩
٣١- وهم وردوا الجفار على تميمٍ	وهم أصحاب يوم عكاظ أني	النابغة	٢٠٩

فهرست الأعلام

فهرست المصادر والمراجع

١-ابن الأثير، عز الدين الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد،**الكامل في التاريخ** ،دار صادر بيروت ،المجلد الثامن ،١٩٧٩م.

٢-ابن جنى، أبو الفتح عثمان، **الفتح الوهبى على مشكلات المتنبي**، تحقيق محسن عياض، مطبعة الجمهورية بغداد ١٩٧٣م.

- **الخصائص**، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى، دار الكتب العلمية بيروت،ط١ ٢٠٠١م،الجزء الأول.

٣-ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الكتاب العربي بيروت، د.ت.

٤-ابن خلكان، أبوالعباس أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**، تحقيق يوسف على طويل ومريم قاسم طويل دار الكتب العلمية بيروت، ط١المجلد الثالث، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

- **وفيات الأعيان**، الجلد الأول.

٥-ابن رشيق، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط٥، الجزء الأول والثاني ،١٩٨١م.

٦-ابن سيدة، أبو الحسن على بن سيدة الأندلسي، **مشكل شعر المتنبي**، تحقيق محمد رضوان الداية، منشورات دار المأمون للتراث دمشق ،١٩٧٥م.

٧-ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم طباطبا العلوي، **عيار الشعر**، الموسوعة الشعرية ٢٠٠١م.

٨-ابن عباد، الصاحب أبى القاسم إسماعيل، **الكشف عن مساوئ شعر المتنبي**، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة المعارف بغداد،١٩٦٥م.

٩-ابن قتيبة، أبومحمد عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، دار إحياء العلوم بيروت، ط٥، ١٩٩٤م.

١٠-ابن منظور الأفريقي، **لسان العرب**،دار صادر**بيروت**،ط١، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

١١-أبو الطيب المتنبي، **الديوان**، دار الجيل ،د.ت.

١٢-أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب المصرية ،ط١، ١٩٣٣م الجزء الرابع.

١٣-أبويعلى التنوخى، **القوافي**، الموسوعة الشعرية،٢٠٠١م.

١٤-إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الثقافة بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

١٥-أحمد أحمد بدوى، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، دار نهضة مصر القاهرة، ١٩٩٤م.

١٦-أحمد كمال زكى، **النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته**، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٧م.

١٧- **امرؤ القيس، الديوان** المكتبة الثقافية بيروت، ط٧، ١٩٨٢م.

١٩٨٩م.

١٨- إيليا حاوي، **أبو تمام فنه ونفسيته من خلال شعره**، دار الثقافة بيروت،ط١،

١٩-الأخفش الأوسط، **القوافي**، الموسوعة الشعرية،٢٠٠١م.

٢٠-الأصفهانى، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن، إيضاح **المشكل لشعر المتنبي**.

٢١-الإمام النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على، **سنن النسائي**، دار الفكر بيروت، الجزء ٨,٦، ١٩٨٧م.

٢٢-البديعي، يوسف، **الصبح المنير عن حيثية المتنبي**، تحقيق السقا ومحمد شتا، دار المعارف، ١٩٦٣م

٢٣-البغدادي، عبدالقادر بن عمر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجى للطباعة والنشر، مطبعة المدني، الجزء الثاني، د.ت.

٢٤- البيهقى، **دلائل النبوة**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨.

٢٥- التبريزي، أبو زكريا يحي بن علي، **شرح القصائد العشر**، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٧م .

٢٦-الثعالبي، أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل، **لباب الآداب**، تحقيق أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ،١٩٩٧م.

- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الأول، ط٢ ،١٩٨٣م.

- **خاص الخاص**، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت.
- **الكناية والتعريض**، تحقيق أسامة البحيرى، مكتبة الخانجى بالقاهرة ،ط١ ،١٩٩٧م.
٢٧-الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، **البيان والتبيين**، دار الفكر ودار الجيل، د.ت.
٢٨-الجرجاني، أبوبكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، مكتبة الخانجى بالقاهرة ط٥ ،٢٠٠٤م.
- **أسرار البلاغة**، مكتبة الخانجى بالقاهرة ٢٠٠٤م.
٢٩-الجرجاني، على بن عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى، منشورات المكتبة المصرية، دون تاريخ.
٣٠- الجمحى، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بدون تاريخ.
٣١-الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٨٠م الجزء الثالث عشر.
٣٢-الخطيب البغدادي ،الحافظ أبوبكر بن على ،**تاريخ بغداد** ،دار الفكر ،الجزء الرابع،د.ت.
٣٣-الرازي ،محمد بن أبى بكرين عبدالقادر،**مختار الصحاح** ،دار مكتبة الهلال بيروت ،ط١ ،١٩٨٣م.
٣٤-الزمخشرى، **الفسطاط في علم العروض** ،الموسوعة الشعرية،٢٠٠١م.
٣٥-السيوطى، جلال الدين، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، مطبعة إدارة الوطن بمصر، ١٢٩٩هـ
٣٦-الشحات محمد أبو ستيت، **المعركة النقدية بين ابن وكيع والمتنبي**، مطبعة الأمانة بمصر ط١ ،١٩٩١م١.
٣٧-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **كتاب الصناعتين**، تحقيق وضبط مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢،١٩٨٩م.
٣٨-العكبرى، أبو البقاء، **التبيان في شرح الديوان**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع. دون تاريخ.

٣٩-العميدى، أبوسعد محمد بن أحمد، **الإبانة عن سرقات المتنبي**، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطى، دار المعارف بمصر ،١٩٦١م.

٤٠-القزوينى، الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة**،شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ط٢، د.ت.

٤١-القلشقندى، أحمد بن على، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاد**، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١٩٨٧،١م، الجزء الأول.

٤٢-الليثى، محمد بن شاكر، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ،د.ت.

٤٣-المرتضى، الشريف، **طيف الخيال**، تحقيق حسين كامل، وزارة الثقافة والإرشاد بمصر، د.ت.

٤٤-المعرى، أبو العلا أحمد بن سليمان، **معجز أحمد (شرح ديوان المتنبي)** تحقيق عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر، الجزء الرابع، د.ت.

٤٥-المعرى، سليمان بن على، **تفسير أبيات المعاني من شعر أبى الطيب المتنبي**، تحقيق مجاهد محمد محمود ومسن غياض عجيل، دار المأمون للتراث دمشق ١٩٧٩م.

٤٦- النيسابورى، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار الديان للتراث، ط١، ١٩٨٧م-١٤٠٧، الجزء التاسع.

٤٧- الهاشمي، أحمد السيد، **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**، دار الكتب العلمية بيروت،١٤٢١هـ.

٤٨-بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، دار نظير عبود، د.ت

٤٩-جابر عصفور، **مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.

٥٠-جرجى زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت الجزء الأول.

٥١- عباس حسن، **المتنبي وشوقي**، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م .

٥٢-حسين أحمد عطوان، **مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي**، دار المعارف، د.ت.

٥٣-ريجيس بلاشير، **أبو الطيب المتنبي،** ترجمة إبراهيم الكيلانى، دار الفكر للطباعة والتوزيع دمشق ط٢، ١٩٨٥م.

٥٤-سعد إسماعيل شلبي، **مقدمة القصيدة عند أبى تمام والمتنبي،** مكتبة وغريب – الفجالة ،د.ت.

٥٥-سلمى الخضراء الجيوسى، **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث،** ترجمة د.عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط١،٢٠٠١م.

٥٦-سهيل عثمان ومنير كنعان، **المحصول الفكري للمتنبي،** دار الإرشاد بيروت، ط١، ١٩٦٩م.

٥٧-شوقي ضيف، **العصر العباسي الثاني،** دار المعارف، ط٢ ،د.ت.

٥٨-طرفة بن العبد ،**الديوان** ،المكتبة الثقافية بيروت،د.ت.

٥٩-طه حسين وأحمد الإسكندرى وأحمد أمين و على الجارم وعبد العزيز البشرى وأحمد ضيف، دار الكتب المصرية، ١٩٣٣م.

٦٠-طه حسين، **مع المتنبي،** دار المعارف بمصر، دون تاريخ.

٦١-عبد الله الطيب، **مع أبى الطيب،** دار جامعة الخرطوم للنشر

٦٢-عبد الوهاب عزام، **ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام،** دار المعارف بمصر ،ط٢، ١٩٥٦م.

٦٣-محمد النويهى، **قضية الشعر الجديد،** معهد الدراسات العربية العالية القاهرة، ١٩٦٤م

٦٤-محمد عبد الرحمن شعيب، **المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،** دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

٦٥- محمود مصطفى، **أهدى سبيل إلى علمي الخليل،** مكتبة المعارف للنشر الرياض.

٦٦-محمود محمد شاكر، **المتنبي،** مطبعة المدني بمصر ،١٩٨٧م.

٦٧-مصطفى الشكعة، **أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين،** عالم الكتب بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٦٨-منير سلطان ،**الصورة الفنية في شعر المتنبي (المجاز)** دار المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- **الصورة الفنية في شعر المتنبي (التشبيه)** دار المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- **الصورة الفنية في شعر المتنبي (الكناية والتعريض)** دار المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٦٩-يوسف حسين بكار، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

فهرست الموضوعات